
الماويّة : نظريّة و ممارسة

عدد 40 / أكتوبر 2021

شادي الشماوي

لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا !

تأليف بوب أفاكيان – إنسايت براس ، شيكاغو ؛ الولايات المتحدة الأمريكية ، 2008

(ملاحظة : هذه الترجمة ليست رسميّة / This is not an official translation)

لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا !

تأليف بوب أفاكيان – إنسايت براس ، شيكاغو ؛ الولايات المتحدة الأمريكية ، 2008

مقدّمة المترجم :

شيّق و شائك جدّا هو موضوع هذا الكتاب الجديد ؛ الكتاب عدد 40 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " . شيّق من ناحية تناوله بالبحث مسألة غاية في الأهمّية في تاريخ الإنسانيّة ، ماضيها و حاضرها و مستقبلها ؛ و من ناحية تعمّقه في قضيّة يتطلّع الكثيرون إلى نقاشها يومياً تقريبا . وهو شائك من ناحية إعتبار العديدين للموضوع المعالج من المحرّمات أو واحد من جملة من المحرّمات و من ناحية مواجهته تحليلا و نقدا لمواقف " ماركسيّين " أو " ماركسيّين – لينينيّين " أو حتّى " ماركسيّين – لينينيّين - ماويّين " شوّهوا الموقف العلمي الحقيقي الماركسي و تطبيقاته العمليّة في هذا المجال و حرّفوه ليحوّلوه من موقف علميّ ثوريّ إلى موقف إنتهازي إصلاحي يتذيّل إلى القوى الرجعيّة و إلى عفويّة الجماهير و الفكر السائد الذى تصنعه و تبثّه الطبقات الإستغلاليّة و الإضطهاديّة السائدة ليخدم مجتمعها الإستغلالي و الإضطهادي و الدولة التي تفرضه . و هذا يشمل حتّى شخصيّات بارزة و منظّمات و أحزاب من الحركة الشيوعيّة العالمية و منها العربيّة بطبيعة الحال .

و على صفحات الحوار المتمدّن ، من أبرز الناقدين للخطوط السياسيّة و الإيديولوجيّة للشخصيّات وللمنظّمات و الأحزاب التي حرّفت الموقف العلمي والثوري للماركسيّة و شوّهته ؛ و من أبرز المدافعين عن الخلاصة الجديدة للشيوعية – الشيوعيّة الجديدة التي طوّرها بوب أفاكيان و أبرز مطبّقيها في مؤلّفات ، مقالاتا كانت أم كتبا ، عربيّا ، نجد ناظم الماوي و من أهمّ ما ألّفه و يتضمّن معالجة للقضيّة التي نحن بصددها :

أ – مقالات :

- لنقاوم الإسلام السياسي و دولة الإستعمار الجديد برمّتها و نراكم القوى من أجل الثورة الديمقراطية الجديدة كجزء من الثورة البروليتارية العالمية .

- إسلاميون فاشيون ، للشعب و النساء أعداء و للإمبريالية عملاء !

- مزيدا حول الأصوليّة الإسلامية و الإمبرياليّة و النظرة الشيوعية الثوريّة للمسألة.

ب- كتب :

- الفصل السادس من " **حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحّد حزب ماركسي مزيّف** " (وعلى وجه الضبط النقطة الثالثة : " أوهام حول الدين و الأصولية الدينية ").

- الفصل السابع من " **آجيث نموذج الدغمائي المناهض لتطوير علم الشيوعية - ردّ على مقال " ضد الأفاكيانية " لصاحبه آجيث الأمين العام للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري** (و عنوانه " نقد الدين و الثورة البروليتارية العالمية ") .

- الفصل الرابع من الجزء الثاني من " **ضد التحريفية و الدغمائيّة ، من أجل تطوير الماويّة تطويرا ثوريّا** " (وعلى وجه الضبط النقطة الثالثة : " الإسلام و الإسلاميّون الفاشيّون ").

- الفصل الثالث من " **حزب الكادحين الوطني الديمقراطي يشوّه الماركسية** " (وعلى وجه الضبط النقطة الرابعة : " الدين والمرأة و مغالطات حزب الكادحين ").

- الفصل الخامس من الجزء الثاني من " **لا لتشويه الماوية و روحها الشيوعية الثوريّة : كلّ الحقيقة للجماهير !**

ردّ على مقال لفؤاد النمرى و آخر لعبد الله خليفة " (وعلى وجه الضبط النقطة الثانية : " الصين الماوية و الدين ").

- " **حفريّات في الخطّ الإيديولوجي و السياسي التحريفي الإصلاحي لحزب العمّال [البرجوازي] التونسي** " **(في ثلاثة كتب/ ثلاثيّة)** وهو ينطوى على المقالين التاليين :

* حزب العمال" الشيوعي " التونسي : سقط القناع عن القناع عن القناع (1+2)

* النقاب و بؤس تفكير زعيم حزب العمّال التونسي .

- " **حفريّات في الخطّ الإيديولوجي والسياسي التحريفي و الإصلاحي للوطنيّين الديمقراطيّين - الوطد - و تفرّعاتهم (الكتاب الثاني من الثلاثيّة)** ، لا سيما النقطة السابعة المتّصلة ب " التعاطى التحريفي مع الدين ".

و بوب أفاكيان لم ينبر بهذا المصنّف المثير للغاية ، " **لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا ! "**، للدفاع عن العلم و الفهم الثوريّ لهذه المسألة اليوم و إنّما أيضا ليشيّد فهما أكثر تطوّرا عمقا و شمولا إعتمادا على الموقف و المنهج و المقاربة الشيوعيّين و كذلك على أهمّ البحوث الحديثة في هذا الشأن . وهو ينزّل ذلك في إطار النهوض بمهمّة من أوكد مهام الشيوعيّين و الشيوعيّات الثوريّين ألا وهي خوض الصراع الطبقي على جبهاته الثلاثة التي حدّدها لينين **في " ما العمل ؟ "** ، السياسيّة و الإيديولوجية و الإقتصاديّة ؛ و هنا على وجه الضبط خوض الصراع الإيديولوجي – الذى يتناساه عمدا عامدين محرّفو الماركسية / الشيوعيّة - ضد القوى الرجعيّة ليبرالية كانت أم فاشيّة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة و في العالم قاطبة كجزء من النضال الذى لا بدّ منه على الجبهات كلّها المذكورة أعلاه بهدف أسمى ليس أقلّ من القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة من جميع ألوان الإضطهاد و الإستغلال ببلوغ المجتمع الشيوعي العالمي.

و من هنا تتأتّى الأهمّية الحيويّة لها المصنّف الفريد من نوعه صلب الحركة الشيوعيّة العالميّة في العقود الأخيرة . و بلا أدنى شكّ أنّ القرّاء باللغة العربيّة شيوعيّين و شيوعيات كانوا أم من ذوى المشارب الفكريّة الأخرى أو حتّى من الجماهير العريضة و الباحثين و الباحثات عن الحقيقة سيجدون في هذا الكتاب كبير الفائدة في إدراك على الأقلّ جوانب لها دلالتها من المسائل موضوع البحث و النقاش و جوانب من البديل الشيوعي الثوريّ الحقيقي لتحرير العقل و تغيير العالم تغييرا راديكاليّا و كيفيّة التعاطى مع التيّارات الدينيّة الأصوليّة و تلك التي تقبل بالمساهمة في القيام بالثورة أو حتّى خوض معارك معيّنة يفرضها بلا هوادة واقع الصراع الطبقي محلّيا و قوميّا و عالميّا . و قد توسّع في هذه المواضيع الأخيرة و فصّل أقول فيها في عمل آنف يحمل عنوان " **التقدّم بطريقة أخرى** " وهو متوفّر بموقع أنترنت جريدة " **الثورة** " www.revcom.us ضمن الأعمال المختارة لبوب أفاكيان .

و فيما يختزل عنوان الكتاب ذاته الغاية من وضع بوب أفاكيان لهذا المؤلّف فإنّ تفاصيل محتوياته كفيلة بتسليط الضوء على المحاور التي تمّ التطرّق إليها و معالجتها و مدى حيويّها . و بالتالى من الأكيد أن مطالعة هذا المصنّف ستكون بمثابة رحلة ممتعة و لا أمتع ، على أنّها لا تنفى و لا تلغى ؛ و لا يجب أن تنفى أو تلغي ، الحاجة الماسة إلى التفاعل الإيجابي ، إلى دراسته دراسة نقديّة بوب أفاكيان من أكبر المرحّبين بها فهو ما إنفكّ ينادى بتطوير النقاش و الجدال الإيديولوجيّين الجدّيين و المعتمدين على حجج واقعيّة علميّة كمهمّة أكيدة تقع على عاتق الشيوعيّين و الشيوعيّات الثوريّين و على عاتق من يرغبون في تفسير العالم تفسيرا علميّا و تغييره تغييرا ثوريّا خدمة لمصالح الإنسانيّة و تحريرها من كافة أصناف الإضطهاد و الإستغلال . و بالمناسبة ندعو القرّاء من أيّ مشارب كانوا ، و هم يطالعون و يدرسون و يُعمِلون الفكر و لما لا الفكر النقدي في كتاب بوب أفاكيان ، إلى أن يبقوا في أذهانهم و يتدبّروا مليّا موقفين أمسيا شهيرين يُعلى رايتهما بوب أفاكيان و أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعيّة / الشيوعيّة الجديدة :

- **" إنّ المضطهَدين الذين لا يقدرون أو لا يرغبون فى مواجهة الواقع كما هو فعليّا محكوم عليهم بأن يبقوا مستعبَدين و مضطهَدين ."** (المقتطف الأوّل من الفصل الرابع من كتاب **" الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته "** ، ترجمة شادي الشماوي – مكتبة الحوار المتمدّن) .

- **" كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا ، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية ". (" بوب أفاكيان أثناء نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره "** ، فصل من كتاب **" ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة "** ، 2005).

و محتويات الكتاب فضلا عن مقدّمة المترجم هي :

<u>كلمة الناشر</u>

<u>الجزء الأوّل : من أين يأتى الإلاه ... و من يقول إنّنا نحتاج إلى إلاه ؟</u>

- " الإلاه يتحرّك بطرق غامضة "

- إلاه قاسي و شنيع حقّا

- الكتاب المقدّس حرفيّا فظيع

- الأصوليّون المسيحيّون ، مسيحيّون فاشيّون

- تسليط ضوء حقيقي على عيسى

- ماذا عن الوصايا العشر ؟

- لا عهد جديد دون عهد قديم

- المسيحية الأصولية و المسيحية " منضدة السلاطة " / " الإختياريّة "

- الدين و إضطهاد الطبقات الحاكمة

- التطوّر و المنهج العلمي ، و الظلاميّة الدينيّة

- إذا كانت الآلهة غير موجودة ، فلماذا يؤمن بها الناس ؟

- لماذا يؤمن الناس بآلهة **مختلفة**

<u>الجزء الثانى : المسيحيّة و اليهوديّة و الإسلام – متجذّرة فى الماضى و حاجزا فى طريق المستقبل</u>

- التطوّر التاريخي للمسيحية و دورها : العقائد و السلطة السياسيّة

- المسيحية كدين جديد : الدور المحوريّ لبولس وتأثيره

- كشف النقاب عن المسيح و المسيحيّة

- الإسلام ليس أفضل (و لا أسوء) من المسيحيّة

- الأصوليّة الدينيّة والإمبريالية و " الحرب على الإرهاب "

- لماذا تنمو الأصولية الدينية فى عالم اليوم ؟

- نبذ " عجرفة المتنوّرين المعجبين بأنفسهم "

++

تقديم الكتاب

كلمة الناشر :

يقوم هذا الكتاب على خطابين لبوب أفاكيان ؛ الخطاب الأوّل ألقاه سنة 2004 و عنوانه **" لا وجود لإلاه – نحتاج تحريرا دون آلهة "** ، و الخطاب الأحدث **" الشيوعية و الدين : النهوض و التحرّر – القيام بالثورة لتغيير العالم ، و ليس التعويل على " أشياء غير مرئية " "** (جزء من الخطابات السبعة التى ألقاها أفاكيان فى 2006) . و لأجل نشر هذا فى شكل كتاب، وقع مزج نصوص الخطابين (إلى جانب نصّ قسم من ملاحظات الكاتب فى نهاية الخطابات السبعة فى 2006). و شمل هذا قسطا هاما من المراجعة من قبل المؤلّف – معيدا تنظيم أجزاء من النصوص التى وقع دمجها و إعادة كتابة بعض الفقرات لإيجاد إنتقال سلس أكثر و إستمراريّة و وضوح أكبر و إستبعاد التكرار حيث لا يبدو مفيدا. و فضلا عن الإستشهادات بالنسبة للمادة المقتبسة أو المحال عليها (غالبيّتها ضُمّنت صلب النصّ) ، أضاف المؤلّف هوامش لمزيد التوضيح و فى بعض الحالات لشرح نقاط معيّنة .

و فى نفس الوقت ، فى حين أنّ ما ينشر هنا نصّ مكتوب (و فى حين أنّه من غير الممكن أن نعيد هكذا إنتاج الأجواء و تأثير لحظات أثناء الخطابات كان فيها أفاكيان ينشد مقاطعا من أغنية أو يمثّل دورا من مسرحية)، فإنّه تمّ بذل جهد للإبقاء ليس على المضمون و المادة الجوهريّين و حسب بل كذلك ، قدر الإمكان ، على الأسلوب و المذاق الأصليّين للمادة السمعيّة (و من ذلك الإشارة بين معقّفين ضمن النصّ لردود فعل المستمعين فى لحظات متفرّقة) . إجمالا ، نعتقد أنّ النتيجة ، مثلما هو الحال مع خطابات بوب أفاكيان و كتاباته عموما ، هي عمل على حدّ السواء متين و منعش ، جداليّ و متحدّى - مازجا، لنستعير عبارات من كتاب آخر لأفاكيان ، حسّا جدّيا بالهدف مع حسّ هزليّ حيويّ و نافذ .

===

محتويات الكتاب :

==

<u>ملحق من إقتراح المترجم :</u>

<u>فهارس كتب شادى الشماوى</u>

++

لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا !

تأليف بوب أفاكيان – إنسايت براس ، شيكاغو ؛ الولايات المتحدة الأمريكية ، 2008

الجزء الأوّل : من أين يأتى الإلاه ... و من يقول إنّنا نحتاج إلى إلاه ؟

- " الإلاه يعمل بطرق غامضة "
- إلاه قاسي و شنيع حقّا
- الكتاب المقدّس حرفيّا فظيع
- الأصوليّون المسيحيّون ، مسيحيّون فاشيّون
- تسليط ضوء حقيقي على عيسى
- ماذا عن الوصايا العشر ؟
- لا عهد جديد دون عهد قديم
- المسيحية الأصولية و المسيحية " منضدة السلاطة " / " الإختياريّة "
- الدين و إضطهاد الطبقات الحاكمة
- نظريّة التطوّر و المنهج العلمي ، و الظلاميّة الدينيّة
- إن كانت الآلهة غير موجودة ، لماذا يؤمن بها الناس ؟
- لماذا يؤمن الناس بآلهة **مختلفة**

" الإلاه يعمل بطرق غامضة "

يوما بعد يوم تبلغنا معلومات عن مآسي فظيعة كانت ستكون بلا معنى لو وُجد إلاه محبّ ، عالَم بكلّ شيء و لا محدود القدرة يتفحّص ما يحدث للبشر و يشرف عليه . و إليكم هنا من بضعة قصص ليس إلاّ مستقاة من الأخبار فى السنوات الأخيرة .

فقدت أسرة خمسة أطفال و إثنين من الأقرباء فى حادث حافلة مريع ، ثمّ توفّي جدّ الأطفال بسكتة قلبية عقب سماعه أنباء هذا الحادث المريع .

لكن – يقال لنا – الإلاه يعمل بطرق غامضة .

فى حادث تحطّم طائرة فى نيجيريا ، لقي ستّون طالبا فى معهد ديني مسيحي حتفهم .

لكن الإلاه يعمل بطرق غامضة .

أودى حادث سيّارة إشتعلت ثمّ إنفجرت بحياة ستّة أطفال أولياؤهم من المسيحيين المخلصين .

بالفعل ، الإلاه يعمل بطرق غامضة .

إمرأة تعمل ليل نهار و بصبر لتساعد زوجها الذى كان فى حاجة إلى زرع رئة على أن يكون فى وضع صحّي يأهّله لعملية الزراعة تلك و فى النهاية تتوصّل إلى ذلك . ثمّ بعد الحصول على أخبار سارّة ، يتعرّضان إلى حادث مرور نتيجته فقدان المرأة الحياة و إصابة الرجل بجروح .

لكن ، مجدّدا ، الإلاه يعمل بطرق غامضة .

يعاني الناس من كافة أنواع المآسي و الفظائع ، كبيرة منها و صغيرة ، على النطاق الأكثر شخصية و على النطاق الإجتماعي و حتى على النطاق العالمي - تحطّم سيارات و حافلات و قطارات و طائرات ، و زلازل و فياضانات و إعصارات و تسوناميات - تتسبّب فى وفاة الآلاف و عشرات و مئات الآلاف .

و جيلا بعد جيل ، من قرن إلى آخر ، وقعت المتاجرة فى الناس كعبيد عادة ما يتمّ تشغيلهم حتى الموت فى ظروف لا إنسانية (و فى أماكن معيّنة يتواصل هذا إلى اليوم) . و تنفّذ المجازر الجماعية متسبّبة فى القضاء أو القضاء التام تقريبا على شعوب بأسرها .

و تخاض الحروب التى ينجم عنها قتل عشرات ملايين الناس بإستعمال أسلحة الهجوم و الدمار الشامل، وصولا مباشرة إلى الفظائع النووية مثل تدمير الولايات المتحدة الأمريكية لمدينتين يابانيتين بقنابل نووية فى الحرب العالمية الثانية .

و ثلاثين إلى أربعين ألف طفل يموتون يوميّا فى ما يسمّى بالعالم الثالث جراء المجاعة و أمراض يمكن الوقاية ضدّها .

و الأوبئة عبر التاريخ قد أصابت قطاعات واسعة من الإنسانيّة . و النساء تعرّضن للإغتصاب بأعداد هائلة عبر العالم ، و بعد ذلك غالبا ما توصم المغتصبات بالعار و حتى تقتل تماما على أيدى أعضاء عائلاتهن الخاصة لأنّهن - و هنّ ضحايا الإغتصاب – تسببن ليس فقط فى الإهانة لهنّ بل يفترض أنّهن مرّغن شرف العائلة فى الوحل .

لكن ، فى خضمّ كلّ هذا ، هناك على الدوام لازمة :

الإلاه يعمل بطرق غامضة .

<u>الإلاه قاسي و شنيع</u>

إلى أي مدى ينبغى أن يستمرّ هذا و إلى متى قبل أن يصبح من الواضح أنّه إذا وُجد مثل هذا الإلاه فهو إلاه قاسي فعلا و خبيث و مريض و منحرف و شنيع حقًّا ؟ و أنّه ما من عاقل و محترم سيودّ الخضوع لمثل هذا الإلاه و إتباع ما يوصي به . و من حسن حظّنا إلى درجة كبيرة أنّه لا وجود لهذا الإلاه – و من التحرّري للغاية التوصّل فى النهاية إلى إدراك هذه الحقيقة .

و فى حال لم يكن هذا كافيا لرؤية بُعد آخر حتى للطبيعة الإجرامية للإلاه مثلما تقدّمه الديانات الكبرى التوحيدية (إلاه واحد) – لرؤية كيف أنّ هذا الإلاه لا يُعجبه شيء و هو متقلّب المزاج على ما يبدو و حتى فى قسوته مصاب بالفصام – لنعد إلى الكتابات " اليهومسيحية ". و لننطلق مع التاريخ فى الكتاب المقدّس، فى سفر صاموئيل الثاني (الإصحاح 24)، لكيف أنّ الملك داوود جلب صبّ غضب الإلاه على شعبه .

يقال لنا فى صاموئيل الثاني إنّ داوود أمر بإحصاء شعب إسرائيل و يهوذا ، مملكته ، و (هامش فى إحدى نسح الكتاب المقدّس يوفّر شرحا ممكنا) و يبدو أنّ داوود قام بذلك على وجه الخصوص للحصول على تعداد للرجال القادرين على الإلتحاق بالجيش . بيد أنّه عند إنجاز الإحصاء ، إقترف خطأ كبيرا مثلما شرح هذا الهامش ، لأنّ الجنود العاملين كانوا عُرضة لنظام صارم من الإجراءات التقليدية فى إسرائيل القديمة و كانوا عُرضة خاصة لأخطار عبادية . (أنظروا **دراسة هربار كولينس للكتاب المقدّس ، النسخة العادية المنقّحة الجديدة** ، و

<u>Deuterocanonical/ Apocryphal</u>

طبعة جديدة منقّحة من قبل شركة أدب الكتاب المقدّس ، الصفحات 506-507 ، حاشية سفر صاموئيل الثاني ، 24:3 . و كافة الإستشهادات فى هذا النصّ المحيلة على الكتاب المقدّس [بإستثناء تلك الواردة بين قوسين ضمن مقتبس من كاتب آخر] مصدرها طبعة **دراسة هاربار كولينس**) .

و ماذا نجم عن كلّ هذا ؟ إنّ قرّاء الكتاب المقدّس قد يستطيعون أن يتوقّعوا : وباء ا فظيعا صبّه عليهم الإلاه . مات سبعون ألف إنسان ، يقال لنا . لكن حينها ، فى النهاية ، لان قلب الإلاه المحبّ و صرّح

" كفى ! " و إنتهى الوباء . و متبعا تعاليم الإلاه ، بنى داوود مذبحا " وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ " (أنظروا سفر صاموئيل الثاني ، 24 ، لا سيما الآيات 15- 25).

لكن هذا ليس كلّ شيء فى القصّة . حسب كاتب سفر صاموئيل ، الإلاه هو الذى أمر داوود بإنجاز هذا الإحصاء فى المقام الأوّل . و مثلما ورد فى سفر صاموئيل 2 ، 24 ، الآية 1 " وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلاً: «امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا ». ثمّ غاضب شديد الغضب من داوود لإنجازه الإحصاء الذى أمر بإنجازه هو (أو ربّما غضب من كيفية إنجازه من قبل داوود) وتراجع الإلاه وأرسل وباء ليودي بحياة سبعين ألف شخص من " شعبه المختار" الذى ، وفق تقدير منطقي ، لم يكن له ذنب فى مسألة الإحصاء .

على ما يبدوتجاوزذلك الحدّ لدى مؤلّف سفر آخر من الكتاب المقدّس ، سفر أخبار الأيّام الأوّل ، ذلك أنّه فى سفر أخبار الأيّام الأوّل، الأصحاح 21 ، عند الحديث عن ذات الإحصاء ، يتمّ إخبارنا بأنّه ليس الإلاه و إنّما **الشيطان** هو الذى جعل داوود يقوم بذلك : " وَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ " (سفر أخبار الأيّام الأوّل ، 21: 1) .

و هذا ليس بالأمر الهيّن . من كان المسؤول – الإلاه أم الشيطان ؟ (ضحك) . هنا مرّة أخرى ، نشاهد مثالا لكلمة إلاه الكتاب المقدّس المعصوم من الخطأ ، الإلاه المعتوه و المهووس و المجرم .

و من المهمّ الإشارة إلى أنّ هذا ليس حادثا من تلك " الأحداث المعزولة " التى كثيرا ما يذكرونها . و مثلما يرى المرء عند قراءة الكتاب المقدّس ، و سأعود للمسألة بعد قليل ، الوباء هو واحد من أكثر أسلحة الإلاه تواترا فى إنزال الدمار و العذاب

على البشر ، على أعداد كبيرة من الناس ، و ليس أقلّ على " شعبه المختار " ذاته ، بما فى ذلك عديد الذين سينظر لهم كلّ إنسان عاقل على أنّهم أناس أبرياء تماما. وبعض الناس و منهم المتدينين – و حتى عديد المتدينين الذين هم عموما تقدّميون – لا يتورعون عن الحديث عن فظائع الشيوعية المدعاة ؟! و مهما أردنا الحديث عن الأخطاء التى إقترفت فى تجربة المجتمعات الإشتراكية و من قبل القادة الشيوعيين ، لا قائد من قادة الحركة الشيوعية العالمية أو من قادة دولة إشتراكية قد دافع عن حتى الأشياء التى **يشدّد** على وجوب القيام بها بصفة متكرّرة هذا الإلاه .

لكن ... الإلاه يعمل بطرق غامضة .

من جديد إن كان كلّ هذا – و الكثير و الكثير منه على طريق القسوة و القتل و التدمير و الفظاعة – مصدره " إلاه يعمل بطرق غامضة " ، **من يحتاج** إلى هكذا إلاه ؟

و لنعد خطوة إلى الوراء ، فقط لنحقن القليل من الواقع فى هذا ، فبقدر ما هناك قاعدة تاريخية و وقائع بشأن هذا الوباء ، فإنّ الواقع لم يكن مثلما قدّمه الكتاب المقدّس ؛ الواقع هو أنّ وباء حصل ثم بطريقة ما وجب تفسيره و عقلنته. كلّ هؤلاء الناس يموتون – لماذا؟ ما السبب؟ لأجل جعل المجتمع متماسكا بلا شكّ من الضروري تقديم بعض الشرح للماذا كان ذلك يحصل، لماذا وُجد كلّ هذا العذاب الفظيع . طالما تعتقدون فى إلاه، لا يمكن للشرح أن يضع اللوم النهائي على هذا الإلاه، لذا وجب إيجاده فى عمل إنساني ما. و الشرح المقدّم فى الكتاب المقدّس يعكس علاقات الإنتاج الإجتماعية و الإقتصادية - و ما يتناسب معها من مؤسسات و أفكار و عادات و قيم - ميّزت و سيطرت فى المجتمع الذى فيه عاش مؤلّفو هذا الجزء من الكتاب المقدّس و الذى عنه يدافعون .

لم يكن ذلك بالضرورة و ربّما لم يكن مسألة إختراع واعي و تضليل . يمكن أن يكون الذين ألّفوا هذا الجزء من الكتاب المقدّس عمليّا قد آمنوا بالتفسير الذى صاغوه لهذا الوباء . أو ربّما كان ذلك مزيجا من الإيمان و الحسابات الواعية الفعلية من طرفهم ، فى إنسجام مع و خدمة للقوى الإجتماعية و المؤسسات و العلاقات السائدة و المسيطرة فى تلك الفترة و ذلك المكان . لكن فى كلّ الأحوال ، قد مضى زمن طويل على إضطرار الإنسانية إلى أن تستعبدها تلك الأصناف من العلاقات و المؤسسات و العادات و القيم و الأفكار و المعتقدات و الجهل و الخوف و الإضطهاد الذى يجسدونه و يدافعون عنه و يعزّزونه .

و إلى جانب ما تتم الإشارة إليه هنا ، و كذلك فى خطاباتي و كتاباتي السابقة ، فى ما يتصل بالطبيعة المجرمة و أفعال إلاه الكتاب المقدّس ، قبل وقت غير بعيد وُجدت سلسلة هامة من المقالات ، عنوانها " الإلاه الفاشي الأصلي " ل أ . بروكس، نشرت فى جريدة حزبنا ، <u>الثورة</u> وهي سلسلة توفّر مزيدا من الأمثلة الساطعة عن القساوة المطلقة و الطبيعة **الشيطانية** الخبيثة لإلاه الكتاب المقدّس، و التركيز الخاص الذى يبدو لدي هذا الإلاه على إستعمال الأوبئة كسلاح للعقاب و الدمار الشاملين... لذا (بإذن من الكاتب) أودّ أن أضمّن هنا بعض الفقرات الأكثر إثارة الموجودة فى " الإلاه الفاشي الأصلي ".

أوّلا ، فى ما يتعلّق بمحنة اليهود القدامي فى مصر ، كتب بروكس :

" عوض تعريض شعبه " المختار" للعذاب و العبودية الفظيعين لقرون ثمّ تحريرهم ، لماذا ببساطة لا تتمّ الحيلولة دون إستعبادهم منذ البداية أصلا ؟

حسنا ، عندما نقرأ سفر الخروج نعثر على إجابتنا . فالإلاه لمّح إلى موسى أنّ هذه السيرورة برمّتها التى من خلالها صار اليهود عبيدا للمصريين ثمّ جرى تحريرهم ليست بالنسبة إليه أكثر من لعبة مريضة – فرصة ل " صدم و ترويع " الجميع بهذه القدرة : " أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ... وَلكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ (سفر الخروج 7) . و تحيل جملة " أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ " من هذه الفقرة على التوجيهات التى يعطيها الإلاه لموسى حيث يقول لموسى أن يُخبر فرعون بأن يُطلق سراح اليهود من الأسر و إلاّ فإنّ الإلاه سيعاقب مصر . و الفقرات القليلة التالية لسفر الخروج تتبع مخطّطا أساسيّا : يهدّد موسى فرعون بأنّه إن لم يطلق سراح اليهود من الأسر ، سيبعث الإلاه بأوبئة تصيب المصريين – بما فى ذلك طين و قمل و ضفادع و جراد و حشد من الحشرات و إلتهاب الجلد ، ضمن أشياء أخرى . و يشاهد فرعون واحدة من هذه الأوبئة و فى الحال يقبل بتحرير اليهود إن توقّفت الأوبئة . و يوقف الإلاه الأوبئة لكن بعد ذلك يجعل قلب فرعون قاسيا كي يتراجع عن وعده بتحرير العبيد و هكذا " لا خيار للإلاه " سوى بعث المزيد من الأوبئة للمصريين . (" الإلاه الفاشي الأصلي "، الجزء أ3 ، <u>الثورة</u> عدد 17 ، 9 أكتوبر 2005. و فى علاقة بما يوجد أعلاه ، أنظروا الأصحاح

3 إلى 14 من سفر الخروج . و السلسلة الكاملة من " الإلاه الفاشي الأصلي " متوفّرة كذلك على الأنترنت كوثيقة بموقع أنترنت revcom.us)

و بعد ذلك كتب بروكس :

"ماذا يقال عن هذا " الإلاه " الذى رغم أنّه " قادر على كلّ شيء " وكان بإمكانه ببساطة أن يمنع إستعباد اليهود من البداية ، و ثمّ بالتالي كان بوسعه تحريرهم عندما وقعوا فى العبودية ، إختار عوضا عن ذلك و عن وعي أن يمدّد فى عذاب كلّ من اليهود و المصريين لمجرّد إستعراض قوّته ؟ هل نرفع من راية هذا الإلاه أو نؤمن به ؟ (" الإلاه الفاشي الأصلي " ، الجزء 3 أ من الثورة عدد17 ، 9 أكتوبر 2005).

و تاليا فى مقطع آخر من هذه السلسلة " الإلاه الفاشي الأصلي " نقرأ :

" يصف سفر العدد كيف أنّ جيوش شعب الإلاه أخذت تتجمّع ثمّ توجهت إلى كنعان و إستعدّت لقتال سكّان تلك الأرض و سحقهم .

لكن عند نقطة معينة ، واجهت هذه الجيوش أوقاتا صعبة و أضحت معنويّات الفيالق فى الحضيض و شرعت تشكو لموسى سوء الظروف و فقدانها لما يكفيها من المؤونة. عندئذ ماذا كان ردّ الإلاه ؟ حسنا ، بما أنّه " إلاه رحيم ، و لا يغضب بسهولة " مثلما أشار إلى ذلك سفر الخروج 34 ، بلا شكّ أنّه ردّ بمباركة اليهود بالغذاء حتى لا يجوعوا ، أليس كذلك ؟ **خطأ !** بدلا من ذلك ردّ الإلاه بداية بإعطاء شعبه الغذاء لكن بعد ذلك " وَإِذْ كَانَ اللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْنَانِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ، حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، وَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا. " (سفر العدد ، 11) . و كلّ هذا يحصل لشعب لم يفعل ببساطة شيئا آخر سوى التذمّر من أنّه جائع ! (" الإلاه الفاشي الأصلي " ، الجزء ب 3 ، **الثورة** عدد 18 ، 16 أكتوبر 2005). و لاحظوا أنّه عندما يعد الإلاه " شعبه المختار " بهذه الأرض يوجد هناك بعدُ شعب آخر يعيش فيها ، لذا يجب فعل شيء ما به . و كما سنرى يجب ذبحه و إخراجه من تلك الأرض و الذين – و على وجه الخصوص النساء العذراوات – ينجون من المذبحة يجب إستعبادهم ".

و يلاحظ بروكس كذلك أنّ :

" فى آخر المطاف ، بات بعض اليهود جدّ مغتاضين من الحكم الغاشم لموسى إلى درجة قيامهم بتمرّد ضد طغيانه فردّ الإلاه على هذا التمرّد بسحق المتمرّدين – فتح الأرض فإبتلعتهم جميعا ، و حرق 250 رجل فى حريق كبير. (سفر العدد 16) .و فى اليوم التالي ، إنتفض جميع يهود المجتمع رافعين السلاح جراء ما فعل بهم الإلاه عن طريق موسى و هارون. وعندئذ لأنّ " الإلاه رحيم و لا يغضب بسهولة " بالطبع قام بالإعتذار بإسهاب ، معترفا بقسوته و واعدا بعدم تكرار ذلك ، أليس كذلك ؟ **خطأ أيضا !** ردّ الإلاه بمزيد من القسوة : قتل 14.700 يهودي (و لعلّكم توقّعتم ذلك) بوباء**!** (" الإلاه الفاشي الأصلي" ، الجزء ب 3 ، الثورة عدد 16 ، 16 أكتوبر 2005).

و كما يلمح إلى ذلك بروكس : " على ما يبدو ، لدي الإلاه نوعا من الولع بالأوبئة . و يشير إلى أنّ :

" فى سفر اللاويّين ، يحيل الإلاه مرّة أخرى إلى واحدة من ممارساته المفضّلة – صبّ الأوبئة على الرؤوس كعقاب للذين لا يتبعونه :" مَتَى جِئْتُمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أُعْطِيكُمْ مُلْكًا، وَجَعَلْتُ ضَرْبَةَ بَرَصٍ فِي بَيْتٍ فِي أَرْضِ مُلْكِكُمْ." قال ذلك الإلاه قبل عرض السيرورة المناسبة التى ينبغى إحترامها لتنظيف منزل ضربه الإلاه ذاته بوباء ! (سفر اللاويّين 14) . و فى سفر اللاويّين 20 ، مرّة أخرى يقدّم الإلاه تبريره المفترض للقسوة التى صبّها على سكّان كنعان : ذلك التبرير ، من جديد، هو أنّ سكّان تلك الأرض قد إنحرفوا عن طرقه أو قاوموها : " فَتَحْفَظُونَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَجَمِيعَ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا لِكَيْ لاَ تَقْذِفَكُمُ الأَرْضُ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لِتَسْكُنُوا فِيهَا. [23]وَلاَ تَسْلُكُونَ فِي رُسُومِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ. لأَنَّهُمْ قَدْ فَعَلُوا كُلَّ هذِهِ، فَكَرِهْتُهُمْ. [24]وَقُلْتُ لَكُمْ: تَرِثُونَ أَنْتُمْ أَرْضَهُمْ، وَأَنَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا لِتَرِثُوهَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً. " (سفر اللاويّين 20) .(" الإلاه الفاشي الأصلي " الجزء أ4 ، الثورة عدد 19 ، 23 أكتوبر 2005 . و فى علاقة بغزو كنعان ، أنظروا إضافة إلى سفر اللاويين ، سفر العدد الأصحاح 13 و 14 ؛ سفر الخروج ،الأصحاح 23 ؛ سفر التثنية الأصحاح 9 و سفر التكوين ، الأصحاح 15) .

و نسترسل مع " الإلاه الفاشي الأصلي " – الذى يجب أن يكون عنوانه أكثر سطوعا فى هذه النقطة حيث يحيل بروكس على سفر العدد ، الأصحاح 25 الذى يخبرنا بأن بعض اليهود قد سقطوا تحت تأثير نساء مديانيات و لم يمارسوا معهن الجنس وحسب بل كذلك – حتى أكثر شناعة ! – قد غرّرن بهم ليعبدوا آلهتهن . إذن مثلما يروى بروكس : " عند إكتشاف هذا ، صار الإلاه غاضبا جدّا إلى درجة أنّه قضى على 24 ألف يهودي (هل من تخمين ؟ أي تخمين ؟) نعم ، بوباء ! (" الإلاه الفاشي الأصلي " ، الجزء 4 ، الثورة عدد 20 ، 30 أكتوبر 2005).

والآن الإجابة على السؤال الذى طرحه بروكس،عقب تصوير واحدة من هذه الفظائع المرتكبة من قبل إلاه الكتاب المقدّس، يجب أن تكون أوضح حتى : " هل نرفع راية هذا النوع من الإلاه أو نؤمن به ؟ "

لكنّنا لم نرى بصورة تامة مدى تعطّش هذا الإلاه إلى الدم ، هو وخادمه و فارضه موسى . لذلك علينا العودة إلى سفر العدد 31 . و لعلّه لا وجود لجزء آخر من الكتاب المقدّس ينطوى على إحتفال سافر بالغزو بلا ندم و بلا رحمة و بالذبح و الإغتصاب مثل ذلك الموجود فى سفر العدد . فهذا الجزء من سفر العدد يروى معركة موسى واليهود ضد المديانيّين . و نذكّر بأنّ موسى و الإلاه كانا ، حسب الكتاب المقدّس ، غاية فى الغضب ضد المديانيين و كذلك ضد العديد من اليهود لأنهم كانوا ينامون مع نساء من مديان أغوينهم ليعبدوا آلهتهنّ ، عوض عبادة " الإلاه الواحد الحقيقي " لليهود . و هكذا ، أمر الإلاه موسى فأمر موسى الناس : أخرجوا و أذبحوا المديانيين . و كذلك فعلوا. و يمكن أن نقرأ هذا فى سفر العدد 31، الآيات 13 إلى 18 و 31 إلى 35 . و هنا سأركّز على الآيات 17 إلى 18 .

خرج قادة الجيش اليهودي و ذبحوا المديانيّين ثمّ عادوا و أطلعوا موسى على ما صنعوا فغضب موسى غضبا شديدا . هل غضب لأنّهم ذبحوا المديانيّين؟ لا . لقد غضب لأنّهم كانوا **رحماء** جدّا إذ لم يقتلوا سوى الكهول من الذكور و أخذوا بعض ماشيتهم و ممتلكاتهم الأخرى . و قال موسى : سحقا ! حسنا ربّما ما كان ينبغى أن نقول ذلك (ضحك) ، لكنّه قال لهم : عودوا أدراجكم إلى هناك و لا تقتلوا فقط كلّ كهل ذكر يمكن أن يكون قد نجا ، بل أقتلوا كذلك كلّ طفل ذكر من المديانيين و كلّ أنثى ليست عذراء . و النساء العذاري ، قال موسى ، يمكن أن تتخذوهنّ غنائم حرب ، كصاحبات – يعني عبيد جنس.

إن كنتم لا تصدّقوننى، هذا هو المقتطف كلمة كلمة ، فى سفر العدد - وهنا يتحدّث موسى بإسم " الإلاه " :

" فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ . وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ. " (سفر العدد 31: 17-18).

و ماذا عن يشوع و معركة أريحا ؟ لقد سمعنا جميعا عن يشوع و معركة أريحا و قد سمع الكثيرون عن أغنية دينية شعبية التى كُتب عنها و التى تخبرنا بكيف أن سور أريحا " سقط " . و غالبا لا يقال لنا ما الذى حدث **بعد** أن " سقط " السور .

و مرّة أخرى ، حسب أوامر الإلاه ، دخل أتباع هذا الإلاه أريحا و ذبحوا جميع السكّان . و إذا نظرنا مثلا إلى يشوع ، الإصحاح السادس ، الآيات 16 إلى 19 ثمّ بصورة خاصة إلى الآية 21 ، سنجد أنّه بعد أن " سقط " السور : " وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. ". و بذات المناسبة كذلك **الأطفال الصغار** ضمن " أعداء الإلاه " لم ينجوا من " عدالة " هذا الإلاه و رسوله يشوع (1).

و الآن إن قرأتم فى ثنايا كتاب سفر أشعياء الذى ما المفترض أنّه أحد أفضل أجزاء الكتابات اليهودية ، سترون (مثلا ، فى الفصول 11 و 14) أشعياء يمضى قدما فى الحديث عن الإنتقام الذى سيلحق ببابل لإضطهادها الشعب اليهودي و على الأمم الأخرى التى تعارض دين " الإلاه الواحد الحقيقي " و تتّبع أديانا أخرى . و من جديد نساء بابل و نساء الأمم الأخرى سيقع إغتصابهمّ و سيقع كسر رؤوس الأطفال و كلّ الرجال سيقع ذبحهم . المرّة تلو المرّة تلو المرّة ، يعلنه الرسول أشعياء و يُنشده أناشيدا تقريبا .

و عادة ما نسمع عن المزامير فى الكتاب المقدّس و كيف أنّها تعابير عن حبّ الإلاه و رحمته و ميزات رائعة أخرى . حسنا لننظر فى سفر المزامير 137 . وُجدت عمليّا أغنية موسيقى الريجي قامت على هذا وهي تبدأ ب " [1]عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ." . حسنا ، هذه هي الآيات الأولى من فى سفر المزامير 137 . لكن ما هي الآيات الأخيرة ؟ هذه هي اللآيات 8 و 9 التى تختم ذلك المزمور :

" يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! 9طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ ! ".

و بالفعل ، إذا قبلت بما يقوله الكتاب المقدّس ، الإلاه ليس أفضل من دراكولا . والمشكل الوحيد هو أنّ الإلاه أقوى من دراكولا . شخصية دراكولا فى الأدب و فى الأفلام كانت قائمة ، على الأقلّ دون تدقيق ، على وجه تاريخي فى رومانيا قبل قرون عدّة كان إسمه فلاد الأمبالير . و بالنسبة للأعداء ، مثل الأتراك الذين مارسوا الإسلام ، وكذلك الفلاحين الذين إنتفضوا ضد حكمه فى رومانيا ، فإنّ الشكل المفضّل لديه للإنتقام كان تعليقهم - فيوثق أجسادهم إلى أعمدة و يجعلهم إلى النهاية يتعفّنون إلى أن يموتوا . هذا هو الأساس التاريخي لشخصية دراكولا .

و فى الكتاب المقدّس ، لا يتحرّك موسى بإسم الإلاه فحسب و يقتل آلافا من شعبه هو ، اليهود ، لأنّهم قدّسوا صنما (أنظروا سفر الخروج ، الفصل 32 ، و خاصة الآيات 25 إلى 29) لكن لاحقا عندما يعلم الإلاه أنّ رجالا يهودا – و نبدأ من جديد مرّة أخرى – يقيمون علاقات جنسية مع نساء من موآب تغويهم ليقدسوا آلهتهنّ عوضا عن " الإلاه الواحد الحقيقي " ، يأمر " الإلاه الواحد الحقيقي " موسى ب " خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ الشَّمْسِ. " (هذا مجدّدا من سفر العدد ، الفصل 25 ، الآيات 1 إلى 5).

وفق الكتاب المقدّس نفسه ، هذا النوع من الذبح و النهب و الإغتصاب المطبّق المرّة تلو المرّة تلو المرّة فى إنسجام مع أوامر الإلاه . و الأسفار الخمسة الأولى من ما تسمّى أسفار " موسويّة " من الكتاب المقدّس (مثل سفر يشوع) المأكّدة على تكريس النهب و الإغتصاب و الذبح – بما فى ذلك القتل الجماعي للرضّع و الأطفال – تكريسا تاما بلا رحمة . ثمّ يشاهد المرء اليوم هؤلاء الأصوليين المسيحيين الذين يشبهون المومياء أمام مصحّات الإجهاض ملتحفين بالكتاب المقدّس و يتهمون النساء اللاتي تجرين إجهاضا و الأطبّاء الذين يسهرون على إجراء تلك العمليّات بأنّهم " قتلة أطفال " – مشوّهين ما يحدث عمليّا مع الإجهاض ، حاجبين واقع أن أكثر من 90 بالمائة من عمليّات الإجهاض تحصل خلال الثلاث الأشهر الأولى من الحمل حينما يكون الجنين صغيرا للغاية و لم يتطوّر إلى درجة عالية و بعيدا عن أن يكون قادرا على الحياة لوحده . يسعى هؤلاء الأصوليين المسيحيين المتزمّتين إلى تقديم الأشياء كما لو أنّها تامة التطوّر و أنّ أطفالا صغارا مستقلّين يتعرّضون إلى القتل عندما يجهض الجنين . لكن ، إلى جانب الجهل المدقع الذى يعبّرون عنه ويروّجون له ، هناك النفاق و السخرية العميقين بأنّ الكتاب المقدّس ذاته الذى يرفعونه كسلاح ضد نساء حوامل لا تبغين ذلك الحمل – أنّ الكتاب المقدّس ذاته يدعو المرّة تلو المرّة تلو المرّة إلى ذبح **عمليّ** للرضّع و الأطفال .

الكتاب المقدّس حرفياّ فظيع

لكلّ هذا ، بقناعة و مبرّرات عميقة ، ينبغى أن نقول إنّ الكتاب المقدّس حرفيّا فظيع . و تتطلّب المسألة الجوهرية أن تُطرح: هل أنّ ما يصوّره الكتاب المقدّس بشأن الناس وعلاقاتهم – كيف يتعيّن أن تكون هذه العلاقات و كيف **يجب** أن تكون حسب قوانين الإلاه – هل هذا فعلا نوع العالم الذى نرغب فيه ؟

من ما تمّ عرضه إلى الآن و ما سنتعمّق فيه لاحقا فى ثنايا هذا الكتاب ، يصبح واضحا بلا مراء أن الآتي ذكرهم بعض من العلاقات و المعتقدات فى منتهى الإضطهاد التى يُدافع عنها الكتاب المقدّس – و ليس فقط يُدافع عنها ، بل يدعو إليها و يأمر بها و يحتفى .

العبودية و أشكال أخرى من الإستغلال بلا رحمة .

هيمنة الرجال على النساء و إخضاعهن ، بما فى ذلك ما يسمى حقّ الغزاة الذكور فى خطف النساء ، لا سيما العذاري كغنائم حرب و إغتصابهنّ و جعلهنّ صاحبات – يعنى عبيد جنس – لدي الغزاة .

إعدام النساء المدّعى أنّهن ساحرات .

إدانة المثلية الجنسية ليس على أنّها ذنب فحسب بل على أنّها رجس يستحق الموت .

حقّ و بالفعل واجب ، على حدّ أمر الإلاه ، نهب الناس و ذبحهم – بما فى ذلك الرضّع و الأطفال – الذين يتبعون دينات أخرى .

ذبح المؤمنين ب"الإلاه بالواحد الحقيقي" الذين يغضبون ذلك الإلاه .

قتل الأطفال الذين يتمرّدون على آبائهم .

الإعتقاد فى التطيّر والخوف ، و الخوف المولّد للجهل ، من أشياء مثل طرد الأرواح الشرّيرة من الجسم.

المفهوم المريع أنّ المرض سببه الخطيئة .

الحكم باللعنة الأبدية و العذاب الذى لا يحتمل فى جهنّم على الذين لا يقبلون ب " الإلاه الواحد الحقيقى " – و فى حال المسيحية ، أنّ المسيح إبن الإلاه الذى وقع صلبه لكنّه بُعث من جديد من الموت .

كلّ هذا ، إلى جانب عديد الفظائع والإساءات الأخرى ، يدافع عنه الكتاب المقدّس و يروّج له . إذا كنت تؤمن بالكتاب المقدّس – و خاصة إن كنت تؤمن و تشدّد على أنّ إلاها أملاه ، أو أنّه الكلمة التى أوحى بها الإلاه و كلّ هذا يجب أخذه حرفيّا – عندئذ يجب أن تقول إنّ كلّ هذه الفظائع و الإساءات أشياء صحيحة و جيّدة لأنّ الكتاب المقدّس يقول إنّها صحيحة و جيدة . وهذا بالضبط الحال مع الأصوليين المسيحيين اليمينيين الذين يمكن نعتهم بصفة دقيقة جدّا بالمسيحيين الفاشيين .

الأصوليّون المسيحيّون ، مسيحيّون فاشيّون

و مباشرة الآن ، يمكن أن تثار مسألة : " لماذا نطلق على هؤلاء الأصوليين المسيحيين اليمينيين مسيحيين فاشيين " ؟ حسنا، السبب البسيط و الأساسي هو أنّهم مسيحيون و هم فاشيون (ضحك). إنّهم النسخة الحديثة الأمريكية اليوم من النازيين فى ألمانيا و على رأسهم هتلر ، فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية و أثناءها . إنّهم يرغبون فى فرض تيوقراطية فاشية على المجتمع – شكل قمعي مفتوح من الحكم الرجعي ، يخدم مصلحة الطبقة الرأسمالية و نظام الإستغلال الرأسمالي – الإمبريالي الذى فيه القانون و ممارسة السلطة السياسية سيكونان مستندين و مبرّرين بأساس الكتاب المسيحي و " قانون الكتاب المقدّس " – كما تأوّله الوجوه ذات السلطة المهترف بها على أنّها شرعية من قبل المسيحيين الفاشيين .

على الدوام يتكلّم هؤلاء المسيحيين الفاشيين عن " الأخلاق التقليدية " و يشدّدون عليها . لذا لنفحص أكثر التقاليد و الأخلاق التقليديّة التى يشدّدون عليها عمليّا و يريدون فرضها على كافة المجتمع . ما الذى يشمله هذا عمليّا و ما الذى يمثّل فعليّا ؟ من الأشياء البارزة للغاية هي أنّ هؤلاء المسيحيين الفاشيين حين يواجهون بأنواع الفظائع التى أشرت إليها ، و العديد منها متركّزة فى العهد القديم من الكتاب المقدّس ، سيقولون : " آه ، ذاك هو العهد القديم الذى كان للإلاه مع الأمة القديمة لليهود. ذاك هو العُرف القديم . و الآن لدينا عُرف جديد ، عهد جديد قائم على حياة المسيح و تعاليمه و موته و إعادة بعثه ".

حسنا ، كأمر واقع العهد الجديد يدافع عن أشياء مثل العبودية و إخضاع النساء . فعلى سبيل المثال رسائل بولس فى العهد الجديد تقوم بهذا بالأحرى بإصرار . فبولس يأكّد مرارا و تكرارا على أنّه على العبيد أن يعلنوا الولاء و يطيعوا أسيادهم (أنظروا مثلا 3: 22-24 رسالة كولوسي) . العهد الجديد فى شخص بولس – الذى ، كما سأعود للأمر لاحقا ، هو أكثر الشخصيات تأثيرا فى العهد الجديد - يأمر الناس بأن يخضعوا للسلطة الأرضية بغض النظر عن مدى إضطهاد هذه السلطة الأرضية و مثلما وضع ذلك بولس ، لأنّ هذه السلطة الأرضية تسير بأمر الإلاه (أنظروا رسالة روما 13: 1-7). و العهد الجديد يأكّد بكلمات المسيح نفسه (على غرار ما فى إنجيل يوحنّا 14:6 و إنجيل يوحنّا 15:6) أنّه إذا لم تتبعه و تقبل بما يُعلمه ، لن تكون قادرا على دخول الجنّة وعوض ذلك ستُلعن و يصيبك عذاب رهيب فى جهنّم إلى الأبد (2). لذا إن كنت تؤمن بالكتاب المقدّس و تشدّد على القبول به حرفيّا ، على أنّه كلمة الإلاه المعصوم من الخطإ و التى لا تتغيّر ، عليك أن تؤمن بأنّ كلّ إنسان يتبع دينا آخر – و حتى الأطفال الذين يموتون فى سنّ مبكرّ ، دون معرفة أي شيء عن الدين بشكل أو آخر – تجب إدانتهم باللعنة الأبدية لأنّهم لم يقبلوا بالمسيح على أنّه منقذهم .

الهوامش :

1- أمّا بالنسبة لقصّة كيف أنّ يشوع ، فى معركة أخرى ، جعل الشمس و القمر يتوقّفان بينما كان اليهود " ينتقمون من أعدائهم " ، فهذه بالطبع أسطورة لا أساس لها فى الواقع : إلى جانب كون الأرض عمليّا هي التى تدور حول الشمس و ليس العكس (وهو أمر قمعته السلطات الكنسية المسيحية قدر ما إستطاعت من الزمن ، عبر إستعمال التعذيب و وسائل أخرى، لأنّ هذا الأمر الأساسي يتناقض مع ما يقال فى الكتاب المقدّس) ، لئن كانت حركة الشمس و الأرض و القمر قد تأثّرت كما يدعى الكتاب المقدّس ، فى سفر يشوع ، فإنّ ذلك كان سيفرز تبعات كارثية و لم نكن لنوجد هنا لقراءة هذه الحكاية فى الكتاب المقدّس . (أنظروا سفر يشوع 10 : 10-13).

2- و كذلك جدير بالنظر فيه حكاية عيسى المسيح عن العشرة دنانير التى وفقها يعطى رجل نبيل عشرة دنانير لعشرة عبيد يملكهم ، ثمّ بعد مدّة يجازيهم أو يعاقبهم حسب كيفية إستعمالهم للمال – إن كانوا قد إستثمروه بذكاء أو بذروه بغباء . و فى نهاية هذه الحكاية - التى من المفترض أنّها تخصّ مجيئ مملكة الجنّة و ما سيلقاه الصالحون و الطالحون لمّا يحين الوقت – يقول الرجل النبيل فى الحكاية : " أمّا أعدائي الذين لا يريدون أن أملك عليهم ، فجيئوا بهم إلى هنا و أقتلوهم أمامي " (أنظروا لوقا 19: 1-27؛ و ما إقتبسناه هنا هو الآية 27) . و ليس دون أي سبب أن المسيحيين الفاشيين فى الولايات المتّحدة، بما فى ذلك فى الجيش الأمريكي ، يأوّلون هذه الحكاية و خاصة آيتها الأخيرة (لوقا 19: 27) على أنّها إعلان عن أنّ الذين لا يعترفون بالمسيح كإلاه و منقذ سيواجهون بلا رحمة الدمار عندما تأتي مملكة الجنّة . و مثلما جاء فى تقرير لجريدة حزبنا ، الثورة (العدد 98 ، 13 أوت 2007) فى لقاء صحفي مع مجلّة تكّون وصف ميكاي واينشتاين من المؤسسة العسكرية للحرّية الدينية نظرة الأصوليين المسيحيين فى جيش الولايات المتحدة : " عادة ما يستشهدون بلوقا 19: 27 حين أتحدّث إليهم . وهي حكاية الدنانيرالتى يقول فيها المسيح : " أمّا أعدائي الذين لا يريدون أن أملك عليهم، فجيئوا بهم إلى هنا و أقتلوهم أمامي ".

تسليط ضوء حقيقيّ على عيسى

مع كلّ " الهالة " الغامضة و المقدّسة حول عيسى ، من المهمّ أن ننظر فيه و نتفحّص ما الذى وقف من أجله على ضوء الحقيقة . وفق هذا الكتاب المقدّس ، يلتقى عيسى شخصا مريضا بداء الصرع ، و كيف كان من المفترض أن يعالج داء الصرع ؟ عبر طرد الأرواح الشرّيرة . على ما يبدو ، الإلاه العالم بكلّ شيء ، في شخص عيسى ، لم ينتبه إلى حقل الطبّ. و حتّى إن كان الناس حينها لم يفهموا ما هو السبب المليّ لداء الصرع ، إن كان الاه موجودا ، فإنّه كان ينبغي عليه أن يعرف ذلك . هناك العديد من الأشياء التي لم يكن الناس يعرفها في ذلك الوقت و لذلك (مثلما لا يزال يحدث عادة اليوم) حين لا يفهمون الأشياء يقومون بعمليّات عقلنتها و تفسيرها . و تنتهى هذه التفسيرات عادة و بالفعل عامة إلى توبيخ الناس أنفسهم و الإعتقاد في سوء حظّهم .هذه كلّ النقطة حول الأمراض التي تتسبّب فيها الذنوب : يقول الكتاب المقدّس إنّ عيسى يمضى يشرع في معالجة المرض بطرد الأرواح الشرّيرة و التخلّص من الذنوب. و كلّ هذا موجود في العهد القديم .

و ليس فقط أنّ بولس في رسائله – و أيضا في العهد الجديد – يدافع عن العبوديّة غير أنّ عيسى نفسه في سفر أمثاله يقبل بالعبوديّة كمعطى .هناك مثل الأعشاب الضارة ضمن الحنطة و مثل الخادم عديم الرحمة والمستاجرين الأشرار و مثل حفل عشاء العرس و مثل المواهب – كلّ هذه الأمثال تقبل بفكرة أنّ العبوديّة و الإضطهاد سيوجدان في هذا العالم و يستخدمهما كوسيلة لإستخلاص دروس من أجل الحياة . أنظروا إنجيل متّى 10: -24-25 فهناك يقول عيسى [ياسوع المسيح] : " لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. يَكْفِي التِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ، وَالْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ."

[الكتاب المقدّس باللغة العربيّة المعتمد من هنا فصاعدا هو ذلك المنشور على رابط الأنترنت التالى [المرتجم]:

و بالنظر إلى مكانة المرأة ، يقبل عيسى مرّة أخرى كمعطى علاقات هيمنة الذكور كما هي في العهد القديم . و عادة أولئك الذين يبحثون في عيسى – و يقدّمون عيسى على أنّه بطل مظلوم و مضطهد و مهمش ويحاججون بأنّ عيسى سمح للنساء اللاتى كنّ منبوذات و مدانات بإرتكاب ذنوب للإقتراب منه و حتّى بأنّ تصبحن جزءا من حلقته المقرّبة و بالتالى وفّر عيسى نموذجا و طريقة لبلوغ المساواة بين الرجال و النساء و تخطّى آلاف السنوات من تبعيّة النساء و إهانتهنّ . (3)

(3- ليس في الغرب فحسب حيث كانت المسيحيّة الديانة المهيمنة لأكثر من 1500 سنة بل كذلك في آسيا وُجدت محاولات في الأزمان الحديثة لإعادة إخراج عيسى على أنّه مدافع عن المضطهَدين و تعاليمه على أنّها أساس " لاهوت التحرير " . و من أهمّ هذه المحاولات محاولة موجودة في كتاب " **المسيح الداليت ، لاهوت التحرير لضحايا المنبوذين في الهند ، نسخة هنديّة من الأبرتايد** " لأم . أر. آرولراجا . في " مقدّمة " هذا الكتاب ن أطروحته الأساسيّة تتلخّص في :

" الداليت الذين أعادوا قاءة الكتاب المقدّس في إطار صراعهم من أجل التحرّر واجهوا عدّة مفاجآت .

لقد وجدوا أنّ صراع عيسى كان تحديدا ضد ممارسة النبذ الطبقيّ السائدة في المكان الذى عاش فيه و في زمانه . لم يكن عيسى يقدّم تحددا مثالا للداليت لينجزوا العبور بشكل وديع إلى الموت . كان بالأحرى يطالبهم بقتال الميز العنصريّ للكاست حتّى و إن كان ثمن ذلك حياته ؛ و أصبح نضاله مفيدا لهم بصفة مباشرة . لقد إكتشفوا في عيسى بطلهم ، قائدهم ، إلاههم الذى مات من أجل تحريرهم " .(الصفحة 7 رومانيVII)

و مرّة أخرى ، في " الخاتمة " ، يحاجج :

" يؤكّد عيسى بأقواله و أفعاله أنّ النبذ الطبقيّ أسطورة إنّه يمسّ الداليت و يقول إنّهم أبناء الإلاه بقدر ما هو إبنه . كافة البشر أبناء للأب الواحد. و الأب نفسه لا يمكن أن يكون له أبناء ينتمون إلى كاست مختلفين ..." (ص 210)

ما يحيل عليه آرولراخا هو اللحظات في الكتاب المقدّس التي يبلغ فيها عيسى و يعانق الناس المدانين بذنوب و المعاملين كمنبوذين و نيّته (و أحيانا حتّى تأكيده على) القطيعة مع إنخراط دغمائيّ في القوانين الموسويّة الصارمة ،و كذلك الطريقة التي يطالب بها المسيح بالرحمة و الشفقة للفقراء و المعذّبين . و يبحث آرولراخا كذلك عن بناء أطروحته على واقع أنّ عيسى في لحظات إعترف بالإخلاص و ميزات أخرى إيجابيّة لدي غير اليهود وأنّ بولس فعل أكثر من ذلك كمسألة سياسيّة، نشر الرسالة المسيحيّة و نظّم المجموعات المسيحيّة بصفة متصاعدة في صفوف غير اليهود . لكن كما يقرّ بذلك آرولراخا (مثلما سيتمّ نقاش ذلك بصفة أتمّ لاحقا في هذا الكتاب) ، لاحظ عيسى أنّ جهوده كانت تستهدف أساسا و بصفة طاغية اليهود- دين نسخة من اليهوديّة ،و تطوّرت المسيحيّة في البداية كطائفة من اليهوديّة – و قرار بولس التركيز أساسا و بشكل متزايد على غير اليهود أتى ليس كتمسّك بمبدأ رفض " النبذ الطبقيّ " و إنّما بالأحرى كضرورة فُرضت بسبب رفض المسيحيّة من قبل الغالبيّة الساحقة من اليهود و الإنفتاح المتنامى لها في صفوف عدد من غير اليهود في منطقة البحر الأبيض المتوسّط الأوسع . و بصفة أكثر جوهريّة ، كما سجّلنا ذلك بعدُ ،و سنحلّل أكثر في ثنايا هذا الكتاب ، تعاليم عيسى و المسيحيّة لا تهدف بالفعل إلى تجاوز أو توفير أساس لتجاوز علاقات الإضطهاد في هذا العالم الحقيقيّ : بالعكس ، هما تجسّدان و تنشران و تعزّزان مثل هذه العلاقات بما فيها بعض التعبيرات الكثر مرارة).

لكن الحقيقة هي أنّ الكتاب المقدّس واضح بشأن أنّ عيسى و بولس أكثر بكثير كمسألة سياسيّة ، نشر الرسالة المسيحيّة و نظّم المجموعات المسيحيّة بصورة متصاعدة في صفوف غير اليهود . **لم يتحدّى** أبدا بل أدمج ضمن تعليماته نظرة دونيّة للمرأة في علاقاتها بالرجل ، و بالفعل ، أساسا كملكيّة للرجل – نظرة متجذّرة عميقا في الكتابات المقدّسة و التقاليد الدينيّة التي تبنّأها عيسى نفسه . و لا يجد هذا تعبيرا أكثر تركيزا عنه ممّا هو في مسألة **العذريّة** .

لا يضع الكتاب المقدّس تشديدا كبيرا حسب على " الولادة العذراء " المفترضة لعيسى و صورة أمّ عيسى ، مريم كإنسانة لم " لم تقم علاقة جنسيّة مع رجل " قبل زواجها و يقال لنا أكثر من ذلك إنّها حملت عيسى ليس نتيجة علاقة جنسيّة مع زوجها ، يوسف ، و إنّما عبر معانقة الروح المقدّسة ، لكن مجدّدا ، تتبنّى تعاليم المسيح أنّ العذريّة و العفّة فضائل أساسيّة للنساء - و ينعكس هذا على سبيل المثال في مثل العشرة وصيفات (إنجيل متّى 13:1-25) و كذلك في نقاشات عيسى للزواج و (الطلاق). لذا ، من المهمّ فهم كامل هذا المفهوم للعذريّة – و الأهمّية المنوطة بها – و ما يقوم عليه و بدوره ما يعكسه.

قبل آلاف السنوات ، حينما تطوّرت المجتمعات الإنسانيّة و تغيرت على نحو أنّ الثورة التي ينتجها المجتمع كانت تستحوذ على معظمها مجموعة صغيرة من الناس الذين كانوا يسيطرون و يستغلّون البقيّة – حينما ظهرت الملكيّة الخاصة و الثروة

الخاصة للأشخاص و تطوّرت – عندها لم يكن الدور الأساسي للمرأة يتقلّص بصفة متزايدة نحو أن تكون مُربّية للأطفال ، و إنّما كذلك أضحى حيويّا في ضمان أن يكون أبناؤها من زوجها كي يمكن نقل ملكيّته إلى **ورثته** – و خاصة منهم **الذكور** – و **ليس ورثة شخص آخر** . و بالتالى كان يجب التحكّم بإنتباه كبير في النشاط الجنسيّ للنساء .

ما هي الوسائل التي تمّ من خلالها فعل ذلك ؟ حسنا ، في مجتمع ملكيّة خاصة للثروة و الممتلكات ، طفل أنثى ، حين تكون صبيّة ثمّ حين تصبح شابة ، كانت ملكيّة أبيها . أحيانا ، كن يستعمل زوجته أو أمّه (حماة الزوجة) لممارسة مراقبة إبنته لكن في كلّ الحوال هو ، ألب ، في نهاية المطاف من يراقبها . و تلبية لهذه المتطلّبات البطرياركيّة و العلاقات الإجتماعيّة التي يسيطر عليها الذكور ، كان مسؤولا عن ضمان أنّه عندما تتزوّج تكون عذراء . نلاحظ تواصل هذا التقليد إلى يومنا ،و ليس فقط في الثقافات الإسلاميّة حيث يجرى عادة قتل الشابات على يد أعضاء من أسرتها الخاصة ، إذا فقدن عذريّتهنّ "- حتّى إن جرى غغتصابهنّ – لأنّ هذا يُعتبر مجلبة للعار لعائلتها (هناك ما يسمّى ب " جرائم الشرف ") . أنظروا كامل حملة " الإمتناع عن ممارسة الجنس " التي تروّج لها أعى مستويات الحكم في الويلات المتّحدة اليوم . و بينما يقع تشجيع الذكور و الإناث و يجبرون على الإلتزام ب " الإمتناع عن ممارسة الجنس " (العذريّة إلى الزواج) ، لا شكّ ، كما كان على الدوام ، أنّ مثل هذا التشديد على العذريّة يثقل أكثر كاهل البنات و الشابات .و كما سنرى ، إن توصّل المسيحيّون الفاشيّون إلى مبتغاهم ، سينزل العقاب لا سيما بالبنات و النساء اللاتى لم " تمتنع عن ممارسة الجنس " – اللاتى لم تكن عذراوات عند الزواج – و هذا العقاب سيكون **القتل** : هذا ما تتطلّبه قراءة حرفيّة للكتاب المقدّس و هؤلاء المسيحيّين الفاشيّين جدّيون للغاية بشأن الإنخراط الصارم في " توصيات الكتاب المقدّس " و جعلها القانون المسير للحياة الإجتماعيّة على الأرض .

و أنظروا إلى التشديد المتجدّد في أمريكا في العقود الأخيرة على حفل الزواج التقليدي : تأتى العروس في " ثوب عرسها الأبيض الجميل " و لنتساءل لماذا صار الثوب **أبيضا** ؟ لأنّ الأبيض لون يمثّل العذريّة . و من " يسلّم العروس" إلى زوجها؟ **الأب** . بالفعل ، و مهما كانت درجة الوعي بالنسبة لأشخاص معيّنين ، ما يحدث موضوعيّا هو أنّ الأب يستمرّ في تكريس التقاليد البطرياركيّة لتقديم ملكيّته إلى المذبح و تسليمها للزوج الذى سيتّخذها الآن كملكيّة **له** .

إذا عُدنا إلى " التقاليد اليهوديّة – المسيحيّة " التي تجسّد و تشجّع كامل هذه النظرة و الممارسة الخاصتين بالزواج ، سيكون جليّا للغاية أنّ مسألة العذريّة – عذريّة **العروس** – مسألة في منتهى الجدّية . على سبيل المثال ، إذا قرأنا سفر التثنية ، االأصحاح 22 ، الآيات 13 إلى 21 ، سنرى هذا مرسوما **كصورة واضحة جدّا** . هناك ، تحت عنوان " العروس المتّهمة ". يجرى الحديث عن ما يحدث إذا " تزوّج رجل إمرو بعد إقامة علاقة جنسيّة معها يكرهها أو يوجّه لها تهما و يشوّهها بقول " لقد تزوّجت هذه المرأة لكن عندما نمت معها لم أجد دليلا على عذريّتها ". حسنا إذن ، ما المفترض أن يجري إذا إتّهم الزوج زوجته على هذا النحو ؟ مثلما يقدّم ذلك الكتاب المقدّس في سفر التثنية ، على أولياء العروس أن يقدّموا دليلا على عذريّة العروس ل " الشيوخ (الذكور) من المجموعة . ما هو هذا الدليل ؟ يجب أن يقدّموا خرقة قماش بالدم ليلة الزواج أمام المجموعة و يرفعونها و يقولون : هذا هو دليل أنّها كانت عذراء و سب سفر التثنية إن أمكن توفير مثل هذا الدليل عندئذ فإنّ الزوج الذى إتّم زورا زوجته يجب أن يدفع خطيّة – **لوالد** الزوجة . و من الناحية الأخرى ،

" ... إِنْ كَانَ هذَا الأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا .فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ. "

(**سفر التثنية** ، الأصحاح الثاني و العشرون ، الآيات 20-21)

سيكون من العسير السؤال عن موقف أجلى بصدد المعنى في كلّ هذا هو علاقات **حيازة ملكيّة** ، فيها المرأة الشابة ملكيّة : أوّلا لأبيها (و لذا التهم الزائفة ضدّها لكونها ليست عذراء ستعنى خطيّة تدفع **لأبيها** (و لهذا ، إن كانت التهم حقيقيّة ، يكون على **أبيها** ، إلى جانب **الرجال الآخرين** في المجموعة التي يفترض أن تشارك في قتلها) ؛ ثمّ ، عقب زواجها و مفترضين إنّها نجحت في " إختبار العذريّة " ، تصبح ملكيّة زوجها و قائمة على مزيد الملكيّة له (أطفال – مجدّدا – خاصة الأطفال **الذكور**).

فكّروا في كلّ الإضطهاد و العنف المرتبط بهذا و في كلّ الطرق التي أدّى بها هذا ليس فقط إلى الإعتداءات الجسديّة ضد النساء بعديد الأشكال بل كذلك العذابات النفسيّة غير المحتملة للنساء – إلى يومنا هذا .

هذه هي التقاليد التي كان عيسى متجذّرا فيها ، تقاليد لم يقطع معها قط و إنّما في الواقع روّج لها و شجّع عليها .

و كمثال آخر عن هذا ، فكّروا في ما قاله عيسى بشأن الطلاق . فحسب عيسى (مثلا ، لوقا ، 16:18 ، و متّى الأصحاح 5: 31-32) ، حصول طلاق و إعادة الزوارجتساوى خيانة زوجيّة – ذنب . تصوّروا ،و لسوء الحظّ ليس علينا تصوّر ما كان تأثير هذه " التعاليم " عبر العصور ، عبر آلاف السنوات من العلاقات الإجتماعيّة للتفوّق الذكوريّ . فكّروا في تأثير هذا خاصة على النساء الواقعات في براثن زواج إضطهادي و عدواني – فكرة ترك زوج إضطهادي و عدواني ، فكرة أنّها خطيئة ، فكرة مساواتها مع الخيانة الزوجيّة . فكّروا في كافة العذاب الفظيع الحقيقي الذى تسبّب فيه هذا و رسّخه عبر القرون و القرون و القرون – الناس و النساء بوجه خاص ، يواجهون هذا الخطاب الذى تطلقه السلط الدينيّة ، ذاكرة الكتاب المقدّس و كلمات عيسى نفسه . و اليوم ، في أمريكا القرن الواحد و العشرين ، نجد المسيحيّين الفاشيّين و قد ألهمتهم – و هم يدافعون عن إستخدام – هذه " التعاليم " ، يسعون إلى جعل الحصول على الطلاق أعسر ، بهد نهائيّ لمنع و تجريم الطلاق جميعه (شاهدوا المحطّات المفاتيح في هذا الإتذجاه ، ب" بنود " " ميثاق الزواج " التي وقع تبنّيها في أكثر من ولاية في الولايات المتّحدة).

و بعدُ يقول البعض : " أجل ، لكن هناك شيء بشأن عيسى " [ضحك] يُشدّدون على : " رغم كلّ هذه الأشياء في الكتاب المقدّس – و حسنا ، هي موجودة في العهد الجديد و ليست فقط في العهد القديم – هناك شيء بشأن عيسى ، و رسالة حبّه و مهمّته الأساسيّة ، و هذا ما يجب بعدُ أن نتمسّك به " . حسنا ، مرّة أخرى ، لننظر في ما يفعله المسيح و يقوله ، في مضمونه الفعلي و تبعاته و تأثيراته الفعليّة . لنعد إلى الوراء إلى ما فعله عسى في ما يسمّى بمعجزات الشفاء في الكتاب المقدّس ، إلى الطرق التي يعالج بها عيسى عذابات الناس على أنّها بسبب الأرواح الشرّيرة أو خطيئة المرضىة المعذّبين . و على سبيل المثال ، في متّى 17: 14-20 ، مثلما أشرت إلى ذلك قبلا ، هناك قصّة عيسى المفترض أنّه يشفى صبيّا مصابا بداء الصرع بطرد الأرواح الشرّيرة . لكن هناك قصّة لوقا 5:17-26 حيث المرض مرتبط بالذنب و عيسى يشفى شخصا و يغفر خطيئته. و في لوقا 8، الآيات 26-39 ، نجد أنّ عيسى يعالج رجلا مريضا عقليّا بطرد الروح الشرّيرة . و في هذه الحال ، عيسى نوعا ما شرّير قليلا إذ هو يقذف الروح الشرّيرة في نتوء الخنازير فيسقط الخنازير من الجرف – و أتصوّر أنّ مالك الخنازير لم يكن راضيا على ذلك . [ضحك]

هنا يجب طرح سؤال : إذا كان عيسى يمضى حوله إفتراضيّا ليعالج الناس على هذا النحو ، لماذا لم تكن لديه معرفة أفضل؟ إذا كان هذا المفترضإبن الإلاه (جزء من ذات جوهر الإلاه ، حسب عقيدة التثليث المسيحيّة المهيمنة) كيف لم يعرف عيسى أنّ داء الصرع تتسبّب فيه أشياء ماديّة حقيقيّة – مشاكل مع السيرورات الكهربائيّة و الكيميائيّة في المخّ ؟ كيف فكّر في أنّ الأمر كان متعلّقا بروح شرّيرة أو شيطان ؟ أو إذا أراد احدهم أن يحاجج بأنّ عيسى **لم** يكن يملك معرة أفضل إلاّ أنّه إختار الحديث مع الناس بلغة عصرهم حينها ، لديّ سؤال آخر : لماذا لا يقول الحقيقة للناس و يساعدهم على فهم الواقع كما هو عمليّا بما في ذلك الأسباب الحقيقيّة للمرض و الأسى ؟ لماذا يعزّز المسيح المفترض أنّه يحبّ البشريّة بدلا من قول الحقيقة، يعزّز الجهل و التطيّر – و إلى جانب هذا ، الشعور بالذنب و الخوف ؟

و إذا فكّرتم في أنّ التطيّر و الجهل اللذين تشجّعهما هذه التقاليد الدينيّة المرتبطة بعيسى ليست ضارة ، فكّروا من جديد – فكّروا في صورة الفلاّحين في المكسيك و هم يزحفون على بطونهم أمام ضريح العذراء مقطّعين أنسجة لحمهم و داعين لأن تغفر خطيئتهم لأنّهم مرضى و مشلولون . كلّ هذا يتسبّب في جحم هائل من الضرر.

و عليه ، لنتحدّث بصورة أعمّ عن ما هي النظرة الحقيقيّة للإنسانيّة لدي عيسى .

لقد قال عيسى نفسه إنّه بالإمكان إختزال وصايا و برامج العهد القديم في وصيّتين (أنظروا إنجيل متّى 22:34-40). أولى الوصيّتين ، قال ، هي " تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ ." الان يمكن أن نقول إنّ الوصيّة الثانية [تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ] تمثّل شيئا أفضل من أن نقول للناس إنّه يجب أن يكرهوا جيرانهم ويقتلوهم وينهبوهم. بيد أنّ هذه الوصيّة الثانية **لا يمكن** تطبقها في المجتمع الإنسانيّ . و لما لا ؟

حسنا ، لنأخذ الوصيّة الأولى " تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ ." . هنا بالذات يكمن مشكل . و المشكل هو أنّ افلاه غير موجود – و لهذا الشبب الأساسيّ ، لا يمكن تطبيق هذه الوصيّة لكن من أجل سلامة المحاججة و اللإستمرار فيها ، لنضع جنبا للحظة واقع أنّه لا وجود لإلاه . لئن وُجد إلاه ، الإلاه الوحيد الذى يمكن أن يكون عيسى يتحدّث عنه هو إلاه العهد القديم و الكتابات المقدّسة اليهوديّة . هذا هو الإلاه ، الإلاه الوحيد الذى كان عيسى معتادا عليه و الذى إليه تحيل الكتابات المقدّسة بشكل متكرّر . حسنا ، شخص يبحث عن القيام بالخير في العالم لا يمكنه و **لا يتعيّن عليه** ، حبّ إلاه كهذا – لجميع الأسباب التي تكلّمت عنها إلى حدّ الآن (و التي سأتوغّل في شرحها بشكل حتّى أتمّ و نحن نتقدّم).

أمّا بالنسبة إلى الوصيّة الثانية ، ليس حقّا ممكنا حبّ كافة جيرانك في نهاية الأمر . في عالم متميز بإنقسامات طبقية عميقة و بلامساواة إجتماعيّة كُبرى ، في الوقاع ليس ممكنا حبّ و التصرّف بحبّ مع كلّ الناس بغضّ الطرف عن الموقع الطبقيّ الذى يحتلّونه و الدور الذى يلعبونه في المجتمع و في علاقة بالطبقات و المجموعات الأخرى من البشر . إن أحببتم ملاّكى العبيد ، كيف تستطيعون حقّا حبّ العبيد ؟ إن أحببتم المستغَلّين و المضطهَدين ، ليس بوسعكم حقّا حبّ الذين يستغلّونهم و يضطهدونهم . لو تصرّفنا إنطلاقا من حبّ احدهما ، ليس بوسعنا موضوعيّا التصرّف إنطلاقا من حبّ الآخر ، لأنّ حاجياتها و مصالحهما متعارضة جوهريّا و متناقضة عدائيّا . يريد العبيد التحرّر من العبوديّة و يرد ملاّكو العبيد أن يبقوا العبيد في أغلالهم . كيف يمكن أن تحبّوهما معا ؟ لا يمكن أن توجد تسوية بينهما على أساس الحبّ أو أي أساس آخر لأنّ في العالم الحقيقيّ سيضطرّان إلى التصرّف بطرق متعارضة مع – و بالمعنى النهائيّ ، ضارة ل – حاجيات الطرف الآخر و مصالحه .

سيبحث العبيد بحثا متكرّرا عن التمرّد ضد ملاّكى العبيد . و حين يتمرّدون لا يكونون مهذّبين و لطفاء و محبّبين . يرغبون في الإطاحة بإضطهادهم . فلمّا قاد نات ترنر تمرّد العبيد في جنوب الولايات المتّحدة في القرن التاسع عشر ، قتل هؤلاء العبيد كافة أنواع البيض – و منهم الأطفال ، وهو شيء ربّما ما كان عليهم فعله ، لكن أمورا مشابهة عادة ما تحدث حينما ينهض الناس الذين ظلّوا لفترة طويلة و بمرارة مضطهَدين و يحاولون إيجاد سبيل للتخلّص من إضطهادهم . طبعا ، يحتاجونقيادة للقيام بهذا على أفضل وجه غير أنّه حين ينهضون ليس بوسعنا أن نقول " آه الآن ، إنتظروا دقيقة ، يجب أن تحبّوا أسيادكم ". و إذا **أحببتم أسيادكم** ، عندئذ ستخاطبون العبيد بأن يكونوا لطفاء و مطيعين للأسياد لأنّ هذا هو ما يحتاج إليه الأسياد و يطلبونه من العبيد .

و هكذا ، كمسألة واقع ، باحثين عن تسوية لن يفعل سوى مساعدة المضطهِدين و المستغِلّين لأنّهم في موقع هيمنة و هم سعداء جدّا بوجود تسوية تقدّم للذين هم تحت سيطرتهم. و بصفة عامة ، هم سعداء بوجود الوضع كما هو أ سعداء بالحفاظ على **الوضع السائد** . وهو الوضع الذى ستؤدّى إليه محاولات التسوية عندما لا تؤدّى إلى عنف أسوأ حتّى ينزل بالمضطهَدين.

و كما ألمحت إلى ذلك قبلا ، بكل الحديث عن الحبّ و السلام المنسوبين إلى المسيح ، في آخر المطاف ، قال ، إذا لم تؤمنوا بى ، ستحكمون على أنفسكم بعذاب جهنّم إلى الأبد . لذا هذه ليست رؤية و برنامجا جيّدين بالنسبة إلى الإنسانيّة أو يجب تطبيقهما من طرف من يحالون جهدهم تحسين أوضاع المضطهَدين و الإنسانيّة ككلّ .

و مسألة أخرى تلمس شيئا أساسيّا للغاية هي المسألة التالية : لماذا كان المسيح خاطئا في توقّعاته بشأن بعض الأحداث الحيويّة ؟ حسب الكتابات المقدّسة ، عيسى و كذلك بولس ، كانا واضحين جدّا في التأكيد على أنّ البعث الثانيّ سيأتى قريبا جدّا . فعلى سبيل المثال ن لو نظرنا في إنجيل متّى ، الأصحاح السادس عشر، الآيات 27 و 28 ، سنلاحظ أنّ عيسى يقول:

" ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ :إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ ".

بعسر يمكن أن يوجهنا شيء أوضح من هذا . و عقب ألفي سنة بعسر يمكن أن يكون بديهيّا أكثر خطأ !

ما يبيّنه هذا مرّة أخرى هو أنّ المسيح ليس كائنا ما فوق الطبيعة ، جزءا من ذات معدن الإلاه ، الأب و في الوقت نفسه إبن الإلاه .(4)

(4- هنا لن أحاول مزيد التوغّل في إستكشاف غموض عقيدة التثليث المسيحيّة (الإلاه الأب ، الإبن و الروح القدس) . و هذا شيء لا يقدر أحد حقّا على شرحه – رغم أنّه من الهام تسجيل أنّ الحجج و الصراعات المتّصلة بهذه العقيدة قادت خاصة في القرون الأولى من المسيحيّة إلى قدر كبير من الصراع و النزاع في منتهى العنف في صفوف معارضى الطوائف المسيحيّة و تماما قد عذّبوا و قتلوا بعضهم البعضم . و روايات لهذا يمكن العثور عليها ، ضمن مواقع أخرى ، في أهمّ عمل من أعمال ادوارد جيبنس ، **" إنهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة و سقوطها ")**.

و تحتاج أفكارا عيسى و رؤاه و ما أفضت إليه تقييما بالضبط مثل أفكار و رؤى أيّ إنسان آخر وهو ما كان عليه عيسى و كلّ ما كانه . و قد تحدّثت بعدُ بشيء من الإسهاب عن لمذا لا يمكن لهذه الأفكار و لهذه الرؤى و لن فضي إلى عالم آخر، عالم جديد و أفضل راديكاليّا ، عالم دون إضطهاد و إستغلال ، بالضبط هنا على الرض ، في هذا الواقع الماديّ – وهو الواقع الوحيد الموجود.

ماذا عن الوصايا العشر

إلى جانب واقع أنّ العهد الجديد نفسه – و تعاليم وجهيه الأساسيّين ، عيسى و بولس – يمكن أن يبيّن تجسيده و تأكيده على كافة أنواع العلاقات الإستغلاليّة و الإضطهاديّة و الأفكار المناسبة ، عادة بشكل متطرّف ، الواقع هو أنّ الذين يؤمنون بالمسيحيّة لا يريدون أن يعتمدوا على العهد الجديد وحده – و ليس بوسعهم ذلك . و ينطبق عذا فوق كلّ شيء على الأصوليّين المسيحيّين الفاشيّين . و في ضوء هذا يمكن أن نشاهد ساطعا بحدّة نفاق الذين حين يواجهون الفظائع الحقيقيّة جدّا التي يتمّ الدفاع عنها و التشديد عليها ، في ما يسمّة بالكتب " الموسويّة " و في مواقع أخرى من العهد القديم من الكتاب المقدّس ، (5) يبحث عن تجنّب هذا بالتأكيد على :

(5 – مصطلح " الكتب الموسويّة " يحيل على الكتب الخمس الأولى من الكتاب المقدّس التي يُزعم أنّها كتبت من قبل موسى . و قد أشار أكاديميّو الكتاب المقدّس بوضوح إلى أنّ هذه الكتب لم تكن في الواقع الشخصيّة المحال عليها في الكتاب المقدّس على أنّها موسويّة قد كتبتها – و يزيد من إقتراح هذا واقع أنّه في الخامس من هذه الكتب (سفر التثنية)، يقول المؤلّف أن موسى قد مات !

(أنظروا سفر التثنية 5:34 ؛ الأصحاح الرابع و الثلاثون ، الآية 5 [فَمَاتَ هناك مُوسَى...])

" هذا العهد القديم ، و الآن ، من خلال عيسى ، لدينا العهد الجديد ". حسنا ، إن كان الأمر كذلك – إن تم تعويض العهد القديم و حلّ محلّه العهد الجديد – بالتالى ماذا عن الوصايا العشر ؟ لماذا يزعجون الجميع بالوصايا العشر ، مطالبين بنشرها في جميع الماكن على أنّها " مرشد و معيار أخلاقيّين " ؟ أين هي الوصايا العشر في الكتاب المقدّس ؟ لن تعثروا عليها في العهد الجديد . الوصايا العشر موجودة في قلب العهد القديم . إنّها في توراة الكتابات المقدّسة اليهودية القديمة ، في " الكتب الموسويّة " من العهد القديم من الكتاب المقدّس المسيحيّ. إنّها جزء حيويّ من العقد القديم ، من العهد القديم .

و ماذا عن القاضي مور في آلاباما – وهو بطل كبير للمسيحيّين الفاشيّين و قد تحدّث عن المشاركة في الانتخابات من أجل أن يصبح حاكم آلاباما (يبدو أنّه يبحث عن أن يصبح جورج والاس هذا العصر)؟ لماذا شدّد على وضع الوصايا العشر مرشدا لمحكمة آلاباما ؟ لم يقل له أحد : " آه ، هذا العهد القديم . عليك أن تنساه . الآن ، لدينا عهد **جديد** . تخلّص من هذه الوصايا العشر " . لماذا لم يملّوا أبدا من قول – و ذكر الكتاب المقدّس لدعم مواقفهم – إنّ الوصايا العشر يجب أن يتمّ الدفاع عنها و تطبيقها ؟ لماذا يتحدّثون عن سفر المزامير على أنّه يفترض أن يكون كتبها الملك داوود و ذكاء الملك سليمان؟ كلّ هذا في العهد القديم .

حسنا ، روبرتسن و أمثاله الآخرين على حقّ في أمر واحد : الكتاب المقدّس خاصة في العهد القديم منه ، يؤكّد على أنّ الوصايا العر و أجزءا أخرى من " القانوني الموسويّ " يجب فعلا تطبيقها **حرفيّا و دون إستثناء أو وسم** . يقال لنا هذا مثلا في الأصحاح الخامس من سفر التثنية - و فعلا بصفة متكرّرة عبر سفر التثنية . و ليس من الواضح جدّا فقط هنا (وفى ماقع أخرى من العهد القديم بوجه خاص) أنّ كلّ هذا يجب أن يطبّق حرفيّا لكن يواصل الكتاب المقدّس عقب تعداد الوصايا العشر ، ليُعيّن عقوبات محدّدة جدّا – عقوبات قاسية و خبيثة – لعدم تطبيق الوصايا العشر . وهي نهائيّا أكثر ليست عشر " نصائح " أو " طلبات " .و ما هي هذه العقوبات ؟ من لا يطبّقون هذه الوصايا يجب أن يُقتلوا ليس فحسب بسبب أشياء مثل إقتراف جريمة قتل بل أيضا لتقديس آلهة أخرى (إلى جانب " الإلاه الوحيد الحقيقي ") أو الكفر بالإلاه. يجب قتلهم لعملهم السبت . يجب قتل الأطفال لعدم تشريفهم لأبيهم و أمّهم : بكلمات أخرى ، إن كنت طفلا متمرّدا تضرب أولياءك أو حتّى إن كنت تقلّ إحترامك لهما حسب الكتاب المقدّس يجب أن ينفّذ في حقّك **حكم الإعدام** .

و يشدّد الكتاب المقدّس على أنّ الناس يجب قتلهم لعدّة أسباب أخرى لا يراها معظم الناس في عالم اليوم على أنّها حتّى جرائم فما بالك بأنّه يجب أن تنجرّ عنها عقوبة الموت . كلّ هذا يُعبّر عنه بوجه خاص في سفر الخروج و سفر لآويّين و سفر التثنية .

ما الخاطئ في الوصايا العشر ؟ كيف يمكن أن يلحق زرع هذه القيم في نفوس الناس ضررا و خاصة لدى الشباب اليوم ؟ إنّ هذه الوصايا **تدافع عن العبوديّة** . لنلقى نظرة على الوصيّة العاشرة و ما تقوله .

" لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ .لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لقريبك ". و هنا نكتشف شيئا معبّرا جدّا . لمّا روّج القاضي مور في آلاباما – و ليام بينت (6)الذى كتب " **كتاب الفضائل** " سعيا منه للترويج للقيم

التقليديّة المعتمدة على الكتاب المقدّس - لمّا روّج الوصايا العشر، كلّ ما ضمّنه في الوصايا العشر هي الكلمات " لاَ تَشْتَهِ ". ما الذى ترك خلفه ؟

(6- من أجل نقد لكتاب بينت " **كتاب الفضائل** " ، من جهة نظر شيوعيّة ، أنظروا كتابى ، " **الوعظ من أعلى المنابر ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليديّة** " ، بانر براس ، 1999 ،و خاصة البحث الأوّل في ذلك الكتاب : " الوعظ من أعلى المنابر : الواقع وراء " فضائل " وليام بينت " .)

حسنا ، إذا عدنا إلى الكتاب المقدّس نفسه ، يقول لنا ما الذى يفترض أن لا تشتهيه – ما لا يفترض أن تحسد و ترغب عن خطأ من ممتلكات جارك . لا يفترض أن تشتهي بيت جارك و لا ثوره و لا حماره ، **و** لا يفترض أن تشتهي **عبده أو أمته** أو زوجته – و هنا مجدّدا يمكن أن نلاحظ أنّ في العلاقات الإجتماعيّة المجسّدة هنا و في مواضع أخرى من الكتاب المقدّس، حين يجرى الحديث عن " القريب " يتمّ الحديث عن **الرجل** في الأسرة وهو الذى يشار إليه أمّا **زوجته** فيقع تعدادها ضمن ممتلكاته مثلها مثل بيته و ثوره و حماره و عبده و أمته . لذا ، إلى جانب تقديس علاقات إضطهاد بطرياركيّة ، يقول الكتاب المقدّس إنّ العبوديّة شيء جيّد ، فقط لا تحاول أن تسرق من جارك عبيده الذين هم شرعيّا ملكا له .

(يمكن العثور على الوصايا العشر في سفر الخروج ، الأصحاح 20 ، الآيات 1-17

[1ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً : 2 أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ3 .لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي4 .لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ5 .لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ،6 وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ7 .لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً8 .اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ9 .سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، 10وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ .لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْد كَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ 11 .لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ .لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ 12 .أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْ طِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.

13لاَ تَقْتُلْ 14 .لاَ تَزْنِ 15 .لاَ تَسْرِقْ 16 .لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ 17 .لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ .لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لقريبك ." – المترجم])

ما الغلط في الوصايا العشر ؟ الكثير . ما الضرر الذى سينجرّ عن وضع الوصايا العشر موضع تطبيق في كلّ الأماكن بما في ذلك كافة الأماكن العامة – ألن يكون ذلك جيّدا للتربية الأخلاقيّة لأطفالنا ؟ لا ، **لن** يكون – ليس عندما ندرك كنه ما تتحدّث عنه عمليّا هذه الوصايا و عندما نرى ما هي العقوبات المطلوبة لمن يقف ضد هذه الوصايا .

لا عهد جديد دون العهد القديم

كواقع و كما يعلم ذلك جيّدا القادة المسيحيّون الفاشيّون ، العهد القديم هو أساس العهد الجديد . فعلى سبيل المثال و هذا مهمّ للغاية ، العهد القديم أساس إدّعاء أنّ عيسى هو المسيح المنتظر. لهذا يبدا إنجيل متّى بالطريقة التي يبدأ بها ، بذكرالشجرة العائليّة لعيسى . و بالمناسبة يبدو أنّ الإلاه إختلطت عليه الأمور عند إملاء هذه الشجرة العائليّة – أو كان قد شرب من الخمر أكثر من اللازم السبت أو شيئا من هذا القبيل – لأنّ مختلف الأنساب المقدّمة في إنجيل متّى و في لوقا (أنظروا لوقا 3:23 مقابل متّى 1:1-17). لكن النقطة المركزيّة هنا هي أنّ الشغل الشاغل لهذه الشجرة العائليّة هي إرساء أنّ المسيح منحدر من نسل داوود كأحد شخصيّات الكتاب المقدّس . ما هي أهمّية ذلك ؟ لماذا يوجد ذلك في العهد الجديد ؟ لأنّه حسب الكتابات المقدّسة اليهوديّة القديمة (التي تمثّل في جزء كبير منها ، أو هي في الأساس مساوية للعهد القديم من الكتاب المقدّس المسيحي) ، المسيح المنتظر ينحدر من سلالة داوود . و دون تلك السلطة من العهد القديم ، كامل إدّعاء أن عيسى هو المسيح المنتظر لم يكن ليحظى بقاعدة .

لقد ظهرت المسيحيّة كطائفة ضمن اليهوديّة ثمّ غدت دينا منفصلا عنها عقب زمن عيسى . كانت متجذّرة تمام التجذّر في العهد القديم . و كان عيسى عادة ما يحيل على الكتابات المقدّسة من العهد القديم – و كما سنرى ، كان أحيانا يقوم بذلك بصورة خاطئة ،و هذا بعدُ مشكل آخر مع " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " (على ما يبدو ضمن أشياء أخرى هناك بعض عدم التواصل بين الب و الإبن و أجزاء من التثليث).

و ممّا أشرت إليه قبلا أنّه من المهمّ جدّا و المعبّر جدّا بصدد هذه الأنساب هو أنّه لمّا بلغ تركيز نويا عيسى و شرعيّته على أنّه المسيح المنتظر ، يتمّ رسم النسب إلى من ؟ إلى يوسف ، إلى أبيه . لكن ما علاقة يوسف بعيسى ؟ ف " بذرة " يوسف لا صلة لها بعيسى . تذكّروا أنّ عيسى وُلد من **عذراء** . و مريم قد حبلت بفعل الروح المقدّسة . لا صلة ليوسف و نسبه بشخص عيسى . لذا ، لماذا تقع الإشارة إلى يوسف في إطار توفير شجرة عائلة لعيسى ؟ يعكس هذا طبيعة المجتمع البطرياركي الذى يُهيمن عليه الذكور و الذى كان يعيش فيه عيسى – و الدين عكس ذلك المجتمع . **لهذا** ، رغم ما يفترض من ولادة عيسى من عذراء فإنّ نسبه يرسم من خلال سلسلة من البطرياركات / الآباء المؤسّسين . و مرّة أخرى ، كلّ هذا – و زعم شرعيّة عيسى على أنّه المسيح المنتظر – يعود إلى العهد القديم .

أبعد من ذلك ، كانت الكتابات المقدّسة للعهد القديم تذكر بصفة متكرّرة من قبل عيسى كأساس لما كان يؤمن به و يعظ به . لم يكن العهد الجديد ليجد أيّ سند له دون العهد القديم و عليه ، لا يزال العهد القديم مضمّنا بعدُ في الكتاب المقدّس المسيحيّ، في نهاية المطاف .

المسيحيّة الأصوليّة و مسيحيّة " منضدة السلاطة " [" الإختياريّة "]

حقيقة ، محاولة تجنّب الإعتراف و (لإستخدام تعبير دارج جدّا هذه الأيّام) " تحمّل مسؤوليّة" الأشياء الرهيبة و الفظائع التي تتمّ الدعوة إليها في العهد القديم – هذه الخدعة حول كيف أنّ " هذا العهد القديم و الآن لدينا العهد الجديد " – هو في الأخير ، مجرّد نسخة أخرى من " مسيحيّة " منضدة السلاطة " [منضدة تعرض عليها أنواع من السلاطة و الحريف يختار ما يرغب في إستهلاكه لذلك أضفنا " الإختياريّة " التي سنستخدم من هنا فصاعدا لوصف هذه المسيحيّة - المترجم] التي يدينها عادة و بشكل عنيف الأصوليّون المسيحيّون الفاشيّون كجزء من تأكيدهم على أنّ الكتاب المقدّس دقيق و صحيح مطلقا وهو كلمة الإلاه التي لا تخطئ و التي يجب الإيمان بها و إتّباعها حرفيّا و في كلّ جزئيّاتها – هذا شيء يؤكّد عليه بصفة مستمرّة المسيحيّون الفاشيّون – بإستثناء لمّا يقع قنصهم بمقتطف من الكتاب المقدّس يجدون من العسير شرحه بصورة جيّدة و رؤيته كعائق (وقتها) لأهدافهم . ثمّ يمضون هم أنفسهم إلى المسيحيّة " الإخياريّة ".

ما يحيل عليه الأصوليّون الرجعيّون حين يتحدّثون عن و يندّدون بغيرهم على أنّهم يمارسون المسيحيّة " الإخياريّة " ، هي ظاهرة رجال الدين الليبراليّين و آخرين الذين يماثلون أنفسهم و التقاليد الدينيّة المسيحيّة لكنّهم يدعون إلى نوع من التعدّد الثقافي و يحاججون بأنّ هناك عدّة طرق لبلوغ الإلاهي ، لذا ينبغي أن نشدّد على أنّ طريقتنا هي الوحيدة و على أنّ القبول بعيسى على أنّه منقذنا هو السبيل الوحيد لحياة قويمة . حسنا ، هل هناك حقيقة في زعم أنّ هؤلاء الناس يمارسون ما يمكن أن يسمّى ب المسيحيّة " الإختياريّة " ؟ أجل. هناك ظاهرة حيث " يأخذون و يختارون " من الكتاب المقدّس و التقاليد الدينيّة المسيحيّة – معانقين ما يريدون الإعتقاد فيه و ما يشعرون بالراحة في الإعتقاد فيه بينما يدوسون أو يضعون جانبا ما يجعلهم غير مرتاحين أو منزعجين على أنّه خاطئ أو فات أوانه و ما إلى ذلك . الأمر يُشبه شبها كبيرا جدّا منضدة سلاطة و يتقوّم الخطّ في : " أريد هذا لكن لا أريد ذاك ؛ حسنا سآخذ قسطا من هذا لكنّي حقّا لا أرغب في ذلك – لا أريد كامل ما في الكتاب المقدّس بشأن قتل الأطفال المتمرّدين على أوليائهم – سأضع ذلك جانبا ، و سآخذ هذا الجزء حول الحبّ و السلام " . و هذه ظاهرة شائعة ضمن المسيحيّين الليبراليّين و التقدّميّين هذه الأيّام . لكن بعد ذلك ، تثار مسألة أساسيّة جدّا : حين تكون بالفعل قد أنكرت أنّ الكتاب المقدّس و التقاليد الدينيّة المسيحيّة صحيحين و صالحين لكافة الأزمان و كافة الظروف ، حين تكون قد جعلت موضوعيّا مسألة ما يقول **البشر** إنّه صحيح و صالح في كلّ هذا ، عندئذ أين هي " السلطة الإلاهيّة " في أي من هذا ، و كيف يختلف الأمر في أي شيء عن المجموعة الأخرى من المعتقدات و المبادئ التي أنشأها البشر و منهم الذين لا يدّعون أنّ لديهم أيّة سلطة إلاهيّة ؟ لماذا يجب أن تتمتّع عقائدك **أنت** بميزات نسبة لعقائد الآخرين بأنّها موضع بعض السلطة الخاصة السحريّة أو " الهالة " ؟

هذه مسألة هامة سأعود إليها لاحقا ، لكن الواقع هو أنّه في عالم اليوم و في المجتمع الأمريكي بوجه خاص ، **كلّ شخص** يدّعى أنّه مسيحيّ يمارس مسيحيّة " إختياريّة " بشكل أو آخر . و حتّى الأصوليّين المسيحيّين يمارسون " الإخياريّة " - فبينما يُنكرون ذلك و يهاجمون الآخرين لفعله – إنذهم يشدّدون على أنّهم يؤمنون بكلّ كلمة في الكتاب المقدّس ، و على أنّه يجب أخذ ذلك حرفيّا ،و على أنّه حقيقة مطلقة منحها الإلاه في كلّ مقطع من مقاطع الكلمات ؛ بيد أنّهم هم أنفسهم يضعون جانبا و لا يتحدّثون عن أشياء إن كانوا يدافعون عنها صراحة ستكشف بأكثر بداهة أنّهم مجانين وحشيّون .

وعلى سبيل المثال ، إذا كنتم تتبنّون كلّ ما في الكتاب المقدّس ، يجب عليكم من واجبكم و مسؤوليّتكم تقديم أضاحى حيوانيّة. و معظم الناس بمن فيهم معظم الأصوليّين المسيحيّين (على الأقلّ في الولايات المتّحدة) لا يفعلون ذلك ، على حدّ علمى . و كما رأينا ، عليكم أن تشدّدوا فقط على ضرب الأطفال لمعاقبتهم - وهذا ما يسمّى في الكتاب المقدّس:" التأديب بالعصا "- لكن أيضا على **قتل** الأطفال المتمرّدين . و يكون من الواجب عليكم أن تؤمنوا و أن تنادوا ليس فحسب بإدانة المثليّين الجنسيّين بإعتبارهم مرتكبين للخطيئة ، لكن أن تنادوا أيضا بإعدامهم و أن تؤمنوا بأنّ النساء خلال العادة الشهريّة غير نظيفات و أنّه على الرجال أن يتجنّبوا أيّة صلة بهنّ ؛ و أن تؤمنوا بأنّ النساء المتّهمات بالسحر يجب إعدامهنّ . و عليكم أن تؤمنوا ب و تمتدحوا إغتصاب النساء و معاملة النساء كغنائم حرب و عبيدات جنس حين تخاض حرب مقدّسة ضد أناس يؤمنون بإلاه آخر غير " الإلاه الوحيد الحقيقي " . و يكون عليكم أن تؤمنوا بأنّ الذين يمارسون ديانات أخرى يجب قتلهم .

و مسألة شلرعيّة و غاية في الأهمّية ينبغي إثارتها أمام هؤلاء الأصوليّين المسيحيّين الفاشيّين : ما هي ؟ بطريقة أو أخرى – سواء كنتم تؤمنون بأنّ الكتاب المقدّس في حدّ ذاته هو " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " ، و كلّ كلمة صحيحة مطلقا و ينبغي الإيمان بها و إتّباعها أم لا ، لو لم تتّجهوا نحو الدفاع عن كلّ ذلك – بما فيه أنواع الفظائع التي ألمحت إليها للتوّ هنا – ستعترفون عندئذ بأنّكم لا تؤمنون بكلّ كلمة و كل جزء من ه و بأنّ هذا لا يمكن أن يكون كلمة الإلاه المطلقة . و إذا كنتم لا تؤمنون بأنّ كلّ هذا يجب الدفاع عنه و التصرّف على أساسه ، حالئذ تقدّموا و قولوا ذلك . ينبغي أن نجبر هؤلاء الناس ليعبّروا بشكل مفتوح أكثر كي يصبح من الأوضح ما يرمون إليه حقّا . لا ينبغي أن نسمح لهم بأن يطلقوا هراء و أن يضعوا جانبا ما هو غير مناسب لهم في الوقت الحاليّ من الكتاب المقدّس و التقاليد الدينيّة المسيحيّة .و في الوقت نفسه ، من المهمّ فهم أنّ الأشياء التي لا يرغبون في الدفاع عنها و الترويج لها بشكل سافر اليوم ، قد يؤكّدون عليها و يبحثون عن فرضها غدا . و حتّى اليوم ، بينما القادة في أعلى المراكز ضمن المسيحيّين الفاشيّين - أولئك الذين يحتلّون مواقع نفوذ قويّة فى الحكم (و هناك اليوم عدد لا بأس به منهم) أو الذين في أيّ حال لهم صلات قويّة بأعلى مستويات الحكم ، أولئك الذين هم بصفة متكرّرة ضيوف و معلّقون في برامج " الأخبار " السائدة حيث تتمّ معاملتهم ليس كأصوات شرعيّة فقط بل أيضا كأصوات محترمة – بينما قد **يبحثون** عن تجنّب و عن أن لا يشرحوا وافر الشرح على الأقلّ ببعض الأمثلة الأكثر مرارة الوحشيّة منشودة في الكتاب المقدّس ، و هناك **آخرون** هم الآن بالذات يروّجون لهذا بشكل سافر و بلا إعتذار و يحوّلون الدين على هذا الأساس .

و من المهمّ جدّا فهم أنّ كلّ هذا جدّي للغاية . هؤلاء الناس – و ليس فقط الذين عبّروا عن جنونهم أكثر في الشوارع و الذين لا علاقات بديهيّة لديهم بأعلى هرم السلطة لكن كذلك الأصناف الأكثر " إحتراما "الذين يبدون أحيانا و كأنّهم يتحدّثون بلهجات معقلنة و الذين عادة ما يغطّون برنامجهم الفاشيّ بنعوت ظاهريّا غير مؤذية مثل " العائلة " (" قناة العائلة " [سابقا شبكة البثّ المسيحي] ، و " تحالف قيم العائلة " و ما شابه)- يرغبون عمليّا في قراءة حرفيّة للكتاب المقدّس كما يؤوّلونه **هم** لتكون الأساس الذى يجرى تسيير البلاد عليه – و كلّ شخص لا يتّبع ذلك سيقع قمعه و حتّى إعدامه في عديد الحالات. إنّهم يؤمنون عمليّا وصولا إلى جورج بوش أنّه ليس لديهم فقط صلة خاصة مع الإلاه بل إنّهم أيضا يتلقّون أوامرا و تعليمات من الإلاه بما في ذلك صدور أمر غزو العراق و إحتلالها و خوض " الحرب ضد الإرهاب " عامة .

و الآن ، كثير من الناس المختلفين عن جورج بوش و الذين لا يملكون ذلك النوع من النفوذ و لا يقترفون تلك الأنواع من الجرائم يعتقدون أنّ لديهم صلة خاصة مع الإلاه . و يعتقد الكثير من الوعّاظ أنّ لديهم قنوات مباشرة مع الالاه . و قد كان لرتشارد برايز كامل هذا البرنامج الفرعيّ حول فيلم " **الأكسرسست " / " طارد الأرواح الشرّيرة** " وهو شريط عن شابة كانت إفتراضيّا مصابة بروح شرّيرة – كان رأسها يرتعش و سريرها يهتزّ و كانت تتحرّك في كلّ الإتجاهات و هكذا . و إستُدعى القساوسة لطرد الروح الشرّيرة فإستغرق الصراع مدّة طويلة . حسنا ، قال ريتشارد برايز إنّ هذا الشريط كان يتعيّن أن يكون أقصر و أبسط لو كان واعظ أسود هو الذى إعتنى بالأمور لأنّ للوعّاظ السود قناة مباشرة مع الإلاه . و كما أعرب عن ذلك برايز ، سيقول واعظ أسود : إلاهي تعلم أنّ شخصا ممسوسا تملّكته أرواح شرّيرة و كنت أفكّر – أعلم أنّ لديك الكثير من العمل فقد عاينت جدول أعمالك – لكن الشيطان ببساطة يتحرّك داخل المجنون . و كنت أفكّر لو بإمكانك طرد هذه الروح الشرّيرة من كليفلاند ، إلى مكان ما " . [ضحك]

حسنا ، ينبغي أن أقول أنّي أنفجر ضحكا تقريبا دون تمالك نفسى كلّما إستمعت إلى هذا – هذا أحبّ البرامج الفرعيّة لرتشارد برايز إلى قلبى إلاّ أنّه هناك أيضا جانب جدّي جدّا لهذا . ليس قبل وقت بعيد ، وجدت قصّة في الأخبار عن الأصوليّين المسيحيّين في دترويت الذين قتلوا صبيّا كان يشكو من مرض التوحّد وهو مرض ذهنيّ لأنّهم إعتقدوا أنّ روحا شرّيرة قد سكنته : جلسوا فوقه و خنقوه محاولين إخراج الوح الشرّيرة من جسده .

لذا ، عندما يؤمن الناس بهذا حرفيّا و يتصرّفون على أساس ذلك يكون الأمر غاية في الجدّة . و إنّه لفى منتهى الجدّية و من الممكن أن يكون خطأ مميتا أن تعترف بأنّ عديد و عديد الناس **يؤمنون فعلا** بهذا إيمانا حرفيّا و بتبعات مميتة ، و بأنّ قوّة كامنة من المجانين و فيالق إعصار متزمّتة تعدّ بالملايين يتمّ توجيهها و تدريبها لرؤية العالم على هذا النحو و لتستعدّ للتحرّك وفق ذلك – رغم الطرق التي يقف بها كلّ هذا في تناقض عميق و حاد مع ما يمكن أن يقبله معظم الناس في المجتمع المعاصر .

كتاب " **آلة الضجيج الجمهوريّة...** " لدافيد بروك – الذى كان منتميا إلى هذه الآلة الدعويّة الكاملة لليمينيّين لكّنه قطع معها و صار اللان ليبراليّا – يُناقش (خاصة في الفصل السابع منه ، " وزراء دعاية ") بعض الأشياء التي ينادى بها الوزراء الأصوليّون المسيحيّون المنتمون لكامل هذه الحركة اليمينيّة و الطرق التي يحاججون بها أنّ كافة هذه الأشياء الفظيعة التي حلّت بنا **يجب** أن يتمّ الدفاع عنها و تطبيقها كمبادئ مرشدة و قوانين في المجتمع ز و يذكر بروك أيضا كلام بات روبرتسن الذى أصدر مواقفا هي في الوقت نفسه مخيفة و مدعاة للموجودين في القمّة ؟ صحوة على ضوء واقع أنّها نموذجيّة و ممثّلة للذهنيّة المسيحيّة الفاشيّة و للأهداف المسيحيّة الفاشيّة و أنّ روبرتسن كان لعدّد سنوات وجها قويّ النفوذ في صفوف الحزب الجمهوريّ و بصرة أعمّ هو و عديد الآخرين ذوى النظرات المشابهة مترابطين وثيق الترابط مع أعلى مستويات الأوساط الحاكمة في الولايات المتّحدة . و إليكم تعليقات روبرتسن كما ذكرها بروك :

" لدينا عدد أصوات ناخبين كافي لتسيير البلاد. و حين يقول الناس " حصلنا على ما يكفى " ، سنغزو الساحات ... و ستكون معركة روحيّة . ستوجد قوى شيطانيّة ... لن نواجه فقط مجرّد بشر لنفوز عليهم في الانتخابات . سنواجه حربا روحيّة ...

لن يوجد سلام في العالم أبدا إلى أن تعطى للإلاه منزلته و لشعب الإلاه مكانته الشرعيّة في قمّة قيادة العالم . كيف يمكن أن يوجد سلام بينما المخمورون و متعاطو المخدّرات و الشيوعيّون و الملاحدة و عبدة شيطان العصر الحديث و الإنسانيّون العلمانيّون و الدكتاتوريّون المضطهدون و مزوّرو المال الجشعون و المجرمون الثوريّون و المثليّون الجنسيّون موجودين في القمّة **!** (ذُكر في بروك ، **" آلة الضجيج الجمهوريّة ، وسائل الإعلام اليمينيّة و كيف تفسد الديمقراطيّة "** ، ص 189 وهامش لبروكس مرتبط بمواقف روبرتسن هذه (الهامش عدد1 بالصفحة 391) و يذكر مقالا لشيب برلات ، **" اليمين**

يحلّق عاليا : الدغمائيّة و الأصوليّة الدينيّة في صفوف الحزب الجمهوريّ في الولايات المتّحدة " ، " التقدّميّ " ، 22 أكتوبر 1994 . و من أجل المصدر الأصليّ ، أنظروا ، بات روبرتسن، " النظام العالمي الجديد "، نشر الكلمة ، 1991 ، ص 227).

لسوء الحظّ ، الكثير من الناس الذين يجب أن يعرفوا معرفة أفضل لا يرغبون في مواجهة ما يجرى و تبعاته و يستبعدون ذلك على أنّه ضجيج مجانين منفردين . حسنا ، هؤلاء **المجانين** يشملون ضمن أشخاص آخرين جورج بوش و عدد مهمّ من السيناتورات و أعضاء الكنغرس ذوى النفوذ و أعضاء في المحكمة العليا . لذا ، أجل ن نحن بصدد الحديث عن مجانين لكن مجانين يمسكون بمقاليد السلطة بأيديهم.

الدين و الطبقات الحاكمة الإضطهاديّة

تحدّث نابليون بونابرت الذى صار قبل حوالي قرنين من الزمن حاكما لفرنسا ، بوضوح كبير عن لماذا تحتاج الطبقات الحاكمة الى تستغلّ و تضطهد الجماهير الشعبيّة – و بوجه خاص لما تحتاج إلى التشجيع على الدين في صفوف الطبقات الشعبيّة . فقال ببساطة كبيرة : " المجتمع غير ممكن دون لامساواة . واللامساواة لا يمكن الحفاظ عليها دون أخلاق لتبريرها. و بدورها الأخلاق لا يمكن الحفاظ عليها دون دين . "

و هناك أيضا مشهد مفيد جدّا من شريط **" سبارتاكوس "** أين كان يتحدّث بعض أعضاء مجلس نواب الحاكم في روما عن هذه المسألة ، مسألة الرعيّة و كيفيّة الإبقاء عليها تحت السيطرة و دور الدين في ذلك . فقال أحد سيناتورات روما لآخر : " هل تعتقد حقّا فى الآلهة ؟ " فجاء الردّ : " على النطاق الشخصيّ ، لا أؤمن بأيّ منها و أمام الملأ ، أؤمن بها جميعا ". و هذه طريقة أخرى لتسجيل النقطة ذاتها التي شدّد عليها نابليون .

في هذا السياق ، يمكن أن نفهم بصورة أتمّ دور شخص كرونالد ريغن . فقد وقع رفع ريغن نفسه إلى مستوى مكانة أيقونة من قبل الطبقة الحاكمة للولايات المتّحدة و قد نهض بدور جسيم في تشجيع الدين و خاصة الأصوليّة المسيحيّة . و الآن ، صحيح أنّه قبل ريغن ، أدخل جيمى كارتر مسألة الدين في حملته الإنتخابيّة الرئاسيّة سنة 1976 جاعلا نقطة مماثلة نفسه ب " مسيحيّ مولود من جديد " . لكن كارتر لم يدع أبدا و بطريقته الخاصة قد عارض نوع الأصوليّة الدينيّة المميّزة للمسيحيّين الفاشيّين ؛ كما لم يبحث عامة عن إستخدام مكانته على رأس الدولة لنشر الدين رسميّا . إلاّ أنّه بطرق لها دلالتها، قام رونالد ريغن بكلّ ذلك . و كجزء من الدور العالم في البحث عن التحقيق العدواني للمصالح الإمبرياليّة الأمريكيّة في العالم و الدفاع بحماسة عن برنامج قسم معيّن من الطبقة الحاكمة الأمريكيّة - و هذا يهدف إلى تشويه و تفكيك عدّة برامج إجتماعيّة و إدخال عدّة تعديلات في الحكم كي لا تقف في طريق الإستغلال الرأسمالي الجامح و الهيمنة السافرة للرأسمال الكبير و تفوّق البيض و البطرياركيّة غير المعتذر عنها – أعاد ريغن إلى درجة لها دلالتها إحياء إستخدام الصورة الدينيّة في تصريحاته السياسيّة و في الخطاب السياسي بصفة أعمّ موظّفا ذلك لتقديس مفهوم المكانة الخاصة و الدور الخاص و العظيم في العالم لما هو في الواقع مسيحيّة البيض الأمريكيّة و الإمبريالية الأمريكيّة .

و اليوم ، وقعت إعادة تصوير ريغن على أنّه وجه ودود طيّب و حتّى كقائد تقدّم بقضيّة السلم في العالم .إلاّ انّ الواقع هو أنّه رجل أخذ العالم إلى حافة الحرب النوويّة مع الإتّحاد السوفياتي . و كمؤشّر صغير لكن له دلالته عن الذهنيّة التي تميّز ريغن و التي شجّع عليها ، من المفيد التذكير بأنّه في مناسبة من المناسبات ، لمّا كان يستعدّ لإلقاء خطاب إذاعيّ ، قبل أن يشرع رسميّا في البثّ و إنّما كان يقوم بتسجيل الخطاب ، أطلق " مزحة " : " إنّنا نشرع في القصف القنابل بعد خمس دقائق ، ها ها ها **!** " . الآن ، فكّروا في أيّ نوع من الأشخاص و أيّ نوع من الطبقة الحاكمة يفكّر في أنّ هذا باعث على الضحك – المزاح بشأن بداية حرب نوويّة . و لم يأخذ ريغن العالم إلى حافة مثل هذه الحرب فحسب بل كان بوضوح ينوى دفع الأشياء لتتخطّى تلك الحافة في سعي منه لضمان جعل الولايات المتّحدة و ليس الإتّحاد السوفياتي هي القوّة التي تخرج من الحرب القوّة الإمبرياليّة المهيمنة على العالم .

أو أنظروا إلى نوع ريغن " العم الطيّب " و ما فعله في أمريكا الوسطى : دكتاتوريّا عسكريّة عنيفة فُرضت على الناس فرضا هناك ، بإستخدام واسع النطاق و عبثيّ لإرهاب الحكومات و فرق الموت المرتبطة بهذه الحكومات – و كلّ هذا كان مدعوما بصرامة من قبل الولايات المتّحدة . في كتابى " **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** "(7) (7 – بوب أفاكيان ،" **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** بانر براس ،1989) ، تحدّثت عن كيف أنّه في غواتيمالا مثلا ، الدكتاتوريّة العسكريّة خلف الأخرى كانت ترسل الجيش إلى الريف ليقترف جرائما جماعيّة و غيرها من الفظائع . و من الجزّارين العنيفين على راس السلطة في غواتيمالا الذين أصدروا أمرا بتنفيذ عمليّات القتل هذه كان مسيحيّا مولود من جديد ، ريوس مونت . و بينما قدّم ريغن دعمه لريوس مونت كان أمثال جيرى فلوال و بات روبرتسن يصلّون بصراحة للإلاه ليقدّم الدعم لمونت و يساعده . و ماذا فعلت القوّات المسلّحة لغواتيملا في ظلّ ريوس مونت و الدكتاتوريّين الآخرين ؟ بشكل متكرّر ، عندما كانت تتوجّه إلى القرى التي كانت تعتقد أنّها تأوى أو تساند الأنصاريّين المتمرّدين ، كانت القوّات المسلّحة الحكوميّة تستعرض جميع السكّان و تقتل كافة الذكور الذين تعتبرهم في سنّ القتال و تغتصب النساء و تأخذ الأطفال الصغار نزولا عبر النهر أو أي مكان آخر بعيدا عن القرية و تكسر رؤوسهم حتّى لا يمكن أن يكبروا و يعارضوا الحكومة . ولست أبالغ في شيء من هذا . لقد حدث هذا المرّة تلو المرّة . و لعلّ ريوس مونت الجزّار الذى ولد ن جديد قد إستلهم ذلك من عديد المواقع في الكتاب المقدّس حيث تتمّ المناداة بكسر رؤوس الأطفال (كما هو الحال في كتاب إسحاق أو المزامير 137) .

و الآن و بوصرة أحدث نسمع عن القتل الرهيب الذى كان يحصل في أفريقيا – ما حدث في روندا قبل بضعة سنوات أو ما يجرى اليوم في منطقة دارفورد بالسودان . كلّ هؤلاء السياسيّين اللإمبرياليّين يعصرون أيديهم متعجّبين : " لماذا لم نفعل أيّ شيء لإيقاف مثل هذا القتل " ؟ إلاّ أنّ هذا نفاق رخيص لا سيما في ضوء كامل تاريخ الغزو الإمبريالي الإستعماري و أجل القتل الجماعي في أفريقيا (و كذلك في أنحاء اخرى من العالم) . و في ضوء واقع أنّ النظام الإمبريالي ذاته الذى اوجد و يعيد بإستمرار إيجاد و يعزّز الظروف الأساسيّة التي تولّد النزاعات في أفريقيا و في غيرها من الأماكن ؛ و هكذا هو الحال عادة أنّ الوكالات الماليّة الإمبرياليّة إلى جانب المؤسّسات السياسيّة الإمبرياليّة و الفاعلين السياسيّين منخرطين **مباشرة** و هم يشجّعون مثل هذه النزاعات بتبعاتها الرهيبة من العذاب الإنسانيّ.

و هنا أيضا ، رونالد ريغن نموذج للفساد . فخلال ثمانينات القرن العشرين ، في افريقيا ، بالضبط كما في غواتيمالا و غيرها من الأماكن في أمريكا اللاتينيّة ، دعّمت الولايات المتّحدة و موّلت و ساعدت في تنظيم فرق الموت الأكثر دمويّة (و الحكومات التي بعثت فرق الموت هذه) ، التي كانت تقترف هذه الفظاعات التي لا توصف .على سبيل المثال ، في الموزنبيق ، لمّا صعدت إلى السلطة حكومة إعتبرتها الولايات المتّحدة حجر عثرة أمام مصالحها و إعتبرت أنّها تنزع إلى الإصطفاف إلى جانب الإتّحاد السوفياتي و كتلته ، دعّمت حكومة ريغن و ساعدت مجموعة معارضة تسمّى RENAMOرنامو كانت طوال سنوات تمارس بصفة منهجيّة العنف الأكثر فضاضة والقتل الجماعي . و كانت هذه القوى تقتل الناس و تشوّههم ثمّ تمضى إلى المستشفيات أين تتمّ معالجة الجرحى و تقتل و تشوّه حتّى أعداد أخرى من الناس ز كلّ هذا نظّمته و موّلته المخابرات الأمريكيّة ، السى أي أي و حكومة الولايات المتّحدة في ظلّ إدارة رونالد ريغن " الطيّب ".

و هناك حدث آخر و في سياق ما يجرى في العالم يمكن أن يُعدّ شيئا صغيرا لكن مع ذلك يفضح بقوّة ما يمثّله رونالد ريغن و " الأخلاق " التي يُشجّع عليها . و مرّة أخرى ، لا تنسوا انّ هذا الرجل بنشاط قد شجّع وهو رئيس الدين و الأخلاق الدينيّة المسيحيّة (حتّى و إن بدا مثل ذلك السيناريو الروماني في شريط " **سبارتاكوس** " ، على النطاق الشخصيّ ، كان رونالد ريغن لا أدريّا – و نعلم أنّ نانسى ريغن كانت تؤمن و تمارس أشياء من علم التنجيم – و أمام الملأ ، كرئيس ، كان رونالد ريغن يُشجّع الدين على نطاق واسع). و بالخصوص في ضوء محاولة الأصوليّين المسيحيّين بلا هوادة أن يفرضوا أخلاقهم على العالم و حتّى أن يسوّوا الأخلاق عامة بمفهومهم الخاص لذلك ، من المهمّ الحديث عن **ما كانت** أخلاق هذا الرجل ، رو نالد ريغن و ما فعله عمليّا في العالم . و هذا الحدث الصغير ظاهريّا وهو مع ذلك يروى قصّة كبيرة ، حدث في سبعينات القرن العشرين لمّا كان ريغن حاكما لكاليفرنيا . مجموعة سرّية صغيرة كانت تسمّى نفسها جيش التحرير التعايشيّ/ سمبيونيزإختطفت باتى هارست الذى كان وريثا للثروة الكبيرة لعائلة هارست . (لم يكن جيش التحرير ذاك قوّة ثوريّة حقيقيّة و نظرته العامة و توجّهه الإستراتيجي و التكتيكات المنسجمة مع ذلك لم تقدّم و لم تكن لتقدّم مساهمة إيجابيّة في النضال الثوريّ التحريري الحقيقيّ . لكن طبعا لم يمنع ذلك السلط القائمة من صيد تلك المجموعة بقساوة و قتل أعضائها).
و من المطالب التي رفعها ذلك الجيش التحريري وهو يمسك بباتى هارست ، تقديم غذاء مجاني للفقراء بكاليفرنيا . و وافقت أسرة هارست على تمويل الغذاء و توزيعه – أنشأت نقاط توزيع في مناطق مختلفة بالولاية .وسط هذا ، و خاصة بالنسبة

إلى هذا التوزيع المجاني للغذاء على الفقراء ، صرّح رونالد ريغن بأنّه كان يتمنّى أن يحصل للمنتفعين بذلك الغذاء تسمّم غذائي قاتل !

الآن ، بأيّة معايير يمكن تصوّرها يمكن تمنّى تسميم غذائيّ قاتل لآلاف الفقراء الذين تسلّموا غذاء ما كانوا قادرين على توفير مقابل ماليّ له ؟ مهما أردتم التفكير بشأن جيش التحرير التعايشيّ / سمبيونيز ، على أيّ أساس يمكن لشخص شريف أن يتمنّى تسمّم غذائي قاتل للفقراء ؟ و إذا أراد البعض قول إنّ هذا التعليق لريغن كان مزحة ، أي نوع من الأشخاص يمكن أن يفكّر بأنّ هذا يحمل على الضحك ؟

و بالعودة إلى رونالد ريغن بوجه خاص و إلى السيرورة الأوسع و الديناميكيّة الوسع المتناسبتين معه و بالنظر في الوضع الراهن في العالم ، لنعد التذكير بموقف نابليون بصدد دور الدين و كيف يساعد في تبرير و فرض العلاقات الإضطهاديّة . و إعتبارا للرهانات المعنيّة بما يحدث في عالم اليوم ، و ما أطلقته " القوّة الماحقة " (الوحش الراهن للحرب و القمع) التي يدفعها نظام بوش – الذى أتانا بغزو و إحتلال العراق و كلّ ما أطلقه ذلك إلى جانب تواصل الحرب في أفغانستان ؛ و التهديد الوشيك بالحرب مع إيران ؛ و غوانتنامو و أبو غريب و التعذيب المبرّر بسفور و على نطاق واسع ؛ و القانون القومي و قانون اللجان العسكريّة و إلغاء الحقوق الأساسيّة كالأمر بالمثول و الحقّ في محاكمة ؛ و قرارات المحكمة العليا و وسائل أخرى عبرها نُظّمت هجمات متواصلة على الإجهاض و التأكيد العدواني للبطرياركيّة و التفوّق الذكوريّ و كذلك الإنقلاب على المكاسب التي تحقّقت بفضل النضال ضد تفوقّ البيض و العنصريّة ؛ و الهجمات التي تلقى تشجيعا رسميّا ضد العلم و ضد الفكر العقلاني و ضد فصل الكنيسة عن الدولة - و إعتبارا لكلّ هذا و أكثر ، فكّروا في ما يعنيه هذا الدين عامة و ما تعنيه الأصوليّة المسيحيّة الفاشيّة بوجه خاص ، ينهض بدور قويّ مثل هذا داخل المؤسّسات الكبرى لمجتمع الولايات المتّحدة – لما فيها ليس كافة فروع الحكم " المدنيّ" فحسب بل أيضا القوّات المسلّحة – و في التأثير في مسار الأحداث و كذلك في تركيز معايير ما هو صحيح و أخلاقيّ.

نظريّة التطوّر و المنهج العلميّ – و الظلاميّة الدينيّة

و من الطرق الأساسيّة التي يخدم بها الدين دورا " نابليونيّا " بالنسبة إلى الطبقات الحاكمة التي تستغلّ الجماهير الشعبيّة و تضطهدها هو الحفاظ على أسطورة موحّدة تخدم هذه الطبقات الحاكمة بينما في الوقت نفسه تحجب – و تعيق إدراك الناس – الأسباب و الدوافع العمليّ لأشياء في الطبيعة و في المجتمع ، و أساس و إمكانيّة تغيير راديكالي . و اليوم ، في الولايات المتّحدة بوجه خاص ، من أشدّ التعبيرات عن هذا هو العلاقة بالمعطى العلميّ للتطوّر . و عديد الناس في هذه البلاد – و ضمن أشياء أخرى ، هذا إتّهام عميق لنظامه التعليمي – لا يعلمون أو لا يقبلون بأنّ التطوّر **فعلا** معطى علميّا .و بالخصوص في صفوف الفقراء و المضطهَدين ، الأغلبيّة لا يعرفون حتّى ما هي نظريّة التطوّر . و بدلا من تعليمهم هذا ن بصفة متصاعدة حشو ذهنهم بقصص و روايات عن الخلق كما ورد في الكتاب المقدّس و بنظرة خاطئة عن التاريخ الطبيعي و كذلك تاريخ المجتمع الإنسانيّ. (8)

(8- في المدّة الأخيرة ، كتاب " **علم التطوّر و أسطوريّة فك الخلق – معرفة ما هو واقعي و لماذا هو مهمّ** " الذى صدر في الصل كسلسلة مقالات في جريدة حزبنا ، نُشر في شكل كتاب . و هذا الكتاب نادر في تقديمه شرحا شاملا لما هي نظريّة التطوّر و كيف تعمل ، و كذلك تقديمه دحضا حيّا لفكر الخاق بأشكاله المتنوّعة (منها التحوّل الأحدث،" التصميم الذكيّ ")، **وهو** يفعل ذلك بطريقة تهدف بوعي أن تكون في متناول الناس العاديّين الذين يحرمون من بلوغ و فهم المسائل العلميّة و المنهج العلمي و كذلك الحديث إلى المعتادين أكثر على الموضوع . و في الآن نفسه، بينما يتمّ نشر المنهج العلميّ شعبيّا، كما يرتبط بالظواهر الطبيعيّة ، يبيّن هذا الكتاب أيضا كيف أنّ هذا المنهج العلمي – و بخاصة النظرة و المنهج الأشمل و الأكثر منهجيّة للشيوعية – يمكن و يجب تطبيقه على الظواهر و السيرورات الإجتماعيّة و الطبيعيّة و الترابط بين المجال الطبيعي و مجال البشر و مجتمعاتهم . لكافة هذه الأسباب ، هذا الكتاب في منتهى الأهمّية .)

الحقيقة هي أنّه في الأوساط العلميّة – ضمن الغالبيّة الغالبة من المحترفين في المجال العلميّ ، الذين يعملون طوال حياتهم في العلم - كانت نظريّة التطوّر لبعض الوقت مسألة محسومة و ليست بتاتا موضع خلاف أو جدال ؛ و هذا صحيح بوجه خاص بالنسبة إلى العلماء في مجال البيولوجيا . و علاوة على ذلك ، في عالم اليوم ، نظريّة التطوّر أساسيّة بالنسبة للعلم ككلّ – دونها لا يمكن أن يوجد أيّ علم . لكن معظم الناس لا يعرفون حتّى هذا – يجرى الإبقاء عليهم على هذا النحو : يُستخدم جهلهم لجعلهم يتحرّكون ضد مصالحهم الخاصة ، للحيلولة دونهم و الفهم الحقيقي للعالم و بالتالى القدرة على تغييره – و دونهم و فهمهم للظروف التي يوجدون فيها و ما يمكن أن يُفعل بشأنها.

إلى درجة أنّ هناك جدال في المجتمع حول نظريّة التطوّر و الجهل الواسع بهذا المضمار، هذا جدال و جهل وُجد و تمّ تشجيعه عمدا من قبل الأصوليّين المسيحيّين بدعم من القوى ذات النفوذ القويّ داخل الطبقة الحاكمة . و في حقل البيولوجيا و العلم عامة ، بينما نظريّة التطوّر أمر راسخ للغاية ، من الأمور الأكثر رسوخا بقوّة في العلم كافة ، قد شدّد جورج بوش على أنّ " الحكم لا يزال مفتوحا حول كيف خلق الإلاه الحياة " و قد قوّض تدريس نظريّة التطوّر بتشجيع أنّه يجب أن يدرّس أيضا فى أقسام العلم " التصميم الذكيّ " حتّى و إن لم يكن ل " التصميم الذكيّ " أيّ أساس علميّ مهما كان . و الآن، في الواقع ، الحكم يمكن أن لا يزال مفتوحا حول ما إذا كان جورج بوش قادرا على التفكير العقلاني [ضحك] ؛ لكن هذا ليس جوهر تشجيعه المتعمّد للجهل و العبثيّة التطيّريّة . و أبعد من واقع أنّ عددا من المسيحيّين الفاشيّين يمكن عمليّا أن يعتقدوا في نوع من معاداة التنوير اللاعقلانيّة ، و إطلاقيّة الكتاب المقدّس ، و أنّ بوش نفسه يمكن أن يكون ضمن هذا العدد، ما هو أكثر جوهريّة المعنيّ و واقع أنّ أقساما ذات نفوذ من الطبقة الحاكمة مقتنعة بأنّ مثل هذه النظرة للعالم توفّر قوّة إيديولوجيّة موحّدة قويّة وهم يعتقدون أنّه من الضروريّ في هذه الأوقات خاصة ، إعتبارا لكلّ شيء محلّ رهان و كلّ ما قد كان دائما مفكّك – و إمكانيّة فوضى و إضطراب أكبر بكثير سينجم عنها – السعي إلى إرساء إمبراطوريّة الولايات المتّحدة التي لا تنازع و لا يمكن أن تنازع و التغييرات الراديكاليّة داخل الولايات المتّحدة نفسها تصاحب السعي إلى الهيمنة على العالم .

لهذا هناك حملة لا نهاية لها و متعدّدة الأوجه لتشجيع ليس الدين عامة فحسب بل بالأخصّ الأصوليّة المسيحيّة الفاشيّة . لهذا هذا النوع من الأصوليّة المسيحيّة لم يُسمح به فقط و غنّما جرى تشجيعه في صفوف جيش الولايات المتّحدة و خاصة ضمن الضبّاط . لهذا ، على سبيل المثال ، أحدهم كالجنرال جيري بويكين لا يستطيع الإدّعاء فحسب بل كان كذلك يشجّع عقب الإدّعاء أنّ الحرب بالعراق مبرّرة و عادلة لأنّ إلاهه هو إلاه حقيقيّ و أنّ إلاه الإسلام إلاها مزيّفا ، و أنّ جورج بوش سنة 2000 لم يكسب التصويت الشعبيّ لكنّه في البيت الأبيض لأنّ " الإلاه عيّنه ". و ضمن أشياء أخرى ، صرّح أيضا بويكين : " المعركة التي نخوضها معركة روحيّة . يريد الشيطان أن يُحطّم هذه الأمّة ، يريد أن يحطّمنا كأمّة ، و يريد أن يحطّمنا كجيش مسيحيّة " (ذكر في جريد " **الثورة** " عد 98 ، 13 أوت 2007، و أنظروا أيضا " البنتاغون يشنّ حربا مقدّسة " لوليام أم.أركين في جريدة " **اللوس أنجلاس تايمز** " ، 16 أكتوبر 2003).

الواقع هو التأكيد على التأويل الحرفيّ و المطلق للكتاب المقدّس – أو القرآن أو الكتب و التقاليد المقدّسة لأي من الديانات العالميّة الكبرى – يمكن أن يؤدّى إلى الدفاع عن و فرض الإضطهاد و العذاب من النوع الأكثر فظاعة . و قد أرسل لى أحدهم عقب قراءة بعض من كتاباتى حول الدين ملصقة خلفيّة أعجبتنى حقّا – يقول " عندما كان الدين يحكم العالم ، كانت تلك العصور تسمّى عصور الظلمات ". و هذا ما يمثّله هؤلاء الناس . إنّهم يجسّ<ون و يبحثون عن فرض نظرة و قيم مميّزة ل " عصور الظلمات " لكنّهم يقومون بذلك خدمة لشكل معاصر جدّا من الإستغلال و الهيمنة و النهب – الرأسمالي - الإمبريالي – و بالذخيرة الأكثر حداثة من الأسلحة العسكريّة الحديثة .

إن كانت الآلهة غير موجودة ، لماذا يؤمن بها الناس ؟

عند البحث في سبيل للتوغّل في هذا الموضوع الخاص ، فكّرت في أنّه ربّما كان بوسعي مجرّد التطرّق لكامل مسألة " الآلهة " بالتطرّق إلى خطّ حقيقيّ كبير إنطلاقا من فلم ليس حقّا كبيرا و قد عُرض قبل بضعة سنوات . إسم الفيلم هو " **القفزة الكبرى** " عامة ليس فلما ممتازا بل هو بالأحرى فلم" تكثيف جريمة " نموذجيّ لشتّى الرجال و النساء بحجج خادعة يحاولون أن يجعلوا بعضهم البعض يغادرون و يتمّ تجاوزهم – لكن عند نقطة معيّنة ، أحد الشخصيّات التي يقوم بدورها أوان ولسن يتحدّث إلى هذه الشخصيّة الأخرى ، قاضي فاسد ، كان يؤدّى دوره مورغان فريمان ، و هما يتناقشان حول كيفيّة تنفيذ حيلة، قالت شخصيّة أوان ولسن : " أجل ، لكن ماذا عن كافة هذه المشاكل التي سنواجهها ؟ كيف سنتعاطى معها ؟ " و جاء ردّ مورغان فريمان : " حسنا ، لا نحتاج إلى أكثر من الإيمان " فقال أوان ولسن : " تقصد مثل الإيمان بإلاه ؟ " و تعود شخصيّة مورغان فريمان إلى الخطّ اكبير : " الإلاه مجرّد صديق خياليّ للكهول ". [ضحك]

حسنا ، فكّرت أنّه ربّما يمكن فقط أن ننطلق و ننتهي من هذا لكن طبعا ألمر أعقد من ذلك – و أكثر جدّية – لذلك من الضروريّ التعمّق في هذا بصفة أشمل و أعمق .

لذا ، لنعد أدراجنا لنحصل ن التاريخ على صورة أشمل . عبر العالم ، كان الناس في المجتمعات القديمة و الناس دون مقاربة علميّة لدراسة الواقع و الخوض فيه و تغييره – الناس الذين لم يطوّروا بعدُ أو الذين حُرموا الحصول على مثل هذه المقاربة العلميّة ، أو الذين قد قاوموا و رفضوا مثل هذه المقاربة العلميّة – لقد جلب هؤلاء الناس و توحّدوا حول أساطير متباينة في مسعى لتطوير قصّة لها معنى لكيف أصبحوا على ما هم عليه و للواقع الذى يعيشون و للواقع الأوسع الذى كانوا يعاينونه خارجهم و لكيف كانوا يرغبون في أن يكون الواقع . لقد تعاطوا مع هذه الأساطير كعنصر محدّد للواقع .

و على سبيل المثال ، قصّة الخلق كما تسمّى في سفر التكوين في الكتاب المقدّس ، ليست سوى أسطورة جذور لدى الشعب اليهودي القديم . لا تتناسب مع الواقع و ليلم يثبتها العلم كما تعلّمناه بشأن كيف أنّ الأرض و " السماوات – النجوم و المجرّات – قد تطوّرت فعلا . ليست الأرض مركز كلّ هذا و لم يقع وضع النجوم و كلّ شيء آخر هناك خدمة للإنسان على الأرض . و فعلا ، عديد هذه الجوم قد وُجدت قبل وجود الأرض . فبعضها قد وُجد ثمّ إختفى من الوجود في الفترة ما قبل الوجود الفعليّ للأرض و قبل ظهور البشر (مليارات السنوات بعد تكوّن الأرض). و هناك عدّة أشياء دقيقة تاريخيّا إلى جانب أشياء تبيّن أنّها علميّا خاطئة ، في قصّة الخلق هذه في سفر التكوين . و ليس هذا فريدا ، فللناس عبر أساطير تمثّل محاولاتهم تفسير الأشياء مثل من أين جاؤوا و كيف يرتبطون ببقيّة الواقع.

في كتاب " **علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق -...**" هاك بيان تصويري لمختلف أساطير الخلق حول العالم بما في ذلك أسطورة الجذور اليهوديّة الأولى الموجودة في الكتاب المقدّس . فقد إعتقد البعض أنّه وقع تكوينهم داخل الأرض ثمّ صعدوا إلى سطح الأرض . و إعتقد البعض الآخر أنّه وقع تكوينهم في السماء ثمّ نزلوا إلى الأرض . و إعتقد بعض الآخرين أنّ مجمل الوجود الذى نعرفة مجرّد ظهر سلحفاة عملاقة . و الآن حين نستمع إلى هذه الأشياء ، ننزع إلى الضحك من **كلّ** أساطير خلق **الآخرين** –لأنّه جرى تعليمنا أن **أساطيرنا** هي الأساطير الصحيحة الوحيدة – لكن إذا وضعنا مسافة مع ذلك ، مهما كانت الأسطورة التي علّمونا الإعتقاد فيها ليست أقلّ غباءا من كافة الأساطير الأخرى . [ضحك] و ليست أقلّ دحضا من واقع ما حصل فعلا في تاريخ الإنسانيّة و تاريخ العالم الطبيعي .

لذا ما نتعلّمه من هذا هو أنّه في الواقع لم تكن هذه القصص و ليست وصفا حقيقيّا للطبيعة و لتطوّر البشر و شعوب معيّنة و علاقتها ببقيّة الإنسانيّة و بالكون الطبيعيّ. لم تكن و ليست حقائق خارج الزمن و دائمة قدّمتها أو ألهمتها بعض الكائنات ما فوق الطبيعة (آلهة) أو كائن أعلى يعلم كلّ شيء و لا حدود لقوّته – إلاه ، جبّار – يتجاوز كافة الوجود الإنسانيّ و المعرفة الإنسانيّة بينما يحكم كافة الكون بطريقة ما غامضة لا يمكن لأحد منّا أن يفهمها . القصص الديّنيّة و الكتابات المقدّسة كانت و لا تزال تحديدا متجذّرة في الأساطير : إفرازات غريبة للخيال الإنسانيّ ؛ محاولات تفسير الأشياء التي لم يكن الناس يفهمونها و يشرحونها بدقّة و عقلانيّة و علميّة زمنها .

و في إرتباط بهذا ، من الجدير بنا التفكير في عامل مهمّ للغاية : بالنظر إلى العلماء – الناس الذين يمارسون العلم كمهنة – و معظمهم عاشوا الذين عاشوا أبدا على قيد الحياة . ما يعكسه هذا هو أنّه بالنسبة للغالبيّة الغالبة من تاريخ الإنسانيّة ، وُجد القليل من المعرفة العلمية و عدد قليل من الناس يبحثون في الواقع عن أي شيء يقترب من الموقف العلمي. و إعتبارا لكون هذا شيء حديث جدّا و أسباب ذلك متّصلة بلماذا نمت كافة هذه الأساطير و صارت معشّشة كثيرا في أذهان الناس .

لكن هذا ليس كلّ شيء . و التفاسير التي يحاول الدين تقديمها لمظاهر تبدو غامضة من الواقع و بالنسبة للمبادئ الأوسع و المحدّدة للواقع ، هذه التفاسير ليست خاطئة فحسب ببعض المعنى المحايد . ليست غير ضارة . إنّها تتسبّب في قدر كبير من الضرر و في قدر كبير من اللوعة و العذاب .

و لننظر في بعض الأمثلة من المسيحيّين " التقاليد اليهوديّة المسيحيّة " . كما جرت الإحالة على ذلك سابقا ، نعلم اليوم بفضل تقدّم العلم ، انّ داء الصرع – الذى يتسبّب في نوبات الصرع طوال معظم تاريخ الإنسانيّة كان غامضا جدّا و يفزع الناس ، ليس فحسب لما تتسبّب فيه نوبات الصرع من عذاب بل كذلك في عذابات أخرى أيضا – يُعزى عمليّا إلى عوامل و سرورات ماديّة في علاقة بسير الدماغ و النظام العصبيّ . لكن لمعظم وجود الإنسانيّة ، إعتقد الناس أنّ أشياء مثل داء الصرع كانت علامة عن شيء رهيب – مثلا ، أنّ الذين يعانون من هذا الداء و ما يصاحبه من نوبات صرع مسكونون بالشيطان أو بقوى الشرّ – و كان الناس يعانون بشكل فظيع نتيجة هذا الجهل . حسنا ، كما رأينا ذلك ، هذا الجهل موجود تماما في الكتاب المقدّس بما في ذلك بالطريقة التي يقول لنا بها الكتاب المقدّس أنّ عيسى عالج داء الصرع بطرد الأرواح الشرّيرة من المريض.

أو لننظر في قصّة الخلق في سفر التكوين . فهناك نعثر على مفهوم عجيبا لآدم و حوّاء في حدائق الجنّة و هما لا يعرفان لا الذنب و لا البراءة و لا الخطيئة و لا يعلمان ما هو الخير و ما هو الشيطان لأنّ كلّ شيء ببساطة كان على أفضل وجه ؛ لكن بطريقة ما وقعت حوّاء في إغراء ثعبان و أكلت ثمرة محرّم أكلها – تفّاحة – ثمّ أغوت آدم ليأكلها هو بدوره... و من هناك تتالت الأحداث . و بالتالى ، جدّ نزول الإنسان إلى الأرض و هذا سبب لماذا لدينا المسيح الذى يتّخذ شكلا إنسانيّا و يموت ليعاد بعثه ، من أجل توفير وسيلة لإنقاذ البشر من وضع الوضيع الذى صاروا فيه. يمكن أن نشاهد ذلك من خلال هذه الأساطير ، وضعت الإنسانيّة في موضع اللعنة و أنواع ساقطة ليس بوسعها سوى إنتاج فوضى عارمة و ضرر كبير لنفسها .

و ضمن هذا – و ليس أمرا مفاجئا بالنظر إلى نوع المجتمعات البطرياركيّة التي يُهيمن عليها الذكور لآلاف السنوات – نرى لعنة خاصة ضد النساء . فعلى سبيل المثال ، في سفر التكوين ، الفصل الثالث ، لا سيما الآيات 14 إلى 16 ، يُقال لنا كيف أنّه بسبب الدور الخياني المفترض لحوّاء في حدائق الجنّة و التسبّب في نزول البشر إلى الأرض ، أصبحت لذلك ولادة الأطفال لعنة على كافة النساء . كلّ امرأة تعانى آلام الولادة وفق المسيحيّة و " التقاليد اليهوديّة – المسيحيّة " ، تعانى ذلك بسبب ذنب حوّاء – ليس بسبب عوامل ماديّة حقيقيّة جدّا نعرف الكثير عنها في أيّامنا هذه ، و إنّما إفتراضيّا بسبب خيانة حوّاء و طبيعة غوايتها . إستمعوا إلى هذا – جلبت كتابى المقدّس - [ضحك] إستمعوا إلى سفر التكوين 3:16 [أي الصحاح الثالث ، الآية 16 – المرتجم] هذا هو لعنة النساء و هذه كلمات الإلاه المرويّة :

" قال للمرأة : " تكثيرًا أكثّرُ أتعاب حبَلك ، بالوجع تلدين أولادا . و إلى رجُلُك يكون إشتياقُك وهو يسودُ عليك ".

كلّ هذا سبب ما يفترض أنّه سوء تصرّف لحوّاء في حدائق الجنّة .

هذه الأساطير و القصص ليست غير ضارة . إنّها تتسبّب في قدر كبر من الضرر و قد تسبّبت في ضرر كبير عبر القرون. هذه اللعنة الملصقة بالنساء ما في ذلك ولادة الأطفال ليست مجرّد شيء من التوراة – شيء يدافع عنه كذلك بول في الإنجيل. فمثلا ، إذا نظرنا إلى رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس 2 ، الأصحاح الثاني الآيات 8 إلى 15، سنجد بول يعيد التعبير عن هذه اللعنة ضد النساء .

[و هذه الآيات هي :

٨فَأُرِيدُ أنْ يصلي الرِّجال في كل مكانٍ، رَافعين أيادي طَاهِرَةً، بِدُونِ غَضَبٍ وَلاَ

جِدَال .٩وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّل، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، ١٠ بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَال صَالِحَةٍ .١١ لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ .١٢ وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، ١٣ لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، ١٤ وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ، لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي .١٥ وَلكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ. " – المترجم]

أو لنأخذ قصّة سفينة نوح . حسنا ، لديّ أنباء للذين إعتقدوا في هذه القصّة – لم تحدث قط . [ضحك] لا وجود مطلقا لدليل تاريخي من الأنتروبولوجيا و لا من الأركيولوجيا و لا من أيّ نوع من البحث التاريخي يوحى بأنّ فيضانا مثل ذلك الذى غطّى الأرض برمّتها لمدّة أربعين يوما و أربعين ليلة قد جدّ . أكيد أنّ فيضانات محلّة قد حدثت في منطقة ما بين النهرين (داخل و حول ما هو الآن العراق) لوجود أنهار كبرى هناك (دجلة و الفرات) كانت تفيض من وقت لآخر بالضبط مثل المسيسيبيّ و الأنهار الأخرى في الولايات المتّحدة . لكن لم يوجد أبدا أيّ دليل على فيضان غطّى الأرض بأكملها كما يوصف في الكتاب المقدّس – و لم توجد أيّ' رواية خارج الكتاب المقدّس عن أنّ سفينة نوح كانت أساس تمكين الإنسانيّة (و الأنواع التي تحتاجها الإنسانيّة) من تجنّب الإضمحلال و الإنطلاق من جديد عقب فيضان عمّ العالم أرسله الإلاه لأنّه كان غاضبا على ما فعلته البشريّة . لو حدث مثل هذا الفيضان ، كان سيؤثّر بالتأكيد على الحضارات التي وُجدت زمنها عبر العالم قاطبة . كان بالتـاكيد سيترك أثرا في آن معا بمعنى الهياكل الماديّة لهذه المجتمعات و بمعنى تخريب كامل طبيعة هذه الحضارات . و مع ذلك ، يمكنكم النظر في السجلاّت التاريخيّة و الأركيولوجيّة لأيّة ركن من أركان العالم و مطلقا لن تجدوا أي دليل عن حصول هذا الصنف من الفيضان .- تاركين جنبا كامل لاواقعيّة قصّة سفينة نوح بزوجين من كلّ نوع من الأنواع التي وُجدت إلى زمنها مكتظة في سفينة جنبا إلى جنب مع نوح و أسرته !

و مرّة أخرى ، ليس هذا هو الواقع ، هذه أسطورة . و إنّه لشيء أن يصنع الناس أسطورة لا سيما عندما لا يملكون أساسا لمعرفة أفضل إلاّ أنّ الدفاع عن و تشجيع التطيّر و جهل كيف هو العالم حقّا و كيف تطوّر و تغيّر عبر تاريخه **الحقيقيّ** . سيكون ذلك تشجيعا على كلّ العذاب المصاحب لذلك و لتعزيز التطيّر و الجهل . **ليس غير ضار** ؛ إنّه يتسبّب في قدر كبير من الضرر. إنّه يُبقى الناس في عبوديّة ذهنيّة غير قادرين على مواجهة الواقع و تغييره على أساس فهم كيف هو الواقع عمليّا و كيف أضحى على النحو الذى هو عليه .

هذه الأساطير و القصص العجيبة في الكتاب المقدّس كانت جزءا أساسيّا ممّا صار مجسّ>ا و مصاغا في كتابات كالكتابات المقدّسة اليهوديّة الديمة أو العهد القديم من الكتاب المقدّس . غير أنّ هذه الكابات المقدّسة لم تكن مجرّد تجسيد لمختلف الأساطير و محاولات تفسير الواقع بصفة مجرّدة أو دون أي محتوى إجتماعي أو تأثير على المجتمع ؛ كانت و لا تزال إنعكاسا للمجتمعات الإنسانيّة التي ظهرت فيها هذه الأساطير . إنّها إنعكاسات للعلاقات في تلك المجتمعات بين مختلف مجموعات الناس و كذلك للعلاقات بين تلك المجتمعات و المجتمعات الأخرى و إنعكاسات لكافة الأفكار التي تصاحب هذه العلاقات و تعزّزها . (سأظلّ أعود إلى هذه النقطة و أشرحها بتقديم أمثلة و نحن نتقدّم في العرض). لكن إلى جانب ذلك ،و هذه نقطة حيويّة ، حالما ظهرت علاقات الإستغلال و الإضطهاد – علاقات تجسّد هيمنة مجموعة صغيرة أو طبقة إجتماعيّة على وسائل الحياة و خلق الثروة و هيمنتها على السلطة السياسيّة و على الحياة الفكريّة – حالما ظهر هذا في المجتمع الإنساني ، إستخدمت الطبقات الحاكمة الدين لتعزيز و توسيع علاقات الإستغلال و الإضطهاد هذه .

و مثلما يلخّص منشور وضعه حزبنا بشأن شريط " **شغف المسيح** " :

" ليس انّ الكتاب المقدّس غير صحيح كلّيا فحسب – ليس أنّه كتاب يزخر بما يمكن أن يوصف بسخاء على أنّه خليط من الأساطير المتميّزة بالعنف و قصص خرافية و تاريخ قبائل متداخلة مع قليل من الشعر الغنائيّ و الكثير من الكلام الغاضب الخيالي المليء بالثأر و بعض الأساطير الخاصة بالأصول – بيد أنّ هذا جميعه يقال ثمّ يسجّل في كتابات لتعزيز أوّلا مجتمع فلاحيّ صحراويّ بطريركي قبل عدّة آلاف من السنوات ، و تاليا إمبراطوريّة عبوديّة في روما ثمّ مجتمعا إقطاعيّا إضطهاديّا

في أوروبا . إنّه مليء بضوابط سلوك هي إمّا منافقة أو إضطهاديّة بسفور. و الآن يتبنّى الإضطهاد الرأسمالي ذات الأشياء القديمة و يعزّزها و ذلك في شريط ب 25 مليون دولار يجرى الترويج له بذكاء ".

لماذا يؤمن الناس بآلهة مختلفة ؟

للمساعدة على تسليط الضوء على مسألة لماذا فى أزمنة مختلفة و أماكن مختلفة إعتقد الناس فى آلهة مختلفة ، و لماذا لا يعبدون اليوم الإلاه نفسه ، دعونى أروي قصّة لعضو من أعضاء حزبنا ذهب صحبة والدته المتديّنة بعمق إلى متحف حيث يقام معرض عن المكسيك القديمة و الحديثة . و كان المعرض فى قسمه الأوّل يركّز على سكّان المكسيك القدماء ، الأولماك و غيرهم ، و بعد ذلك على الأزتاك قبل عدّة قرون - و هناك نماذج من مصنوعات حضارة الأوتاك ، بما فيها أشياء إستعملت فى الإحتفالات الدينية . وثمّ فى نقطة معيّنة ، وسط المعرض ، وجدا صليبا ضخما يشير إلى زمن مجيئ الغزاة الإسبانيين و غزوهم المكسيك ملحقين الهزيمة بالأزتاك و ماحقينهم و مدمّرين حضارتهم . و إلى جانب ذلك ، فرض الإسبانيون الدين المسيحي على الناس هناك و قمعوا قمعا عنيفا و قتلوا الذين حاولوا مواصلة الطرق الدينية القديمة. حسنا ، كان الرفيق يتجوّل فى المعرض مع والدته (التى نشأت فى المكسيك غير أنّها إنتقلت إلى الولايات المتحدة لمّا صارت شابة و كانت كاتوليكية مخلصة جدّا) ، و عقب مرورهما بالقسم الخاص بالأزتيك و ذلك الصليب الضخم و ما تلاه فى صلة بالدين المسيحي ، قال لها " أنظري أمّي – وهو يشير إلى جانب الأزتاك – " إن إنتصر **أولئك** الناس عوض الآخرين – الإسبانيون – " كنتم ستعبدون **تلك** الآلهة بدلا من الإلاه الذى تعبدونه الآن ".

و هذا يجرّنا إلى مسألة عميقة المغزى : لماذا يعتقد الناس فى هذا الإلاه أو فى هذه الآلهة دون سواها ؟ لماذا يمارسون الدين على هذه الطريقة ؟ ألهذا علاقة بالماورائيّات التى أنزلت على الناس ، أم علاقة بأشياء أرضية و أرضيّة جدّا – كغزو الإسبانيين للمكسيك الذى أجبر الناس هناك على إتباع هذا الدين المسيحي الجديد ؟ و الآن ، إنسان مثل والدة الرفيق - قبل أجيال و قرون - لم يكن يعرف أنّ هذا هو السبب وراء عبادة الإلاه المسيحي جراء حجب كلّ هذا الماضي عنه ، و ببساطة كان يقبل بذلك على أنّه الحقيقة نظرا لكون الإنجيلو التقاليد الدينية برمّتها المبنيّة حول الإنجيل ، تقول له أنّ ذلك كذلك .

ولننظر إلى هذا من زاوية مغايرة . لماذا أضحى الصليب المرتبط بالمسيح و عملية صلبه هو الأيقونة المركزية و النقطة المرجعية المعظّمة الكبرى فى هذا المجتمع و لماذا لم يلعب الصليب الذى صلب عليه سبارتاكوس ذلك الدور ؟ فى الواقع، لا يعرف العديد من الناس على من أحيل حينما أتحدّث عن سبارتاكوس . سبارتاكوس كان عبدا ، قبل أقلّ من قرن منزمن المسيح ، قاد تمرّدا للعبيد فى الإمبراطورية الرومانية هدّد أسس تلك الإمبراطورية قبل أن يتمّ إغراق ذلك التمرّد فى حمّام دم فى النهاية . و نتيجة هزيمته فى آخر المطاف ، صٌلب سبارتاكوس والآلاف من أتباعه ، فى خطّ على الطريق الرئيسي المؤدّى من وسط روما خارجا إلى ضواحيها ، لأميال و أميال . لماذا لم يصبح **ذلك** الصليب و عملية الصلب تلك رمزا كبيرا فى مجتمعنا ؟ و لماذا ليس كذلك فى المجتمعات الأخرى فى عالم اليوم ؟ و الإجابة بسيطة و أساسية هي أنّ ما كان سبارتاكوس يمثّله حتى فى هزيمته – أي تمرّد العبيد – ليس شيئا تريد الطبقات الحاكمة فى المجتمعات التى نعيش فيها و الطبقات الحاكمة عبر العصور أن تروّج له. نعم ، أنجز شريطا سينمائيّا عن سبارتاكوس لكن هذا لا يمثّل شيئا مقارنة بالأمواج المستمرّة من الدعاية للمسيح و حياة المسيح و عملية الصلب و بعثه المنتظر. و مرّة أخرى ، لأنّ الذين يحكموننا لا يرغبون فى أن توجد رموز تذكّر بنهوض العبيد فى تمرّد ، يريدوننا أن نعتقد أن مثل هذه التمرّدات لا معنى لها و أنّنا نتّجه و ينبغى أن نتّجه نحو العيش بالطريقة التى نعيش بها لأنّها الطريقة التى يريد الإلاه أن نعيش وفقها ، و لأنّها الطريقة التى أقام وفقها الإلاه العالم و كلّ ما بوسعنا فعله هو القبول بإرادة الإلاه .

و لننظر فى مثال آخر . هناك فرقة دينية يهودية متمركزة فى نيويورك يطلق عليها إسم لوبافتشارس . إنّها متكوّنة من أصوليين يهود . و كان على رأس الفرقة إلى 1994 الحاخام ميناحيم شنيرسون . و كما تعلمون ، لا يقبل اليهود بإعتبار يسوع المسيح المنتظر بيد أنّ أتباع الحاخام شنيرسون ، أو العديد منهم ، بدأوا يؤمنون بأنّه المسيح المنتظر الذى أنبأت عنه

الكتابات اليهودية القديمة (العهد القديم من الكتاب المقدّس). و ترويجهم لهذه الفكرة وصل عمليّا إلى حدود مضحكة و سخيفة جدّا – نوع من النموذج المعاكس من المزج بين التقنية الحديثة جدّا و أفكار متخلّفة جدّا ، من عصور الظلمات. كانجميعهم يحملون هواتفهم الخلوية و اجهزة إشعار عند إقتراب وفاة شنيرسون متوقّعين إكتشاف إن كان " الحاخام " سيعلن فى النهاية أنّه كان فى آخر المطاف المسيح . لذا لدينا هنا هذا المشهد السخيف و الغريب حقّا حيث جميع هؤلاء الناس كانوا يتشاركون فى هذا الدين القروسطي بينما كانوا يستعملون التقنية الحديثة للحصولتسجيل الصوت فى " الزمن الحقيقي" : هل سيقول لنا الحاخام إنّه المسيح المنتظر فى آخر المطاف ؟ و توفّي الرجل دون أن يبوح حتى بالكلمة .

لكن ماذا او أنّه لتداخل عدّة أسباب – فى علاقة بالعوامل الجغرافية السياسية و منها التطوّرات فى الشرق الأوسط و ترابط ذلك بما كان يجدّ فى الولايات المتحدة و ضمن دوائرها الحاكمة على وجه الخصوص – ماذا لو صار ما يمثّله أمثال الحاخام شنيرسون مهيمنين فى إسرائيل ، و بوجه خاص فى صفوف النخبة فى إسرائيل ، و بات هذا بدوره مدعوما بمجموعات حسنة التموقع داخل هياكل السلطة فى الولايات المتحدة ؟ ثمّ لعلّ الذين إدعوا أن شنيرسون هو المسيح المنتظر ، عوض أن يكونوا مجرّد فئة صغيرة ، أصبحوا يمسكون بموقع أقوى بكثير و يمارسون تأثيرا أوسع نطاقا بكثير ليس داخل إسرائيل و حسب بل على النطاق العالمي . فى الوقت الراهن ، من الصحيح أنّ الأمر يبدو غير محتمل الوقوع إلاّ أنّ ما يستحقّ عناء التفكير هو قبل ألفي سنة ، مدى إحتمال أن فرقة صغيرة من اليهود – كان المسيح قائدها و قد وقع إعدامه – ستغدو فى غضون عدّة قرون قوّة دينية عظمى فى العالم ، هي المسيحية – و بالفعل سيقع تبنّي هذه المسيحية و فرضها فرضا على أنّها الدين الرسمي للإمبرياطورية الرومانية القويّة . لذا التغييرات ضمن الهياكل الحاكمة و التغييرات المناسبة فى الإيديولوجيا الرسمية (أو شبه الرسمية) للإمبراطوريات الكبرى يمكن أن تحدث تغييرات كبرى فى دور تيّارات دينية متنوّعة و فى تأثيرها – و بالفعل قد حدث هذا بعدُ عدّة مرّات فى تاريخ الإنسانية .

أو لننظر إلى الراستافاريين [أتباع الراستا] فى الجمايكا و غيرها من الأماكن ، الذين يعتقدون فى أن أفريقيا ستصبح جنّة على الأرض بالنسبة لشعب السود و أنّ هيلا سيلاسي (المعروف أيضا بأنّه راس [أمير] تافاري) ، رئيس دولة أثيوبيا لعدّة عقود فى القرن الماضي ، كان هو فعلا المسيح المنتظر و الغازي . و قبل بضعة سنوات ، شاهدت شريطا عن بوب مارلي أين كانت إمرأة من الجمايكا تتحدّث عن زمن زيارة هيلا سيلاسي للجمايكا و إعتقادها أنّها شاهدت فعلا على أيدي هيلا سيلاسي آثار الجراح – التى تسبّبت فيها المسامير الذى دقّت فى جسد المسيح . حسنا ، فى الواقع لم تكن هناك أيّة آثار لأيّة جروح . لكن هذا الإنخداع بشأن الجراح نبع من الإعتقاد بأنّ هذا الشخص ، هيلا سيلاسي ، الذى كان فى الواقع مضطهدا وحشيّا لشعب أثيوبيا و أداة للحكم الإمبريالي فى أفريقيا ، كان نوعا ما المنقذ و المسيح المخلّص .

فى " أغنية الفداء " لبوب مارلي ، الذى كان من أنصار الراستا ،هناك الكلمات المثيرة للإنتباه [منشدا] " حرّروا أنفسكم من العقلية العبودية ، لا أحد سوانا يمكن أن يحرّر عقولنا " . و مع ذلك ، من السخرية التهكّمية أنّ فكر الراستا مجرّد شكل آخر من العقلية العبودية . لكن ماذا لو أنّ ، بشكل من الأشكال ، حصل تغيي فى العالم قبل نحو قرن من الآن ، و ظهرت أفريقيا كقارة أين تتركّز أكثر القوى الإمبريالية تطوّرا و إلى جانب ذلك يساعد أولئك الإمبرياليّون الأفارقة هيلا سيلاسي على أنّه المسيح الحقيقي. عندئذ ستقدّس شعوب العالم قاطبة التى يكونوا قد غزوها هيلا سيلاسي على أنّه المسيح و سيعتقد الكثيرون أنّ آثار الجراح كانت على أيدى هيلا سيلاسي .

أو لنأخذ مثال المورمون الذين يعتقدون – إن قرأتم **كتاب مورمون** سترون ذلك - فى أنّه قبل المسيح بقرون ، غادر فرع من اليهود أرضهم و بشكل من الأشكال عبروا البحار نحو أمريكا. فى عقيدة المورمون هناك تاريخ كامل للشعوب المتحاربة فى أمريكا – بعضها كان إلى الإلاه ، ثمّ ثمّ ضدّه و كانت مواقفهم تتقلّب بين مساندة و معارضة . وثمّ عند نقطة معيّنة فى " التاريخ " القديم المفترض ، ظهر المسيح لآخر قدّيسيي دين المورمون فى أمريكا و قال لهم كلّ ما سيقومبه عندعودته . هذا هو **كتاب مورمون** - الذى من المفترض أنّه كشف لمؤسّس هذا الدين ، جوزاف سميث ، حوالي 200 سنة قبل الآن ، حينما ظهر المزعوم أنّه ملاك لسميث و أرشده لمجموعة من الصحف التى كتب عليها كلّ هذا التاريخ (و الملاك كشف أيضا لسميث كيف يترجم هذه الصحف الواردة بلغة بدائية غير معروفة).

حسنا ، هذا بداهة فى تناقض حاد مع المسيحية التقليدية – و عمليّا فى تناقض أحدّ مع الواقع إذ لم توجد مثل هذه القبائل فى أمريكا : وُجد سكّان أمريكا الأًصليّون و ما وُجد من تحدّث عنهم **كتاب مورمون** . مطلقا لا وجود لأدلّة على أنّ هؤلاء الناس قد أقاموا أو قاموا بأي شيء هنا . و الآن لدينا من يسمّون أنفسهم بالأركيولوجيين المورمون الذين ينقّبون بيأس فى كلّ

الأنحاء محاولين العثور على دليل على أسطورة مورمون هذه ، لكنّهم لا يستطيعون إيجاد أي شيء ينهض دليلا البتّة. كلّ هذا " التاريخ " و التيولوجيا التى قصد دعمها ، كان إنتاجا لذهن جوزاف سميث .

وهناك شيء مهمّ بشأن المورمون – و يمكن أن يتصل بلماذا لم يعودوا يتعرّضون للإضطهاد فى الولايات المتحدة مثلما كان يحدث ذلك فى بداية دينهم – ألا وهو أنّه هناك الكثير من المورمون فى المؤسسات الحكومية مثل الأف بى آي . دين المورمون محافظ جدّا و متزمّت و يدعو لنوع من الخضوع للسلطة وهو أمر ينسجم للغاية مع التواجد فى الأف بى أي و السي أي أي . و اليوم لم يعد دين المورمون دينا مضطهدَا . وهو فى الواقع أحد أكثر الديانات نمّوا فى العالم . و يعزى هذا فى جزء منه إلى أنّه منذ البداية قد تضمّنت عقيدته و طقوسه نزعة عدوانية جدّا للتحويل إلى دين غير الدين السابق. عند بلوغهم سنّ الكهولة ، يطالب كلّ المورمون بأن يمضوا سنتين من حياتهم كمبشّرين دينيين.

و الآن لنفترض أنّ عند نقطة معيّنة من تطوّر الأحداث ، تقرّر قطاعات قويّة بما فيه الكفاية صلب الطبقة الحاكمة أنّه سيكون من المفيد أن يوجد مورمون فى إدارة كامل جهاز الدولة فى الولايات المتحدة. عندئذ سيكون الحال تماما أنّه (بالضبط مثلما هو الحال فى ولاية يوتا الآن، اين تتركّز كنيسة المورمون و تمارس تأثيرا كبيرا) عبر الولايات المتحدة، سيكون دين المورمون شيئا تروّج له الحكومة على نطاق واسع . وحالئذ سيعتقد المزيد من الناس فى الروايات الخيالية الواردة فى **كتاب مورمون** عوض الأساطير الدينية الخيالية التى يؤمنون بها الآن ؛ و الأطفال الذين ينشؤون سيتصوّرون أنّ ذلك طبيعي مثلما يتصوّرون الآن أنّه من الطبيعي الإعتقاد فى قصّة المسيح فى الإنجيل و كافة الأساطير الأخرى فى الكتاب المقدّس .

و بوسعنا ذكر المزيد من الأمثلة من هذا القبيل . و هذا يبرز نقطة عميقة و غاية فى الأهمّية – أنّ الناس يعتقدون فى هذه الأشياء و يفترضون أنّها حقيقة نظرا لأنّ مؤسسات قويّة فى المجتمع قد لقّنتهم هذه الأفكار و زرعتها فى عقولهم زرعا ؛ و لمّا ينشأ المرء فى إطار تقليد يكون منغرسا بعمق على هذا النحو و يتمّ الترويج له عبر المجتمع ، من اليسير جدّا أن نفترض ببساطة بأنّ هكذا هو العالم و يكون من العسير عادة الإقرار بأنّ الواقع قائم على نحو مختلف جدّا . و فى نفس الوقت ، إن كنت فى جزء آخر من العالمأين الإسلام هو الدين السائد لذات الأسباب التى تجعلكم على الأرجح لا تؤمنون بأنّ ياسوع هو المسيح المنتظر ، ستعتقدون أنّه رسول و أنّ محمّد هو آخر الرسل و الإسلام هو الدين الصحيح . و إن كنت تحيا فى مكان آخر – إن كنت فى صفوف مليارات البشر فى الصين و الهند مثلا – حالئذ تعتقد فى أشياء مغايرة للغاية - لكن فى الأساس للأسباب عينها : لأنّ مؤسسات المجتمع و تقاليده لمدّة طويلة جدّا، قد كيفتك للإعتقاد فى تلك الأشياء .

و بطبيعة الحال ، للذين يتطلّعون إلى عالم مختلف راديكاليّا دون علاقات هيمنة و إستغلال و إضطهاد و دون الإكار المناسبة لها – و أكثر من ذلك يسعون بنشاط من أجل ذلك – الأسباب جميعها للأمل و على أساس العالم الواقعي الإعتراف بإمكانية أن تكون الإنسانية قبل مضيّ آلاف السنين أو قرون ، قد مضت بعيدا و قطعت خطوات جبّارة فى النضال من أجل بلوغ عالم جديد ، مختلف راديكاليّا – و كجزء مفتاح من هذا ، ستكون فى سيرورة التخلّص نهائيّا من الجهل و التطيّر المؤسساتيين و المفروضين الذين يمثّلهما الدين و الإعتقاد فى ماوراء الطبيعة على وجه العموم.

و إذن كنوع من التلخيص للنقاط الأساسية التى تناولتها بالنقاش من زوايا متنوّعة أقول :

مفهوم الإلاه أو الآلهة إبتدعته الإنسانيّة فى طفولتها نتيجة للجهل الذى أبّدت الطبقات الحاكمة لآلاف السنين مذّاك ، لخدمة مصالحها فى إستغلال غالبيّة الناس و الهيمنة عليهم و إبقائهم فى وضع عبوديّة الجهل و اللاعقلانيّة .

و إيجاد عالم و مستقبل جديدين و أفضل بكثير بالنسبة للإنسانيّة يعنى الإطاحة بمثل هذه الطبقات المستغِلّة و التحرّر من مثل عبوديّة هذا الجهل و اللاعقلانيّة و رميها وراءنا إلى الأبد .

الجزء الثانى : المسيحيّة و اليهوديّة و الإسلام – متجذّرة فى الماضى و تقف حاجزا فى طريق المستقبل

التطوّر التاريخي للمسيحية و دورها : العقائد و السلطة السياسيّة

يلاحظ بارت دى .أهرمان ، رئيس قسم الدراسات الدينيّة في جامعة كارولينا الشماليّة في تشابل هيل في كتابه ، " **إساءة إقتباس عيسى ، القصّة وراء من أدخل تغييرات على الكتاب المقدّس و لماذا فعل ذلك** " : " يمكن لعديد المسيحيّين اليوم أن يفكّروا أنّ شريعة العهد الجديد ظهرت ببساطة على المسرح في يوم ما ، بُعيد وفاة عيسى لكن ما من شيء قد يكون أبعد من ذلك عن الحقيقة " (أهرمان ، " **إساءة إقتباس عيسى ...**" ، ص 36) . و في ثنايا كلّ هذا الكتاب يواصل أهرمان تحليل كيف ظهرت الشريعة التي تشكّل اليوم الكتاب المقدّس و خاصة العهد الجديد و كيف صار " العهد الجديد لسيّدنا و منقذنا ياسوع المسيح " كما يضع ذلك الكتاب المقدّس المسيحي . و بالأخصّ ، يمضى أهرمان إلى واقع أنّه قبل كلّ شيء، إذا إتّجهتم إلى الإعتقاد في أنّ هذه الكتابات المقدّسة تمثّل " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " ، لديكم مشكلة : الكتابات اليدوية – المخطوطات الأصليّة لهذه الكتابات المقدّسة غير موجودة . و حتّى النسخ الأولى و الثانية للكتابات المقدّسة الأصليّة غير موجودة .

منعطف طفيف هنا لكنّه يروى قصّة هامة و مناسبة هو رواية أهرمان لتطوّر تفكيره و مقاربته الخاصين للكتاب المقدّس و للدراسات الخاصة بالكتاب المقدّس . كشاب إلتحق بمعهد مودى بايبل في شيكاغو - و حينها كان أصوليّا إنجيليّا هو نفسه. ثمّ مضى إلى معهد ويتن ، على مقربة من شيكاغو وهو معهد أصوليّ مسيحي (مثلما يشير أهرمان ، ويتن " مخصّص للمسيحيّين الإنجيليّين فحسب و هو المدرسة الأم لبيلى غراهام مثلا) . و تجربة أهرمان في الإلتحاق بويتن معبّرة جدّا . فلمّا غادرمودى ليلتحق بويتن ، كما وضع ذلك ، " وقع تحذيره من أنّه قد يواجه مشاكلا عند العثور على مسيحيّين حقيقيّين في ويتن - ما يبيّن مدى أصوليّة مودى . " لذا رغم أنّ أهرمان عنه زمن إلتحاقه بداية بويتن كان أصوليّا صارما ، عند نقطة معيّنة ، يروى أنّه صار " ميّالا إلى مواصلة بحثى عن الحقيقة مهما كان المكان الذى تؤدّى بى إليه .. دراستى للأدب الأنجليزيّ و الفلسفة و التاريخ – حتّى لا نذكر اللغة اليونانيّة – وسّعت آفاقي بشكل له دلالته و زادت من حماسى للمعرفة، المعرفة من الأصناف جميعها ، المقدّسة و العلمانيّة ... و قد قاومت كلّ الإغراءات بتغيير وجهات نظري ... لكن دراساتى أخذت تلاحقنى " (" **إساءة إقتباس عيسى ...**" ، الصفحتان 6 و 8).

و من ثمّة ، طوّر توجّها نحو التفكير النقديّ و قدرة على ذلك . و من الأشياء التي أذهلته منذ البدايات الأولى ، كان أنّه إذا كانت للإلاه " كلمة لا تخطئ " و أراد أن يعرفها الجميع و يدّد على انّ يتّبعها الجميع ، عندئذ لماذا لا يقدّم الإلاه هذه الكلمة في شكلها الأصليّ ليكون الجميع واضحين جدّا في ما هي ؟ أو ، إذا ضاعت الكتابات اليدويّة – المخطوطات الأصليّة بصورة ما ، لماذا لم يجد الإلاه طُرقا أخرى لتوضيح ما كانت كلمته كما هي في الصل ؟ و قد دفعت أسئلة كهذه أهرمان على مسار الدراسة النقديّة للكتابات المقدّسة و المسيحيّة و الدين بصورة أشمل – متوغّلا في مجالات شتّى متعلّما لغات مختلفة للتمكّن من قراءة الكتابات المقدّسة في نسخها الأصليّة و ما إلى ذلك. و على أساس من دراساته ، يبيّن أهرمان كيف انّ هناك روايات متضاربة عن عديد الأجزاء المتنوّعة من هذه الكتابات المقدّسة – متحدّثا بوجه خاص عن العهد الجديد على أنّ هذا يصحّ أيضا على العهد القديم ز و قد أشار إلى أنّ هناك كذلك أخطاء أساسيّة في نسخ الكتابات المقدّسة فضلا عن القرارات السياسيّة التي عمدت عن قصد إلى تغيير الكتابات المقدّسة في نقاط عدّة. و في علاقة بكلّ هذا ، من المهمّ تذكّر أنّه لقرون عديدة ، عندما كانت تتمّ عمليّة إعادة تدوينها ، لم يكن ذلك عصر الأنترنت – و ما كان حتّى عصر الطباعة- هذه الكتابات المقدّسة كانت تُنسخ نسخا يدويّا و عادة من طرف أناس في أماكن مختلفة لا يتّصلون ببعضهم البعض إلاّ لماما، هذا إن كانت لديهم صلة أصلا .

و على سبيل المثال ، بولس – أو أحد أتباعه باسم بولس – سيكتب رسالة إلى مجموعة مسيحيّة في مكان مامن منطقة البحر الأبيض المتوسّط و في البداية ستكون لديهم نسخة واحدة من تلك الرسالة ثمّ سينقلونها و يمرّرونها إلى آخرين في مجموعة مسيحيّة من المجموعات الأولى في مكان آخر – و هم بدورهم سينسخونها و هكذا . و مع نسخ الرسائل عادة ما تتسرّب أخطاء ، مجرّد أخطاء في النسخ . و من الطرق التي كان يحدث بها هذا أنّ شخصا سيكتب ملاحظة على الهامش وهو ينقل النصّ – قد تعبّر عن شيء بسيط من مثل " هذا يبدو غير صحيح " أو " يجب أن يكون قد حدث على هذا النحو "- و في لحظة معيّنة سيقع ضمّ تلك الملاحظة إلى الجسد الفعليّ للنصّ من قبل أحد من ناقليها لاحقا . و قد كشف أكاديميّو الكتابات المقدّسة كافة أنواع الأشياء الشبيهة بهذا و هذا فقط في ما يتّصل بالتغييرات الحرفيّة من كتابات يدويّة – مخطوطات إلى أخرى .

ثمّ ، كما يشير أهرمان ، وُجدت أيضا تغييرات واعية و مقصودة أُدخلت لأسباب دينيّة و سياسيّة . وُجدت قرارات سياسيّة بشأن الشريعة – الكتابات المقدّسة التي أضحت عمليّا الكتاب المقدّس كما هو الآن ، أساسا . و بوجه خاص في القرن الرابع،

كان جنرالا من روما يدعى قسطنطين يواجه معركة كُبرى ضد جنرال روماني منافس يدعى ماكسنتيوس – معركة مآلها كان سيُحدّد من سيحكم الإمبراطوريّة الرومانيّة – و حسب القصّة التي نشرها قسطنطين و أمّه هيلينا أو غستا (كانت شريكته في الأمر) بعد ذلك ، فيما كان قسطنطين يقضّى الليل قبل هذه المعركة الكبرى متأمّلا ، رأى علامة الصليب في السماء و كلمات " بهذه العلامة ستنتصر ". أبلغ قسطنطين هذا إلى فيالقه و إستخدم ذلك رمزا له في المعركة ؛ و حينما كسب المعركة و أمسى إمبراطورا فتبنّى المسيحيّة دينا له . و بُعيد ذلك ، وقع تبنّى المسيحيّة كدين رسميّ للإمبرياطوريّة الرومانيّة و بحدّ السيف فرضت على كلّ الذين غزتهم الإمبراطوريّة الرومانيّة تبنّى هذا الدين .

و هكذا كان دور قسطنطين محوريّا في تاريخ المسيحيّة و ليس فحسب لأنّه صعد إلى مركز الإمبراطور و جعل من المسيحيّة دينا له و إنّما أيضا لأنّه كان مصمّما على هيكلة و تشكيل الدين و كتاباته المقدّسة وق مصالحه و أهدافه . و لهذا الغرض دعا إلى ندوات الأكاديميّين الدينيين و جعلهم تحت إشرافه الأخير يطوّرون عقيدة موحّدة و يعالجون النزاعات المفاتيح حول العقيدة – مثل التثليث الذى **ما من أحد** يفهمه و الذى كان بؤرة تركيز خلافات مريرة و عنيفة . هناك إلاه ، ألب و بعد ذلك هناك عيسى ، ابن الإلاه . هل إنحدر عيسى من الأب في لحظة معيّنة وهو ما سيجعل فعلا عيسى فى جوهر أدنى ؟ أم هل كان عيسى من البداية جزءا من ذات الجوهر و مساويا للإله ، الأب – عندئذ في لحظة معيّنة إتّخذ عيسى شكلا إنسانيّا ؟ و بالتالى هناك كامل مسألة الروح القدس .هراء مقدّس ما من أحد يعلم شيئا عن معناه . [ضحك]

وُجدت عدّة تأويلات متباينة للتثليث المقدّس و إضافة إلى الطريقة التي قمعت بها السلطات المسيحيّة لقرون غير المؤمنين و " الزنادقة " و المسيحيّين الأوّلين على الجانبين المتعارضين من النزاعات حول التثليث المقدّس المخاضة عادة بالطرق الأكثر دمويّة ، متسبّبة في قتل الآلاف من هذا الجانب و ذاك و مقترفة كلّ أصناف الفظائع في السيرورة . و كما جرت الإشارة إلى ذلك قبلا ، إذا قرأنا كتاب أدوارد جيبون " **إنهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة و سقوطها** " ، ستجدون كلّ هذا مسجّلا زمنيّا هناك . و لأنّ توحيد المسيحيّة و عقائدها و مؤسّساتها أصبح في غاية الأهمّية بالنسبة لقسطنطين كجزء من توحيد الإمبرياطوريّة الرومانيّة في ظلّ حكمه ، فرض قسطنطين فعلا مخرجات الكثير من النزاعات العقائديّة و الصراع الكتلويّ.

و إتّخذت القرارات السياسيّة حول ما أدمج صلب الكتاب المقدّس و ما هي النسخ المعتمدة و من أية كتابات مقدّسة مستخرجة، و كلّ هذا في ظلّ توجيه قسطنطين . و بعد ذلك ، إتّخذت المزيد من القرارات السياسيّة بشأن العقيدة عرفت صراعا و قتالا في القرون التالية مع تحوّل الكنيسة المسيحيّة إلى مؤسّسة قويّة .(9)

(9- بوسعكم الحصول على معلومات بهذا الصدد حول الكثير من هذا في كتاب جامس ارول " **سيف قسطنطين ، الكنيسة و اليهود : تاريخ** ". كارول مؤمن كاثوليكي لكنّه يكشف قدرا كبيرا من هذا التاريخ لأنّه معارض إلى درجة كبيرة جدّا لما شخّصه كرنال واست على أنّه المسيحيّة القسطنطينيّة - المسيحيّة التي كانت سلاحا إيديولوجيّا بيد الإمبراطوريّة (أنظروا، " **الديمقراطية مهمّة ، كسب النضال ضد الإمبرياليّة** " ، صحافة البنغوين 2004، خاصة الفصل 5 ، " أزمة الهويّة المسيحيّة في أمريكا ") و في كتاب " **سيف قسطنطين** " يقوم كارول بالكثير من الفضح لدور قسطنطين و أمّه هيلينا أوغستا في تشكيل العقدية المسيحيّة . و النقطة التي يجب التشديد عليها هنا هي أنّ ما يقع تبيانه بهذا و بالفعل بكامل تاريخ المسيحيّة ، هو مرّة أخرى انّ الكتابات المقدّسة المسيحيّة بصعوبة هب " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " المتكلّم عنها في يوم ما و تاليا ظهرت مباشرة في النسخة المطبوعة) .

و بالعودة إلى الأكاديمي بارت أهرمان ، نلاحظ أنّه يناقش واقع أنّ هناك عديد الإختلافات العميقة بين شتّى نسخ الكتاب نفسه في مختلف الكتابات اليدويّة – المخطوطات و الإختلافات العميقة بين ما يقال عن الموضوع عينه في جزء من المخطوطات و جزء آخر . فعلى سبيل المثال ، في " **إساءة إقتباس عيسى** " ، يكشف أهرمان كيف أنّ إنجيل مرقص الأصليّ نسبة للأناجيل الأخرى و خاصة أناجيل متّى و لوقا ، منه تمّت الإستعارة و إليه تمّت الإضافة . و يتفحّص أهرمان كيف يقول مرقص (في الأصحاح الثاني) إنّ عيسى إلتقى لقاءا عدوانيّا مع الفرّيسيّون (السلطات الدينيّة ضمن اليهود . لقد واجهت عيسى لأنّه و أتباعه كانوا يمشون عبر حقل حبوب و يقتطفوا الحبوب و يأكلوها يوم سبت و هذا تجاوز للقانون المسويّ حول السبت . و وفق مرقص ، في ردّ على الفرّيسيّون ن أحال عيسى على داوود كسابقة و تبرير لما كان يفعله هو و أتباعه . و الآن ، أبقوا في أذهانكم مدى أهمّية داوود ؛ فقد ركز نسب المسيح المنتظر ، إنّه الملك الكبير الذى سينحدر منه المسيح المنتظر . و تذكّرا ما فعله داوود ، قال عيسى ، و كيف ذهب و رجاله إلى المعبد عندما كانوا جائعين أيّام كان أبيثار رئيس الكهنة . لكن كما يشير إلى ذلك أهرمان ، المشكل هو أنّ هذا المقطع الذى يحيل عليه عيسى من العهد القديم (سفر سموئيل الأوّل21: 1-6)يُشير إلى أنّه عندما فعل داوود ما يحيل عليه عيسى ، لم يكن أبيثار و إنّما أخيمالك هو رئيس الكهنة. (أنظروا " **إساءة إقتباس عيسى** "، الصفحة 9 و قارنوا ذلك بإنجيل مرقص 2 : 26 مع سفر سموئيل الأوّل21: 1-6).

و الآن ، ما الذى جدّ هنا ؟ كيف أمكن لعيسى – المادة التي تساوى المادة الإلاهيّة التي لا تخطئ منذ بداية الزمن – أن يسقط في هذا الخطأ ؟ متفكّرين أنّ عيسى لن يواجه أيّة مشاكل كي تكون كتاباته المقدّسة الخاصة صحيحة ، خاصة إعتبارا لكونه يعلم كلّ شيء وهي لا تخطئ . و مجدّدا ، الواقع المكشوف هنا هو أنّ هذا بصعوبة " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " إذ هي ضمن أشياء أخرى ، تتناقض مع نفسها من موقع إلى آخر (في هذه الحال من سفر سموئيل إلى إنجيل مرقص).

أو لنضرب مثالا آخر من كتاب أهارمان " **إساءة إقتباس عيسى** " – قصّة شهيرة في الكتاب المقدّس عن امرأة إرتكبت خيانة زوجيّة وهي حسب قول أهرمان " يمكن المحاججة بأنّها القصّة الأشهر بشأن عيسى في الكتاب المقدّس ؛ و قد كانت دائما مفضّلة في روايات هوليود لحياته . و قد تسرّ]ت حتّى إلى يلم مال غبسن " **شغف المسيح** ".

إنّها قصّ' امرأة عُذر عليها وهي ترتكب خيانة زوجيّة و هذا ذنب عقابه الموت . كانت تكاد تتعرّض إلى الرجم حدّ الموت إلاّ أنّ عيسى تدخّل مجدّدا التحذير الذى بات شهيرا الآن (على الأقلّ بالنسبة إلى كافة المعتادين على المسيحيّة : " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!" و قد منع ذلك تنفيذ عمليّة القتل حسب الكتاب المقدّس . و توجد هذه القصّة في إنجيل يوحنّا في العهد الجديد ، من الأصحاح 7 إلى الأصحاح 8 .)

و المشكل مرّة أخرى كما يشير أهرمان هو أنّ هناك صعوبات و إختلافات عميقة حقيقيّة هنا مع كامل هذا المقطع في الكتاب المقدّس . و كما يسجّل ذلك أهرمان ، ينمّ هذا عن مسائل جدّية بشأن نظرة عيسى للقانون الموسويّ بما أنّه وفق القانون الموسوى **يجب** رجم هذه المرأة حدّ الموت . لكن هناك الواقع الأكثر دلالة حتّى و كما يع ذلك أهرمان :

" بالرغم من تميّز هذه القصّة و نوعيّتها الآسرة و حبكتها الكامنة ، فإنّها تنمّ عن مشكل ضخم آخر ز فكما يتبيّن ، لم تكن في الصل في إنجيل يوحنّا . فبالفعل ، لم تكن في ألصل في أيّ من الأناجيل . لقد أضيفت لاحقا على الكتابات المقدّسة " (" **إساءة إقتباس عيسى** " ، صفحة 63-64).

و يسترسل أهرمان فى نقاش بعض الأمثلة في الكتابات المقدّسة أين توجد طرق متباينة لتأويل ما حدث و من غير الواضح تمام الوضوح إن كانت هناك إختلافات في الواقع – أو ، إن كان هناك إختلاف ، ما هو منبعه . لكن في علاقة بهذه القصّة عن المرأة التي عثر عليها وهي تقترف الخيانة الزوجيّة ، يُشير أهرمان إلى أنّ " الأكاديميّين الذين يشتغلون على المخطوطات التقليديّة ليس لديهم شكّ بشأن هذه الحالة الخاصة ". و يلفت النظر إلى أنّ : " بضعة وقائع أساسيّة دلّلت على شيء مقنع بالنسبة إلى تقريبا جميع الأكاديميّين من كلّ المشارب : لا توجد القصّة في المخطوطات الأقدم و الأفضل لأناجيل يوحنّا و أسلوب كتابتها متباين جدّا مع ما نجده في بقيّة أنجيل يوحيّا (بما في ذلك القصص الواقعة مباشرة قبلها و بعدها) ، و هذا يشمل عددا كبيرا من الكلمات و الجمل التي كانت بطريقة أخرى غريبة عن الإنجيل " .

يقول أهرمان إنّ " الإستنتاج الذى لا يمكن تجنّبه هو : هذا المقطع لم يكن في الأصل جزءا من الإنجيل " (" **إساءة إقتباس عيسى** "، الصفحة 64-65).

لذا ، مع ذلك مرّة أخرى ، نرى أنّ ما نتعاطى معه في قراءة الكتاب المقدّس الذى بيد الناس الآن ، ليس " كلمة الإلاه التي لا تخطئ " (و ليس حتّى " الكلمة الأصليّة للإلاه ") .

في عمل آخر للأكاديميّين المختصّين في دراسة الكتاب المقدّس –وهو برأيى محلّ جدال أكبر و إن كان مهمّ للغاية - كتاب عنوانه " **سلالة عيسى الحاكمة ، التاريخ المخفيّ لعيسى و أسرته الملكيّة و نشأة المسيحيّة** " لجامس دى كابور (وهو رئيس قسم الدراسات الدينيّة في جامعة كارولينا الشماليّة في شرلوت) ، يقع تناول بعض المواضيع الآسرة جدّا بالنقاش . و الآن ، كما ألمحت إلى ذلك ، هناك بعض المشاكل مع هذا الكتاب . فعلى سبيل المثال ، ينطلق تابور في شيء من التخمينات ثمّ تّخذ تقريبا تخميناته بعد قليل على أنّها وقائع في هذا الكتاب . و ينسحب هذا بوجه خاص حيث يناقش النسب العائليّ لعيسى : تأويل تابور لكيفيّة فهم ما يقال في لوقا و متّى عن نسب عيسى نوعا ما متأثّرة في رأيى (و هذا موضوع سأعود له لاحقا) . لكن هناك أجزاء هامة من هذا الكتاب و بالخصوص حيث يحلّل شيئا حيويّا للفهم في ما يتعلّق بالمسيحيّة و كامل تطوّرها التاريخيّ ، تحديدا ، هيمنة بولس في المسيحيّة . و يتقدّم كتاب " **سلالة عيسى الحاكمة** " بتحليل ليس لكيف ينعكس هذا الدور الهيمنيّ لبولس فقط في الكتاب المقدّس ، لكن أيضا لكيف ظهر هذا . و يشير إلى :

" كان عيسى يهوديّا و ما كان مسيحيّا . و هذا العامل التاريخي لوحده يفتح الباب أمام فهم عيسى كما كان فعلا في زمنه و مكانه الخاصّين ؛ وهو باب لم يفكّر فى ولوجه أبدا العديدون " (" **سلالة عيسى الحاكمة** " ، الصفحة 109)

و مردّ عدم تفكير " العديدون " في ولوجه أبدا " هذا الباب ليست صعبة التمييز . و هذا التحليل لا يتناسب حقّا مع التقاليد الدينيّة المسيحيّة ، تقاليد الكنيسة المسيحيّة و هذا يمثّل أساسا عيسى كداعية و ممارس للدين الجديد ، المسيحيّة و يصوّر اليهود كقتلة للمسيح . و يسترسل تابور :

" لفهم عيسى في زمنه و مكانه الخاصّين علينا أن نفهم إلتزامه العميق بالإيمان القديم لآبائه . لقد رأى نفسه لا يفعل شيئا سوى تحقيق كلمات موسى و سلالة الرسل ن أمل المسيح المنتظر الذى قاد حياته و أدّى به إلى الموت ، كان النواة المركزيّة لكينونته الأعمق . (" **سلالة عيسى الحاكمة** " ، ص 109).

إلى الآن ، هنا ، كما في مواضع أخرى من كتاب تابور ، مظاهر هامة من محاججته محلّ جدال و نزعات جليّة . و مثلا ، قد حاجج الكثيرون بأنّ عيسى رأى أنّ مهمّته و رسالته تتجاوزان- و بأشكال تمضى ضد و حتّى تنفى – القانون و الوصايا الموسويّة في العهد القديم . لكن كما أشرت إلى ذلك آنفا ، لا شكّ في أنّ الكتاب المقدّس كما هو اليوم (و كما وُجد لقرون) يصوّر عيسى و يزعم أنّه المسيح المنتظر إعتمادا على التقاليد الدينيّة و للكتابات المقدّسة اليهودية . و أيضا ما من شكّ في أنّه تحت تأثير بولس أكثر من أي شخص آخر، إبتعدت المسيحيّة بصفة متزايدة عن جذورها و طابعها الدينيّين اليهوديّين ، حتّى بينما لم لم يكن بوسعها أن تلغي تأسيسها على اليهوديّة .و يجب أن نسجّل أنّ بولس إدّعى أنّه رأى عيسى في رؤيا عقب وفاة عيسى و صعوده إلى السماء إلاّ أنّه في الحياة الحقيقيّة لم يلتق بولس عيسى بتاتا . و مع ذلك ، هناك أرضيّة أساسيّة جدّا لإعتبار بولس المؤثّر بصفة مهيمنة في المسيحيّة كما تطوّرت تاريخيّا و كما توجد اليوم بما فيها في قطيعتها مع و تناقضها العدائيّ الممكن مع اليهوديّة .

و ممّا لا يمكن إنكار حقيقته و لا دحضها أنّه طوال القرون ، إثر زمن عيسى ، و قد قطعت المسيحيّة تمام القطع مع اليهوديّة بتحوّلها إلى دين راسخ في حدّ ذاته – و خاصة نتيجة تبنّيها كدين رسميّ من طرف الإمبراطوريّة الرومانيّة في جزء كبير من ذلك لتأثير الإمبراطور قسطنطين و دوره – أضحت المسيحيّة من أهمّ القوى المساهمة في و المنجزة للقمع بلا هوادة للناس ذوى الديانات الأخرى ، بخصوصيّة سامة من الكره الموجّه إلى اليهود الذين يتقمّصون بصورة متصاعدة دور ليس فقط نبذ عيسى كمسيح منتظر لكن كذلك كمسؤولين عن موته على الصليب – " رواية اليهود كقتلة المسيح " التي أذيعت عبر القرون بنتائج رهيبة .

و اليوم ، في بلد كالولايات المتّحدة ، هناك سخرية حقيقيّة و منحرفة في واقع أنّه طالما أنّ للإضطهاد و المسيحيّة معنيّين ، ما يصوّره في الغالب الأعمّ و يشدّد عليه بلا هوادة الأصوليّون المسيحيّون الفاشيّون هو صورة المسيحيّين أنفسهم يتعرّضون إلى الإضطهاد و هذا من جهة هؤلاء المسيحيّين الفاشيّين مسعى واعيّا لإستحضار – أحيانا مباشرة و صراحة و أحيانا بأكثر مواراة شبح المسيحّين المضطهَدين في الإمبراطوريّة الرومانيّة : هؤلاء المسيحيّين الفاشيّين في الولايات المتّحدة اليوم حبّون التحرّك كما لو أنّهم في وضع خطير مشابه لوضع المسيحيّين الأوائل في المدرج الروماني تكاد الأسود تفترسهم. إنّهم يندّدون مرارا و تكرارا ب " القضاة غير المنتخبين " على أنّهم " معادين للمسيحيّين " مؤكّدين أنّه بدلا من تأويل القوانين كما يفترض أن يفعل هؤلاء " القضاة غير المنتخبين " يصدرون قوانينا للتمييز العنصريّ ضد المسيحيّين و لإضطهادهم . في الواقع ، المسيحيّة هي دين تقريبا رسميّا لأكبر إمبراطوريّة في العالم عدوانيّة ، القوّة العظمى الإمبريالية العالمية ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة ؛ و هي تستخدم هذا الدين كأداة إيديولوجيّة لتعزيز الهيمنة و الإستغلال من النوع الأكثر قسوة و وحشيّة عبر أجزاء شاسعة من العالم و مع ذلك لأنّه في الولايات المتّحدة ذاتها ، هؤلاء المسيحيّين الفاشيّين – إلى حدّ الآن – واجهوا بعض التحديدات و العوائق في سعيهم إلى توظيف آلة الدولة كأداة دعم رسميّة لنسختهم الإطلاقيّة للمسيحيّة وصولا إلى حنجرة كلّ شخص ،و للترويج لها عبر المؤسّسات العامة كالمدارس و المعاهد و هم يعوون كالذئاب " المسيحيّون مضطهدون " !

إذا عشنا في هكذا ضرب من المجتمع و نشأنا ضمن التقاليد المسيحيّة ، من المرجّح جدّا أن ندرك أنّه منذ زمن عيسى و لقرون ، كان المسيحيّون بإستمرار و بلا رحمة و بلا هوادة مضطهَدين من قبل السلطات الرومانيّة و بالفعل هذه الصورة المرسومة لتجربة المسيحيّين في الإمبراطوريّة الرومانيّة ليست تعكس الحقيقة . فقد حدث إضطهاد للمسيحيّين الأوائل و كان أحيانا قاسيا جدّا غير أنّه كان يحدث من حين إلى آخر ؛و صار بارزا عندما كان ذلك يخدم مصالح إمبراطور معيّن كنيرون مثلا في حر الغضب بإتّجاه مجموعة معيّنة أو عندما كان ما يمثّله المسيحيّون بطريقة من الطرق في نزاع له دلالته مع مصالح الطبقات الحاكمة و بخاصة إمبراطور روما .

و من الأشياء التي يشرحها أهرمان – و هذا من المهمّ فهمه – هو أنّ الديانة الوثنيّة في روما كانت ديانة متعدّدة الآلهة . لذلك ، حينما ظهر المسيحيّون و قالوا إنّ لديهم إلاها آخر ، قال الكثير من الاس ، فعلا " آه ، حسنا ، هذا جيّد ، لماذ لا ؟ هناك مجال رحب لإلاه آخر ". كان الرومانيّون يؤمنون بأبولو إلاه الشمس و ديانا إلاهة القمر – و كافة أصناف الآلهة

المتباينة و العديد منها يحيل على مظاهر او ظواهر مختلفة من الطبيعة . و تعزى مواجهة المسيحيّين للمشاكل أنّه في الوقت الذى كان الناس يعبدون هذه الآلهة الوثنيّة ، كان عليهم ليس إعلان الولاء للإمبراطور فحسب بل كان عليهم أيضا أن يعترفوا بألوهيّة الإمبراطور . إلاّ أنّ المسيحيّين رفضوا ذلك و هذا الرفض هو الذى أفضى بهم إلى مواجهة مشاكل عدّة . و مع ذلك، صورة رمي المسيحيّين يوميّا في حلبة المدرّج مع الأسود ليست دقيقة عن ما حدث في غالب الوقت ، في الأيّام الأولى للمسيحيّة قبل صعودها إلى مرتبة الدين الرسميّ لروما .

و مجدّدا ، الإضطهاد الدينيّ للإمبراطوريّة الرومانيّة تغيّر دراماتيكيّا فور تبنّى المسيحيّة و فرضها كدين رسميّ لروما و بالنسبة إلى المسيحيّين تبدّلت الأوضاع التغيير كلّه فبعد ذلك بات الإضطهاد – إضطهاد **غير المسيحيّين** و المنعوتين بالزندقة – إضطهادا منهجيّا و بلا رحمة و على أساس مستمرّ . و مرّة أخرى ، يسجّل كتاب إدوارد جيبون ، " **إنهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة و سقوطها** " بصورة حيويّة الفترات المديدة التي مضت فيها المسيحيّة فور إنتصارها في الإمبراطوريّة الرومانيّة ، في إضطهاد الذين تعدّهم أعداء لها . و بالرغم من أنّي أعتقد أنّه بالغ في التأكيد على مدى و هدف إضطهاد المسيحيّة في قرونها الأولى صلب الإمبراطوريّة الرومانيّة ، فإنّ الموقف التالى لأف . أي . بتارس ، في كتابه " **حصاد الهلّينيّة** " ، يلتقط و يركّز الإنقلاب الدراماتيكي الذى حصل حينما وقع تبنّى المسيحيّة بشكل حاسم كدين الإمبراطوريّة الرومانيّة : " كانت موارد الدولة الرومانيّة موجّهة في وقت ما نحو إجتثاث المسيحيّة فتغيّرت الآن بإتّجاه الهراطقة و الوثنيّين "

و يشير بتارس : " قليلا جدّا من التنوّع الذى لا يصدّق من العبادات و المعتقدات المتّبعة في الإمبراطوريّة كان حيويّا بقدر كبير في القرن الرابع و الخامس لكن الإختلاف بين الدين المتداعى و دين ميّت هام ، و لبلوغ وضع الدين الميّت ، مثل أعلى مستمرّ من زمن ثيودوسيوس (395-375 ق-م) ، بصورة متصاعدة يجب أن يتّخذ إجراءات صارمة . و طبعا كان هذا المثل الأعلى هو الكنيسة غير أنّ الدولة هي التي تشاطرها هذه الإجراءات و تنفّذها."

(" **حصاد الهلّينيّة ، تاريخ الشرق الأدنى من الإسكندر الأكبر إلى إنتصار المسيحيّة** " ، خاتمة نهاية الوثنيّة ، ص 713).

و يتكلّم جامس كارول عن الظاهرة نفسها بصيغة حتّى أوسع و أكثر تفصيلا :

" فقط بعد جوليان ، عبر الحكم المتعاقب للأباطرة فالنتاين و ثيودوسيوس ، صارت الإمبراطوريّة معلنة رسميّا مسيحيّة ؛ و فقط حينها كان إعتبار المسيحيّة بدعة يعدّ جريمة كبرى ، فقط حينها وقع المنع الرسميّ للعبادة الوثنيّة ، فقط حينها أُلغيت سلطة الأب المؤسّس اليهوديّ مرّة و إلى الأبد . و حينها مسألة ما العمل بصدد اليهود الذين رفضوا سواء الإلتحاق أو الإضمحلال ظهرت إلى السطح في الخطاب الرسميّ للسلطات العلمانيّة و الدينيّة .فمن جهة ، كان الأمر يبدو بسيطا . فور قبول الكنيسة و الدولة بأنّه كان من الشرعيّ و القانونيّ إعدام أولئك المسيحيّين – الآريّين و النستوريّين و الدوناتستس و الدوسيتستس – الذين إنشقّوا عن الدوغما المحدّد وفق أشياء نسبيّة غموض اللاهوت ، لماذا في العالم يجب أن يُسمح لأناس عنيدين نبذوا بوضوح كامل الإدّعاء المسيحي بالحياة ؟ "(" **سيف قسطنطين** " ، ص 206).

مذّاك ، في " العالم المسيحي " ، كانت الحياة تعادل جهنّم بالنسبة للذين رفضوا ممارسة المسيحيّة أو الذين يُصرّح بأنّهم أعداء للمسيحيّة : الذين هوجموا أثناء الحرب الصليبيّة بمن فيهم ليس المسلمين فحسب بل أيضا اليهود و طوائف متنوّعة و قائمات تعلن الكنيسة الرسميّة أنّهم زنادقة ؛ و أناس كانوا ضحايا محاكم التفتيش الى أنشأتها الكنيسة المسيحيّة طوال القرون ، و من خلالها كانت السلطات الدينيّة و الحكوميّة تعذّب و تقتل ملايين الناس الذين لم يقبلوا بالتحوّل إلى المسيحيّة أو التخلّى عن معتقداتهم التي كانت تدان على أنّها زندقة أو آخرين وقعوا في ورطة مع سلطات الكنيسة بشكل من الأشكال. وصولا إلى العصر الحالي ، حيثما كانت المسيحيّة الدين الرسميّ (أو تقريبا الرسميّ) كان الناس الذين يحاولون ممارسة ديانات أخرى أو هم لادينيّون يتعرّضون للتمييز العنصريّ إن لم يقع إضطهادهم بطرق أكثر خبثا .

(في إرتباط بهذا ، إضافة إلى الأعمال التي ذُكرت إلى حدّ الآن ، أنظروا أرنو.ج. ماير ، " **لماذا لم تسودّ السماوات ؟**الحلّ الأخير في التاريخ "، كُتب بنغوين 1990).

المسيحيّة كدين جديد : دور بولس المحوريّ و تأثيره

و لنعد إلى ما قبل كلّ هذا ، قبل أن تصبح المسيحيّة دين دولة في الإمبراطوريّة الرومانيّة و لنعد إلى مسألة : كيف نمت المسيحيّة و غدت قوّة لها دلالتها ؟مثلما عرّجت على ذلك بعدُ ، في الأيّام الموالية لوفاة عيسى ، يعود إلى بولس . فقد كان بولس منظّما و محوّرا عدوانيّا جدّا لنسخته من الدين المسيحيّ . و أشدّد على **نسخته** . و يُعزى هذا التشديد إلى أنّه بالفعل وُجد عدد من النسخ المتباينة و المجموعات المنظّمة المتباينة في صفوف المسيحيّة في أيّامها الأولى .

و لتكوين فكرة أوضح عن هذا ، لنعد بالذات إلى زمن ما بعد صلب عيسى . هنا توفّي قائد الطائفة . و هذه صفعة مدمّرة . كان المسيحيّون متبعثرين في مجموعات صغيرة يحاولون تصوّر كيفيّة إعادة التجمّع . ما الذى سيفعلونه و يقولونه عن واقع أنّ قائدهم قد أُعدم ليس طويلا بعد إعدام وجوه مفاتيح أخرى مرتبطة بعيسى ، منهم يوحنّا المعمدان ؟ تصوّروا ، ليدكم حركة و فجأة يتمّ مسح أعلى قياداتها . و بالتالى عليكم أن تستوعبوا ما الذى يجب القيام به إزاء هذه الخسارة المدمّرة . إذا كانت هذه مجموعة دينيّة نبوئيّة تعتمد على تنبّؤات نهاية العالم أو على أي حال على مفهوم إقتراب حصول تغيّرات هائلة بأمر من الإلاه – و هذه الطائفة من اليهوديّة التي أضحت المسيحيّة كانت حركة نبوئيّة مشابهة – حسنا ، بالتالى من غير المفاجئ جدّا أن تظهر في صفوف الذين واصلوا المسار أسطورة أنّ القائد لم يمت في نهاية المطاف و إنّما رُفع و تجاوز الموت .

هذا الصنف من الأفكار شائع في صفوف الناس الذين كانوا جزءا من حركة يقودها قائد مؤثّر كارزماتي . فعلى سبيل المثال، قبل حوالي قرن ، عديد الفلاّحين في المكسيك عقب قتل قائد التمرّد ، أميليو زباتا ، إعتادوا على ترديد قصص عن كيف أنّ زباتا لم يكن قد مات حقّا في نهاية المطاف – لا يزال بعدُ هناك في الجبال . حسنا ، كان زباتا على قيد الحياة مثلما كان عيسى عقب صلبه . لكن عادة حين يشعر الناس في أوضاع كهذه بالحاجة إلى أن لا يكونوا قد سُحقوا و عمّ صفوفهم اليأس ، يخرجون بطريقة ليس لتعزية أنفسهم بل لإبقاء الحركة قائمة . فإمّا هذا أو التخلّى عن كلّ شيء . وعليه ، بينما تخّلى بلا شكّ بعض أتباع عيسى عن حركتهم ، أعاد آخرون التجمّع . غلاّ أنّهم لم يتجمّعوا كلّهم في كتلة مسيحيّة واحدة – بكلّ ما هو الآن عاديّ من وجوه ملتحة بالأسود تسير في الأرض ناشرة الظلام في كلّ مكان ، رامية بالبخور هنا و هناك و مغمغمة بلا تناسق . و إستغرق الأمر ليتطوّر و يتمأسس بضعة قرون . [ضحك] بدلا من ذلك ، كانت هناك كتل مختلفة. كان أحدها متوحّد تقريبا حول بيتر الذى هو أحد أهمّ الأتباع أو تلامذة عيسى . و كانت مجموعة أخرى متوحّدة حول شقيق عيسى ، جيمس/ يعقوب ، الذى يشدّد عليه قليلا جدّا في الكتاب المقدّس . و هذه من النقاط التي يركّز عليها تابور – أنّ جيمس/ يعقوب يذكر لماما جدّا في الكتاب المقدّس رغم أنّه معروف و معترف بأنّه شقيق عيسى . و حسب تابور – و هذا شيء محلّ جدال – مرّر عيسى العباءة إلى شقيقه بمعنى أنّه وريثه . لكن مهما كانت حقيقة الأمر ، لا جدال في كون جيمس/ يعقوب كان على رأس طائفة مسيحيّة داخل القدس و خارجها . و – هذا قد يوحى بشيء بشأن ما كانت عليه معتقدات عيسى، و إن كان لا يمثّل دليلا نهائيّا – ممّا بيّنه الأكاديميّون ، كان جيمس/ يعقوب مدافعا عن اليهوديّة الصارمة و ينظر بوضوح إلى المسيحيّة (أو " الحركة اليسوعيّة ") على أنّها الشكل الحقيقي لليهوديّة ما عني التأكيد على القوانين و الوصايا الصارمة في إنسجام مع التقاليد المرافقة لموسى و الكتابات المقدّسة اليهوديّة عموما .

و بينما سأعود إلى المظاهر الأساسيّة للرسالة و العقيدة المسيحيّتين و أتعمقّ فيهما بعد قليل ، أوّلا من الهام أن نتصفّح أكثر العلاقة بين الدين المسيحي و الدين اليهوديّ (اليهوديّة). أي أن نناقش المسيحيّة كما تطوّرت بداية داخل ثمّ إنفصلت عن و صارت بصفة متزايدة في نزاع عدائيّ مع اليهوديّة ؛ و من ثمّة توجّه الحبّ / الكره و العلاقة التي كانت للمسيحيّة مع اليهوديّة عبر تاريخ المسيحيّة .

عد فترة قصيرة من صلب عيسى ، شرع بولس في البروز كقائد . و بالفعل ، كما جرى التلميح إليه ، كان بولس عمليّا الوجه المهيمن في العهد الجديد من الكتاب المقدّس حتّى أكثر من عيسى : بولس هو الذى يحدّد إلى درجة كبيرة إطار العهد الجديد . لكن ، في الأيّام الأوائل جدّا ل " الحركة اليسوعيّة " بعد عيسى ، قبل أن يُصبح تأثير بولس مهيمنا صلب المسيحيّة، تطوّر صراع في صفوف المجموعات المختلفة لهذه الحركة .و بهذا الصدد ، من المهمّ أن نُبقي في اذهاننا أنّه طالما أنّ الناس كانوا يؤمنون بأنّ عيسى هو المسيح المنتظر ، كانوا ينتظرون منه أن يكون المسيح المنتظر **المنتصر** . في التقاليد اليهوديّة ، لم يكن من المفترض أن يصلب المسيح المنتظر – كان من المفترض أن يكون بطلا مظفّرا بالضبط في هذا العالم و لمصلحة الشعب اليهوديّ . و هذا بلا شكّ سبب هام للماذا أغلبيّة كبرى من اليهود رفضوا إعتبار عيسى المسيح المنتظر: أي نوع من المسيح المنتظر هو ؟ من المفترض أن يقودنا خارج الحدود و يهزم أعداءنا و إنظروا ما حدث له ؟ [ضحك]

لذلك شرعت المجموعات المسيحيّة الأولى في الصراع في ما بينها حول ما الذى يجب فعله في مواجهة واقع أنّ عيسى لم يفز بل هُزم هزيمة نكراء و وقع صلبه ز لقد أخذوا يخترعون القصص و الأساطير لتقبّل هذه الهزيمة الجليّة و تحويلها إلى إنتصار . هنا مرّة أخرى ، يكمن أساس قصّة البعث الجديد – و بطبيعة الحال ، لا دليل مهما كان خارج الكتاب المقدّس .
إلاّ أنّه مع تطوّر هذه الصراعات صلب المجموعات المسيحيّة الأولى حول الإتّجاه الذى يجب أن تتّبعه هذه الحركة الدينيّة التي تشظّت بسبب وفاة قائدها ، عيسى ، و قد واجهت بعض المشاكل العصيبة حقّا و كانت لها مواقف متباينة – أو كما نقول نحن الشيوعيّون – " خطوطا " متباينة – في ما يتّصل بما ينبغي القيام به بهذا المضمار .فعلى سبيل المصال ، نظرا لولائه للتقاليد اليهوديّة ، موقف شقيق عيسى ، جيمس/ يعقوب كان تأكيد أنّه كان عليهم أن يظلّوا صرامة ضمن التقاليد اليهوديّة و إنتداب اليهود دون سواهم . و كانت لبطرس نوع من المواقف الوسطيّة : يجب أن نظلّ مرتكزين أساسا ضمن اليهود لكن لا ينبغي أن نستبعد إنتداب غيرهم . إلاّ أنّ بولس إتّخذ بصفة متصاعدة الموقف التالى ذكره : إنّ كنّا سننشر حقّا هذا الدين ، علينا أن نخرج إلى صفوف الناس الوثنيّين (غير اليهود) بطريقة شاملة لأنّ اليهود ينبذون هذا و سنضمحلّ متى لم نحصل على بعض الإنتدابات الجديدة .

عند قراءة رسائل بولس (أو الرسائل المنسوبة لبولس) في الكتاب المقدّس ، من الواضح جدّا أنّه يشدّد على الحاجة إلى التوجّه إلى غير اليهود . فهو يصوغ جدالات مع أناس آخرين في القيادة المسيحيّة وقتها ز و قد جدّ هذا الصراع حول عدد من المواضيع لكنّه تركّز بوجه خاص على الوصايا العشر و متطلّبات العهد القديم . مثلا ، وجدت العديد من المتطلّبات الغذائيّة الصارمة للغاية في العهد القديم و في التقاليد الدينيّة اليهوديّة . و كان المسيحيّون الأوائل يواجهون الكثير من الصعوبات في جعل الناس يلتحقون بحكتهم لأنّه ضمن غير اليهود لم ينشأ الناس بكافة هذه التحديدات الغذائيّة و ما كانوا يرغبون في تبنّيها . و كان موقف بولس هو الآتى : ليس عليكم أن تتبنّوا القانون عمليّا بشكل حرفيّ ، ما عليكم سوى تبنّى روحه .

لكن فضلا عن هذا – و قد إحتدّ هذا بفعل أنّ ديانتهم كان يهيمن عليها الرجال و كانت جهودهم مركّزة على إنتداب الرجال – المشكل الأعوص الذى واجهوه كان مشكل الختان . الأطفال اليهود يختنون في سنّ مبكّرة . لكن لنقل إنّك وثنيّ و يأتيك بولس (أو عضو آخر من " الحركة اليسوعيّة ") و يدعوك إلى الإنضمام إلى هذه الحركة الدينيّة . و حينها لم يكن يوجد أيّ تخدير وما كانوا يملكون التقنية الطبّية التي لدينا اليوم . فكان تعرّض الكهول للختان قضيّة كبرى . و كان هذا فعلا يشدّ من إنتداباتهم إلى الخلف . [ضحك] . لذا ، متى قرأنا الكتاب المقدّس ، نجد بولس يحاجج : ليس عليكم أن تختتنوا في لحمكم، يمكن أن تختتنوا في الروح . فساعدهم هذا مساعدة كبيرة . [ضحك] و هذا من أسباب لماذا صار بولس الوجه المهيمن داخل الحركة المسيحيّة – كان يضع إصبعه على نبض الأشياء أكثر من غيره ، إن أمكن قول ذلك . [ضحك]

و الآن ، ثمّة مظاهر مضحكة لهذا لكن أيضا جانب جدّي جدّا و قاتل . فكما تمّ نقاش ذلك قبلا ، مع تواصل تطوّر المسيحيّة على هذا النحو ، لأجيال فأجيال متتالية ، إلى درجة كبيرة نتيجة تأثير بولس (حتّى بعد إعدامه ذاته) ، لم تنفصل المسيحيّة بصفة متصاعدة فقط بل إتّخذت موقف تناقض عدائيّ تجاه اليهوديّة . و إلى جانب هذا ، كلّ قصّة " **شغف المسيح** " التي تطوّرت و صارت فيها السلطات اليهوديّة و صار فيها اليهود بشكل هام عرضة للتوبيخ و الإدانة لصبهم عيسى . في هذه القصّة ، عند محاكمة عيسى قال الموظّف الرسميّ الروماني بنتيوس بلات إنّه بوسعه أن لا يجد أيّ نشاط إجراميّ لدى عيسى غير أنّ الغوغاء اليهوديّة و السلطات اليهوديّة التي كانت حاضرة كانت تنادى بتسليط عقاب على عيسى . لذلك غسل بلات يديه من هذا قائلا : " أنا بريء من دم هذا الرجل " ، و تمّت إدانة عيسى ليصلب (أنظروا إنجيل متّى ، الأصحاح 27 ، لا سيما الآية 24) . و سيتمّ تشجيع هذا ونشره إلى يوم الناس هذا – و فيلم مال غبسن " **شغف المسيح** " مثال مذهل عن هذا . لكن مرّة أخرى ، باحرى من الواضح من عمل الأكاديميّين المختصّين في دراسة الكتاب المقدّس أنّ كلّ هذه القصّة لكيف أنّ اليهود كانوا مسؤولين عن صلب عيسى غير محتملة إلى درجة كبيرة فمن غير المرجّح جدّا أنّ السلطات الرومانيّة أذنت لمّا واجهت شخصا متّهما بأنّه متمرّد و متسبّب في إضطرابات ، اذنت للغوغاء اليهوديّة بأن تقرّر ما يجب فعله . لكن مهما كانت هذه القصّة غير مرجّحة الحدوث كما بيّن الأكاديميّون ، فإنّها تسرّبت إلى التقاليد المسيحيّة حوالي قرن عقب وفاة عيسى .(10)

(10- نتيجة للإحتجاجات ، إنتزع مال غبسن من فيلم " **شغف المسيح** " و تخلّى عن المشهد الذى ينادى فيه اليهود " دمه [دم عيسى] علينا و على أولادنا ! " (إنجيل متّى 25:27) لكن غبسن ترك إحالات غير مباشرة أكثر على هذا .

مع ذلك ، من المهمّ الإقرار بأن شيئا كشريط " **شغف المسيح** " لم يكن فقط حماسا شخصيّا خاصا أو مشروعا لمال غبسن. فقد كان مدعوما – بشكل جليّ و بعدوانيّة أو بطريقة أكثر تهذيبا و لطفا أو حتّى بطريقة غير مباشرة – من قبل الأصوليّين المسيحيّين البروتستانيّين كجيري فلوال و بات روبرتسن و غيرهم من ذوى العلاقات وصولا إلى أعلى أوساط الحكومة الأمريكيّة ، و كذلك الكنيسة الكاثوليكيّة و البابا حينها ، جون بول الثاني . و في عالم اليوم ، نظرا لتصميم إمبرياليّى الولايات

المتّحدة على مزيد إعادة تشكيل الشرق الأوسط بصورة تكون حتّى أكثر مواتاة لأهدافها للسيطرة ليس فحسب على هذه المنطقة الإستراتيجيّة لكن على العالم ككلّ ، و نظرا للدور الخاص و المتميّز الموكل لدولة إسرائيل في علاقة بذلك ، فإنّ الأصوليّين المسيحيّين الرجعيّين و خاصة أولئك في أعلى مستويات الحكم في الولايات المتّحدة بمن فيهم الرئيس ، و في الوقت نفسه الذي يشجّعون فيه على تقاليد دينيّة إستهدفت بلا رحمة اليهود على أنّهم " قتلة المسيح " ، يجب أن يوقّروا أو يشدّدوا على الدعم اللامشروط و الثابت لدولة إسرائيل ، كدولة يهوديّة ز تستمرّ الولايات المتّحدة في التمويل الضخم و التسليح و المساعدة الكبيرين لإسرائيل بطرق متعدّدة لم تساهم في جعل إسرائيل تسرق من الشعب الفلسطيني وطنه و تضطهده بخبث فقط و إنّما أيضا بطرق خدمت بها إسرائيل كمخفر أماميّ عسكريّ متقدّم للإمبرياليّة الأمريكيّة في العالم و ليس فحسب في منطقة الشرق الأوسط الإستراتيجيّة لك حتّى في أنحاء بعيدة من الكوكب على غرار أمريكا اللاتينيّة و شرق آسيا حيث تقوم إسرائيل بعمل وسخ لصالح الإمبريالية الأمريكيّة . (فضح و تحليل هامين لمختلف مظاهر دور إسرائيل هذا و كذلك تاريخ تأسيس إسرائيل و علاقتها بالإمبريالية الأمريكيّة ككلّ ، متوفّرين في جريدة " **الثورة** " [على الأنترنت بموقع www.revcom.us] بما في ذلك خطابى " **التقدّم بطريقة أخرى** " .و الكثير من الأشياء الهامة موجودة كذلك في أعمال نورمان فنكلشتاين و منها " **صناعة الهولوكست** " و " **أبعد من شوتزباه ، إساءة توظيف مناهضة الساميّة و إنتهاك التاريخ** "). يواجه حكّام الولايات المتّحدة الإمبرياليّون بالأحرى تناقضا حادّا في علاقة بكلّ هذا و هنا تكمن الطريقة التي سيتعاطون بها مع هذا التناقض : إنّهم يروّجون لتأويل للكتاب المقدّس و خاصة " **رؤيا يوحنّا اللاهوتيّ** " من الكتاب المقدّس و فيه يشدّد على أنّ البعث الثاني و العودة المظفّرة لعيسى لا يمكن أن تحصل إلاّ إذا كانت دولة إسرائيل قائمة – و إن كفّت دولة إسرائيل عن الوجود فإنّ ذلك سيؤخّر البعث الثاني ،و سيشهد ظفر عيسى تراجعا كبيرا و ستستفيد كثيرا من ذلك القوى المعادية للمسيح . و بالتالى ، من الحيويّ تقديم الدعم لإسرائيل . و طبعا ، من المهمّ أن نبقى في أذهاننا أنّ في نظرة الأصوليّين المسيحيّن إلى العالم ، عندما يحدث البعث الثاني ، سيجد اليهود أنفسهم أمام خيار من خيارين إمّا التحوّل إلى المسيحيّة أو الإدانة باللعنة الأزليّة . و هذا بعدُ تناقض أبعد مبنيّ في كلّ هذا – و عدد من اليهود بمن فيهم بعض المساندين العتيدين لإسرائيل واعون بذلك و الكثير منهم تتنازعهم مشاعر متضاربة أو حتّى تخوّفات جدّية من هذا . و في الوقت الحالي ، و بالأساس نشاهد الإندفاعات المتناقضة ضمن الأصوليّين المسيحيّن مجتمع معا على نحو يخدم المصالح الإمبرياليّة للولايات المتّحدة بما فيها تلك المتّصلة بإسرائيل ودورها الخاص في علاقة بهذه المصالح . و قد كان هذا ممكنا إلى درجة كبيرة تحديدا لأنّها في الجوهر و في حدّ ذاتها ، الحركات الأصوليّ من هذا القبيل متكوّنة من و تتوجّه إلى أناس يبحثون عن أجوبة بسيطة ومطلقة عن تعقيدات و هشاشة عالم اليوم و هم بالتالى طالما يتمسّكون بهذه العقليّة ، ينحون نحو إتّباع أناس يؤكّدون بقوّة هذا الصنف من الأصوليّة و السلطة المطلقة .

لسوء الحظّ ، بينما يمكن لتعبيرات هذه الأصوليّة المسيحيّة أن تتّخذ أبعادا سخيفة فهي تمثّل قوّة رجعيّة خطيرة جدّا و ذات ذهنيّة فاشيّة – و الكثير من المضطهدين واقعين في هذه اللحظة في أسرها . و في الوقت نفسه ، هناك ظاهرة أنّه مهما كان قدر سعي الحكّام الإمبرياليّين و السلطات الدينيّة الرجعيّة التلاعب بذلك ، يوجد الواقع بإستقلال عنها وهو يؤكّد نفسه كما جدّ بحدّة على سبيل المثال في العراق طوال تقريبا سنوات خمس منذ غزو الولايات المتّحدة لذلك البلد و إحتلالها له .

وتحليل أتمّ لهذا التناقض المرتبط بواقع أنّ المسيحيّين الفاشيّين في الولايات المتّحدة وقع تعويدهم على رؤية اليهود ك " قتلة للمسيح " و في الوقت نفسه ، وقع تعويدهم على أن يكونوا مساندين متعصّبين لدولة إسرائيل – و بعض النقاش للإطار الأشمل و الإنعكاسات السياسيّة لهذا – متوفّر في قسم الأسئلة و الأجوبة من شريط دى في دي لخطابي " **الثورة : لماذا هي ضروريّة و لماذا هي ممكنة و ما الذى تعنيه** " ، إنتاج الثلاثة كيو ، شيكاغو ، إلينوا .)

و الآن ، لنكن واضحين ، ليس بولس مسؤولا بعض المعنى المباشر ، عن هذا المستوى من التناقض العدائيّ لدي المسيحيّين تجاه اليهود و إنعكاسات ذلك الرهيبة عبر القرون لا سيما عقب تبنّى المسيحيّة و فرضها كدين رسميّ للإمبراطوريّة الرومانيّة ، و قد كانت الدين الرسميّ او شبه الرسميّ للإمبراطوريّات الإضطهاديّة مذّاك وصولا إلى يومنا هذا . زمن بولس و إلى درجة كبيرة عبر تأثيره ، أضحت المسيحيّة في مسار سيؤدّى إلى إنفصالها عن اليهوديّة ؛ و بدوره سيؤدّى هذا الإنفصال إلى تنامى العدوانيّة من جهة المسيحيّين إزاء اليهود الذين نبذوا – و بنبذهم قوّضوا موضوعيّا – زعم أنّ عيسى كان هو المسيح المنتظر ؛ و لمّا أضحت المسيحيّة قوّة عتيّة ثمّ دينا رسميّا للدولة ، وجدت تلك العدوانيّة تعبيرا عنها في الإضطهاد العنيف و المجازر الدمويّة المرتكبة و المفروضة من طرف الدولة .

ناظرين إلى هذا من منظور تاريخي ، من المهمّ الإقرار بانّ المسار الذى إتّخذته المسيحيّة إثر وفاة عيسى كان يشتمل على عنصر محدّد من الصدفة .إذا كان يمكن للصراع بين المجموعات المتباينة في صفوف " الحركة اليسوعيّة " الأولى أن يتّخذ مسارا مغايرا . فعلى سبيل المثال ، كان من الممكن أن يتعرّض بولس للقتل قبل قتله الفعليّ بفترة طويلة - في نهاية المطاف، أعدمته السلطات الرومانيّة إلاّ أنّ ذلك لم يقع إلاّ بعد تمضيته لعقود عدّة في تنظيم الحركة المسيحيّة و نشرها في

منطقة البحر الأبيض المتوسّط . أو كان من الممكن لمزيج من ألسباب أن لا يكون بولس فعّالا جدّا أو ناجحا جدّا في الترويج لروايته للمسيحيّة و تنظيمه للناس حولها . لكن كما جرت الأحداث عمليّا ، كان فعّالا جدّا و زمن قتله ، عدّة عقود بعد صلب عيسى ، كانت هناك مجموعات مسيحيّة قائمة في عدد من المناطق . و بدورها كان من الممكن أن تتعرّض هذه المجموعات إلى السحق . لكن كما جرت الأحداث ، لم يحصل ذلك و بدلا منه أخذت تنمو و إنتشرت و أمست مظهرا من الإمبراطوريّة الرومانيّة .

و مجدّدا ، عبر مزيج من السببيّة و الصدفة ، بعد بضعة قرون وجد قسطنطين أنّ تبنّى المسيحيّة يخدم أهافه الأشمل و كذلك كان المر بالنسبة لأباطرة بعد (و حكّام الإمبراطوريّة الرومانيّة عموما) ، في جزء منه على ألقلّ لأنّ المسيحيّة كانت دينا توحيديّا ما ساعد في توحيد مختلف شعوب الإمبراطوريّة الرومانيّة في ظلّ حكم واحد . كان يتمّ غزو أراض جديدة و كان يجب دمجها ضمن إمبراطوريّة تحكمها روما و عند نقطة معيّنة ، كان وجود دين واحد عاملا توحيديّا هاما في هذه السيرورة. و كذلك لعوامل أخرى بلا شكّ ، جرى تبنّى المسيحيّة و فضها من قبل الطبقة الحاكمة لتلك الإمبراطوريّة الرومانيّة .

و طوال قرون بعد ذلك ، نُشر هذا الدين و فُرض بالقوّة و بالوعظ و التحويل الدينيّ في أنحاء واسعة من العالم . لذا، اليوم، يمارس مئات و مئات الملايين من الناس هذا الدين و معظمهم يعتقدون أنّ الكتابات المقدّسة الى إعتادوا عليها (سواء قرأوها أم قُدّمها لهم أناس آخرون) كانت بالفعل ممنوحة من الإلاه مباشرة و ظلّت نفسها مذّاك . و فعلا ، يمكن أن نشاهد حتّى ممّا إستطعت روايته بإختصار و عرضه هنا ، كان كلّ هذا نتيجة عوامل أرضيّة جدّا بما فيها صراعات سياسيّة و إيديولوجيّة – تيولوجيّة حول العقيدة و التبعات العمليّة لأتباع عقيدة أو أخرى .

و مهما كان مزج الأسباب ، إذا كانت نظرة عيسى و كان برنامجه (ما يمكن أن نسمّيه " خطّه ") قد سيطر في الأيّام الأولى من المسيحيّة ، كان ذلك سيضع عراقيلا جدّة جدّا أمام إنتشار ذلك الدين . لكن لأنّ العقيدة المشخّصة في بولس قد تقدّمت و قاتلت بفضل بولس و لأنّ بولس ، مهما كانت الأسباب ، كان فعّالا في جذب و كسب و تنظيم و توفير قيادة للأتباع – موفّرا لهم عقيدة كان بوسعهم التصرّف على أساسها و ستكون عامل توحيد و إنسجام – نمت هذه الحركة .

و هنا نعود إلى د. تابور الذى يحاجج بأنّ عيسى و أقرب أتباعه زمن حياته و منهم بالخصوص جيمس / يعقوب ، شقيقه ، صاروا ينظرون إلى عيسى على أنّه المسيح المنتظر اليهودي الذى سينشأ مملكة جديدة قائمة على كلمة الإلاه الموجّهة لليهود – حينها و هناك في هذا العالم . يؤكّد تابور بشكل قاطع : " لا دليل على أنّ جيمس / يعقوب كان يعبد شقيقه أو كان يعتبره مقدّسا ". (" **سلالة عيسى الحاكمة** " ، ص 282). مع أنّ بعض تأكيدات تابور كانت بالتأكيد مفتوحة على النقاش و بعض ما يذكره كسند لهذه المزاعم مفتوح على تأويلات متباينة ؛ لكن شيئا مهمّا يحاجج به هو في تناغم جليّ مع ما هو معروف – أنّ بولس هو الذى شكّل المسيحيّة أكثر من أيّ شخص آخر ، حتّى أكثر من عيسى . و من تعبيرات هذا أنّ كلمات بولس في العهد الجديد أكثر من كلمات عيسى . و تابور الذى يحاجج أنّ بولس هو الذى أدخل في المسيحيّة كامل فكرة ألوهيّة عيسى ، ، مفهوم أنّه لم يُصلب فحسب بل صعد من الموت إلى السماء ، و بالتالى وفّر الإنقاذ أو وسيلة الخلاص لبشر ساقطون و خطّاؤون .

و دون أن نحاول هنا أن نعالج الحجج التي تنحو نحو التواصل لبعض الوقت في علاقة بهذا ، في صفوف الأكاديميّين المختصّين في دراسة الكتاب المقدّس ، يمكن نهائيّا قول إنّه الحال أنّ بولس لعب دورا محوريّا في المنعرج الكبير الذى عرفته المسيحيّة : منعرجا بعيدا عن العهد القديم – و من مفهوم الأعمال إعتمادا على تنفيذ قوانين العهد القديم كوسيلة للخلاص – و نحو تأكيد أساسيّ حصريّا على الإيمان . و إلى جانب هذا ن أدخل بولس منعرجا إبتعادا عن الإنشغال بهذا العالم بإتّجاه الإنشغال بالعالم التالى المفترض و ما سينشأ عن البعث الثاني لعيسى . و في موقع القلب من هذا ، و كعنصر أكثر أساسيّة و تحديدا للعقيدة المسيحيّة ، تكمن قصّة صلب عيسى و إعادة بعثة ، بوعده بالخلاص من الخطيئة و بحياة دائمة مع عيسى و الأب في السماء لجميع البشر الذين يؤمنون بهذا الدين و الذين قبلوا به من خلال الإيمان .

<u>كشف النقاب عن عيسى و المسيحيّة</u>

لماذا مضيت في هذا إلى مثل هذا المدى ؟ ما هي أهمّية هذا ؟ حسنا ، قبل كلّ شيء ، على مستوى بديهي ، قصّة عيسى و الدين المسيحي متمحورة حول هذه القصّة – أو بأكثر دقّة ، رواية بول لهذا – و قد مارست تأثيرا واسعا و قويّا و نهضت بدور مفتاح في تاريخ العالم في سنوات الألفيّة الثانية منذ زمن المسيح . و مرّة أخرى ، كان الأمر كذلك خاصة عقب تبنّي المسيحيّة بإعتبارها ديانة رسميّة للإمبراطوريّة الرومانيّة و نشرها عبر انحاء واعة من العالم و تبنّيها كدين دولة من قبل عديد الطبقات الحاكمة القويّة عبر القرون وصولا لزمننا هذا – أو قد وقع تشجعها كدين مفضّل فعليّا و إن لم يكن رسميّا دين الدولة ، كما هو الحال في الولايات المتّحدة ، أعتى قوّة دولة إمبرياليّة في عالم اليوم . و الآن ، هناك تحرّك القوى ذات نفوذ داخل الولايات المتّحدة نحو تركيز المسيحيّة ليس كمجرّد دين مفضّل بل **كدين رسميّ للدولة** في أمريكا – و كما هو الحال مع قسطنطين في الإمبراطوريّة الرومانيّة ، جعل هذا الدين راية تحت ظلّها القوّات المسلّحة للإمبراطوريّة الأمريكيّة تخوض حروبها الليبيّة عبر العالم . لهذه الأسباب ، فهم الطبيعة و التاريخ الفعليّين لهذا الدين شيء مهمّ ؛ بالأخصّ ، المظاهر الخاصة لهذا الدين و تطوّره التاريخيّ الذى شدّدت عليه هنا أمر هام في فهم كيف أمسى للمسيحيّة الطابع الذى لديها و الدور الذى تضطلع به : كيف أنّ هذا **لا** يُعزى إلى وجود إلاه و إلى دور المسيح كإبن له ضحّى بحياته على الصليب لأجل أن يكون منقذ البشريّة من الذنوب ، و ليس إلى " كلمة الإلاه الكامنة " المجسّدة في الكتاب المقدّس ، و **إنّما بالأحرى إلى عوامل أرضيّة بالذات بما فيها الصراعات الإيديولوجيّة و السياسيّة و العسكريّة في صفوف البشر و المجتمعات الإنسانيّة.**

بعبارات أخرى ، هذا هام فوق كلّ شيء و بأكثر جوهريّة كمسألة نظرة و منهج أساسيّين ، و هذا حيويّ في فهم المظاهر الهامة للواقع الاجتماعي و التاريخي و الواقع بوجه عام ، و في تغيير هذا الواقع على نحو يكون عمليّا في مصلحة و يؤدّى إلى تحرير الجماهير الشعبيّة المضطهَدَة و في نهاية المطاف الإنسانيّة قاطبة . و كجزء من هذا – و لهذا أهمّية خاصة جدّا و كبيرة الآن – من الضروريّ نزع إلتباس المسيحيّة (و جميع الديان) ، لإبعادها عن مجال الرهبة التطيّريّ لإلاه ما أسطوريّ لكن غير موجود و لكتابات مقدّسة تقدّم على أنّها الكلمة المثاليّة و الكامنة لهذا الإلاه ؛ و لكشف النوابض الرئيسيّة و الديناميكيّة الإنسانيّة جدّا لتطوّر هذا الدين و كذلك عقيدته و دوره في العالم ؛ و للمساعدة على توضيح الحاجة إلى القطيعة مع و تجاوز هذا و كافة أنماط التفكير المشابهة التي تمثّل سلاسل و قيودا لأذهان البشر – عراقيلا ذهنيّة تُبقى الجماهير الشعبيّة في ألسفل و تعيق هذه الجماهير و في نهاية المطاف الإنسانيّة قاطبة عن بلوغ التحرّر من مجتمع و عالم متجذّرين في الإستغلال و الإضطهاد بلا رحمة ، معزّزين بالجهل و التطيّر و بالفعل بطرق هائمة في مقاربة الواقع .

أمّا بالنسبة لعيسى بوجه خاص و لتعاليمه ، بالرغم من كلماته و أقواله التي يمكن ذكرها عن الحبّ و السلم و العناية بالفقير و المهمّش في المجتمع ؛ (11) و بالرغم من ما يحاول بعض الناس قوله بتقديم عيسى كنموذج و وسيلة لبلوغ عالم أعدل (11 – مثل هذه الكلمات و الأقوال ، وجب تسجيل ذلك ، يمكن أيضا أن توجد في كتابات مقدّسة تشكّل التوراة و منها كتب كالإصحاح أين إلى جانب تصريحات عن العدالة و وصف أدبيّ غنائيّ لليوم الذى سيسود فيه السلم ، يمكن أن نجد كذلك دفاعا عن و تأكيدا على الفظائع الأبشع كاغتصاب الجماعي للنساء و كسر رؤوس الأطفال و كلّ هذا جزء من الشكل الطائش لقتل و تحطيم شعوب بأسرها . و يجب أن نلاحظ مجدّدا أنّ كتاب الإصحاح كان يعتبر أفضل كتاب لدى عيسى في الكتابات المقدّسة اليهوديّة ، و من المراجع التى يحال عليها غالبا).

في صفوف البشر ؛ لو جرى بطريقة ما نقل عيسى من زمن إلى زمننا و إلتقيناه ، الواقع هو أنّنا لن **و لا يجب** أن نحبّ كثيرا جدّا عيسى هذا . عيسى الذى جاء في الكتاب المقدّس و في ما بيّنه الأكاديميّون الإنجيليّون حوله ، صورة نبوئيّة ، حافل بالتطيّر و الجهل لزمنه و مكانه ، و قد كان متزمّتا دينيّا و يؤكّد في تزمّته أنّ فقط بإتّباعه **هو** و تعاليمه يمكن للناس أن يجدوا طريقة صحيحة للخلاص و إذا لم يتّبعوا هذا الطريق سيلعنون و يظلّون في عذاب و تعذيب أبديّين . و ما يطفح من عيسى و كامل التقاليد الدينيّة التي كان جزءا منها – و التأثير الذى ربطه الدين به تواصل إلى يومنا هذا - و كلّ هذا ينتمى إلى الماضي .

هذا ينتمى إلى الماضى ليس ببعض المعنى العام أو المجرّد فحسب بل إلى ماضى يتميّز بالإضطهاد الرهيب و العنف الذين لا يمكن فقط بل يجب على الإنسانيّة تجاوزهما كي تحصل على مستقبل يستحقّ الحياة . ما يتمّ الإختفاء به و الدفاع عنه في هذه التقاليد الدينيّة لم يؤدّى و ما كان بوسعه إلاّ أن يؤدّى إلى تحرير الإنسانيّة و إزدهارها. هذه التقاليد و كتاباتها المقدّسة

لا سيما حينما تؤخذ حرفيّا ، قد أدّت و ما كان بوسعها إلاّ أن تؤدّى إلى إقتراف هذه الفظائع و تأبيدها . و فقط بالقطع مع هذا و مع كلّ العقائد الدينيّة و طرق التفكير و التقاليد ، سيكون من الممكن للإنسانيّة أن تضع نهائيّا و تماما نهاية لمثل هذه الفظائع .

ليس الإسلام أفضل (و لا هو أسوأ) من المسيحيّة

إلى هذا الحدّ ركّزت على المسيحيّة و الإنجيل و بينما هناك طبعا إختلافات ذات دلالة لاهوتيّا و في ما يتعلّق بالطقوس الدينيّة بين الإسلام و المسيحيّة (و اليهوديّة) ، النظرة العالميّة الى يعبّر عنها كلّ منهما و المضمون الاجتماعي الذى يجسّده كلّ منهما – ما يقوله عن كيف هو المجتمع الإنسانيّ و كيف يجب أن يكون – ليست متشابهة بعدّ طرق بل هي جوهريّا في خدمة ذات أنواع أنظمة الإستغلال و الإستعباد . ففي الكتاب المقدّس للإسلام ، القرآن ، ليس يقع الدفاع أقلّ من الإنجيلي المسيحي (و كامل " التقاليد اليهوديّة – المسيحيّة ") عن كافة أنواع العلاقات الإضطهاديّة و يقع حتّى الإحتفاء بها . (12)

(**12-** في هذا العمل ركّزت على الديانات التوحيديّة الثلاث الكبرى – الإسلام و اليهودية و المسيحيّة – و لم أحاول التفحّص المباشر أو العميق للديانات الأخرى و أنظمة الإيمان " الروحيّة " التي تحوم حولها أو على الأقلّ تفترض وجود كيانات مختلفة عن و فوق مجال العالم الماديّ – سواء تعلّق الأمر بآلهة أم قوى أخرى فوق الطبيعة أو " قوّة حياة عالميّة " إلخ . و أيضا ، لم أتطرّق إلى شتّى أصناف النزعات ضمن هذه الديانات التوحيديّة الثلاث لأنّه حتّى و إن وُجدت إختلافات و بعضها ذات دلالة بين هذه النزعات في ما يتّصل بالعقيدة و الطقوس الدينيّة ، هي ثانويّة بالنسبة إلى النظرة العالميّة السياسيّة و عقائد الدين التي هي جزء منه. و أنا مقتنع بصلابة بأنّ النقد الأساسي و الجوهريّ المقام هنا في ما يتّصل بالمسيحيّة و اليهوديّة و الإسلام ينطبق كذلك على كافة مثل هذه الأنظمة الإيمانيّة .)

توفّر الجذور التاريخيّة للإسلام إطارا و نظرة ثاقبة أكبر لمضمون الإسلام و دوره بإعتباره دينا و قوّة جغرافيّة سياسيّة في العالم ، تاريخيّا و إلى يوم الناس هذا . فالوجه المحوريّ و المركزيّ في الإسلام هو طبعا مؤسّسه ، محمّد ، الذى وُلد قبل حوالي 1500 سنة في مكّة و أمضى سنوات حياته الأولى هناك . و كان محمّد بن عبد الله ينحدر من مجموعة صغيرة نسبيّا ضمن القبيلة المهيمنة في منطقة مكّة ، قبيلة قريش . و قد صارت مكانته أرفع نوعا ما عندما تزوّج أرملة ثريّة إسمها خديجة ؛ لكن بالرغم من كونه كان ينعم تقريبا بأمان ماليّ ، لم يكن بعدُ شخصيّة بارزة في صفوف قريش بمكّة . وزمنها ، كانت مكّة تتحوّل إلى موقع و مركز تجارة متزايد الأهمّية . و إلى جانب ذلك ، كانت مركزا دينيّا له دلالته ؛ و كانت الكعبة في تلك المدينة مكانا مقدّسا لدى عديد القبائل على تباين أديانها و كانت تسافر إلى مكّة و تتعاطى التجارة هناك . و كان ذلك أيضا مصدرا للثرة بالنسبة لقريش . لكن في الوقت نفسه ، كان دور مكّة هذا كمركز تجارة نامي بطرق لها أهمّيتها يقوّض نمط الحياة القبليّة التقليديّة و **البنية الفوقيّة** – السياسة و الهياكل السياسيّة و الإيديولوجيّة و الثقافة المعبّر عنها إلى درجة كبيرة بعبارات دينيّة – و التي كانت تتناسب تقريبا مع نمط الحياة التقليديّة تلك.

في هذه الظروف ، أخذ محمّد يقضّى فترات طويلة وحيدا في الصحراء و المناطق الجبليّة حول مكّة . و خلال هذه الفترات من العزلة و الصيام عاد لعدّة أيّام ، بدأ محمّد حسب قوله يستمع إلى وحي من الإلاه (الله) و كان الملاك جبريل هو الذى يُبلغه إيّاه و كان محمّد يحفظه و يردّده . و سيستمرّ هذا الوحي طوال بقيّة حياته و سيكوّن أساس الدين الإسلامي مجسّدا في القرآن و أعمال مقدّسة أخرى للإسلام.

و الآن ، طبعا من غير الممكن بالنبة لنا (أو حقّا ، بالنسب إلى أيّ شخص عند هذه اللحظة) أن يقول ما إذا كان (أو إلى أيّة درجة) كان محمّد يؤمن عمليّا بأنّه كان يُبلّغ وحيا من الإلاه ، او ما إذا (و إلى أيّة درجة) كان واعيا بأنّه كان هو نفسه مصدر هذا الوحي المفترض . فهناك أماكن في السور (الفصول) القرآنيّة (على غرار سورة **" التحريم "** ، حيث ينقل محمّد تعاليم الإلاه إلى زوجاته قائلا لهنّ بأنّ لا تكن في قلوبهنّ غيرة و أن تكنّ مطيعات و لا تتسبّبن في الكثير من المتاعب

لمحمّد و محذّرا إيّاهن بأنّ الله قد يشير على الرسول بنساء أفضل إن لم تستجبن لما طلب منهنّ – أنظروا الآية الخامسة بوجه خاص) و هذا أقلّ ما يقال فيه بالأحرى مناسب لمحمّد و يرجّح أكثر أنه هو نفسه من دبّره عن وعي . لكن من المحتمل تماما أنّه بالنسبة إلى الجزء الأكبر و الجوهريّ ، كان محمّد هو ذاته مقتنعا بأنّه كان يتلقّى و يُبلّغ كلمة إلاه واحد صحيح هو الله. و لن يكون من المفاجئ لو أنّه في سياق تمضيته أيّاما في الصحراء أو الجبال بينما كان يصوم و من المحتمل مستهلكا قليلا جدّا من الماء ، كان محمّد سيستمع إلى أصوات و سيعتقد بأنّه يستمع إلى صوت الملاك جبريل خاصة وهي يبلّغه وحيا من الله . الواضح هو أنّ محمّدا صار معتادا على الأقلّ على بعض عقائد و معتقدات المسيحيّة و اليهوديّة ، و هذا قد إنعكس في القرآن – في كلّ من ما يبدو أنّ محمّدا قد تبنّاه من هذه الديانات و في ما بات يلفظه منها و حتّى يندّد به . و الواضح أيضا هو أنّه نتيجة هذه التأثيرات و التجارب المتنوّعة ، أنشأ محمّد خلال عدّة عقود ما أضحى قرآنا و دينا جديدا هو الإسلام .

و الآن طبعا لم يكن محدّدا سلفا أنّ ما رواه محمّد سيصبح محاطا بهالة وحي إلاهيّ – كان من الممكن أن يقع تجاهله أو إستبعاده على أنّه هذيان شخص مجنون . و بالفعل ، هكذا عالج شيوخ قريش و عالجت القوى ذات النفوذ في قبيلة قريش بمكّة ذلك لبعض الوقت . و عندما ثابر محمّد و أكثر من ذلك و طفق يتحدّى الضوابط و المعتقدات و الممارسات المركّزة و في التشهير بها على أنّها فاسدة ، أُجبر على الإنسحاب إلى يثرب (التي أمست معروفة بالمدينة) . هناك وجد محمّد ظروفا أكثر مواتاة و طوال فترة من الزمن ، كان قادرا على إرساء نفسه كسلطة دينيّة و سياسيّة في آن معا .

لم يكن محمّد سياسيّا ماهرا فحسب – في المدينة ساعد على معالجة خلافات في صفوف السكّان هناك بمن فيهم عدد من اليهود الذين كانوا يعيشون بالمنطقة على الرغم من كون اليهود في نهاية المطاف رفضوا محمّدا و دينه الإسلاميّ الجديد – و إنّما كان كذلك قائدا عسكريّا ماهرا . و بعد تعزيز سلطته ، شرع إنطلاقا من المدينة في قيادة قوّاته في هجمات عسكريّة ضد قوافل التجارة القاصدة مكّة ما تسبّب في خسارتها خسائرا هامة و وضع على قريش ضغطا كبيرا . و في النهاية ، عقب سلسلة من المعارك تمكّن خلالها محمّد من إلحاق الضرر بأعدائه الكّيين و تجنّب هو نفسه الموت و الإعتقال ، إستطاع أن يدخل مكّة منتصرا و مازجا بين الحضور العسكري و دبلوماسيّة داهية – واعدا بإستبقاء حياة و ممتلكات أعدائه – إستطاع أن يحقّق إستسلام قادة قريش . و أضحت مكّة مركز الدين الإسلامي الجديد و المقام المقدّس لهذا الدين .

و من كلّ هذا ، يمكن أن نلاحظ دور الصدفة و كذلك السببيّة و التفاعل بينهما . لو جدّت بعض الأحداث بشكل مغاير ، في لحظات معيّنة ، كان يمكن لهذا الدين أن لا ينشأ تماما و أصلا ، أو على كلّ حال لم يكن أبدا ليصبح قوّة كبرى في العالم . كان يمكن أن يموت محمّد قبل وقت من وفاته الفعليّة – و بوجه خاص كان يمكن أن يُقتل أثناء السنوات التي كان فيها بالمدينة و منخرطا في حرب مع أعداء لهو نفوذ حينها و كانو متركّزين في مكّة . لكن هذا لم يكن جميعه مسألة صدفة . فالعقيدة الدينيّة الجديدة و الدين الجديد و المؤسّسات الدينيّة و السياسيّة الجديدة التي أنشأها و طوّرها محمّد طوال عدّة عقود و منها خلال سيادته في المدينة ، مثّلت قوّة جذب ليس فقط إعتبارا للقوّة العسكريّة التي تمكّن محمّد من بنائها بإسم ذلك ، لكن أيضا لأنّ هذا الدين كان يوفّر جملة معتقدات و ممارسات موحّدة للمجموعات النامية و المتنوّعة من الناس الواردين على مكّة و كان بوسعه أن يوحّدهم متجاوزا المصالح و العادات القبليّة الضيّقة . ليس ببعض المعنى الخطّي و الميكانيكي و إنّما بطريقة أوسع و أشمل ، تواقف الإسلام مع الظروف الجديدة التي نجمت عن نموّ مكّة كمركز تجاريّ جالبة معا أناسا من مناطق و قبائل عدّة متباينة .

هنا نرى العلاقة الديناميكيّة – أو بكلمات ماركسية ، الجدليّة – بين نمط الحياة الاقتصادي والبنية الفوقيّة السياسيّة و الإيديولوجيّة (بما فيها الدين) علاقة تعطى فيها التغيّرات في الإقتصاد (في هذه الحال تطوّر مكّة كمركز تجارة و ما صاحبه من تغيّرات)حياة لأنماط جديدة من التفكير و بدورها هذه الطرق الجديدة من التفكير صارت مصاغة في عقائد و برامج تنظّم حولها الناس و من أجلها قاتلوا ، في تعارض مع هذه القوى (في هذه الحال ، حكّام قريش بمكّة) باحثين عن الدفاع عن تعزز طريقة الحياة القديمة حتّى في وجه تغيّرات كبرى . و طبعا ، كما جرى التأكيد على ذلك هنا ، ليست هذه العلاقة علاقة حيث التغيّرات في البنية الفوقيّة تتبع مباشرة و آليّا التغيّرات في نمط الحياة الاقتصادي و كذلك ليست القوى الممثّلة للبنية الفوقيّة الجديدة ، متناسبة تقريبا مع تلك التغيّرات في نمط الحياة الإقتصاديّ التي تنزع إلى الهيمنة ، ببعض المعنى المحدّد مسبّقا أو على المدى القصير . و كما تمّ نقاش ذلك ، هناك دور الصدفة في كلّ هذا ، لكن ذلك ليس كلّه صدفة فهناك أيضا سببيّة – هناك عوامل ماديّة حقيقيّة خاصة التغيّرات في نمط الحياة الإقتصاديّة و العلاقات بين الناس وهي تفرز دفعا بإتّجاه و قاعدة أكثر مواتاة للتغييرات المناسبة في البنية الفوقيّة للإيديولوجيا و السياسة – و هناك التفاعل

المستمرّ بين التغيّرات في القاعدة الإقتصاديّة و التطوّرات و الصراعات في البنية الفوقيّة . و كلّ هذا يسجّل في الطريقة التي لم يستسلم بها محمّد و الدين الإسلامي الجديد بل تطوّرا و في آخر المطاف إنتصرا في الظروف الجديدة الناشئة عن التغيّرات في مكّة (التي إرتبطت بدورها بالتغيّرات في العالم الأوسع ، أبعد من مكّة و من الجزيرة العربيّة ، ما أسفر عن دفع آخر لتطوّر مكّة كمركز تجارة).

و تنسحب المبادئ و الديناميكيّات الأساسيّة نفسها على إنتشار الإسلام عقب زمن محمّد فمن خلال مزيج من الغزو العسكريّ و عادة مؤهّلات دبلوماسيّة و وسائل إداريّة – سياسيّة ، إنتشر الإسلام و المؤسّسات الإسلاميّة على مجال واسع جدّا في القرون التي تلت وفاة محمّد . و حتّى اين لن تعد الخلافة الإسلاميّة في حدّ ذاتها شكل الدولة (كما هو الحال مثلا في إيران أين توج الآن جمهوريّة إسلاميّة)، تواصل الإسلام و مؤسّساته الدينيّة – السياسيّة إلى وقتنا الحاضر ليمارسا تأثيرا في صفوف أعداد كبيرة من الناس في الشرق الأوسط و أنحاء أخرى من العالم .

في كلّ هذا ن بوسعنا كذلك أن نرى التشابه الجوهريّ مع تطوّر و إنتشار المسيحيّة منذ جذورها ضمن فئات صغيرة في منطقة جغرافيّة واحدة إلى ظهورها كقوّة كبرى تمارس بقوّة تأثيرا في أنحاء واسعة من العالم و ضمن أعداد ضخمة من الناس . و في كلتا الحالتين كان الدور الحيويّ لبعض الأشخاص المفاتيح – مثل عيسى نفسه و كذلك بول و قسطنطين في تاريخ المسيحيّة ، و محمّد و الخلفاء الأوائل في تاريخ الإسلام – و نرى كيف يحدث هذا بالمعنى العام ضمن الديناميكيّة الأوسع (التفاعل الحيويّ و الجدليّ) بين الصدفة و السببيّة و بين القاعدة الإقتصاديّة و البنية الفوقيّة للإيديولوجيا و السياسة (بما فيها الصراع العسكريّ) . نتيجة **كلّ هذا** – و ليس لوجود إرادة إلاه أو آخر أو تجسيد لإرادة إلاه (سواء كان يهوه ، إلاه اليهود القدامى أم الّه أم تثليث المسيحيّة ؛ أم أي كائن أو أيّة قوّة ما فوق الطبيعة)- إنّه نتيجة **العوامل الماديّة و الأرضيّة** التي لا يزال يعيش ضمنها اليوم الناس و يعبدون إلاها (أو آلهة) ، أو كائنات او قوى ما فوق الطبيعة أخرى ، لكنّهم **لا** يؤمنون جميعا ب**نفس** الإلاه أو الآلهة ، و بالفعل عادة ما يندّدون بآلهة و ديانات **الآخرين** على أنّها خاطئة و حتّى كافرة .

و بالعودة بوجه خاص إلى الإسلام ، قراءة ليس الروايات التاريخيّة لحياة محمّد و تعاليمه فحسب و إنّما أيضا قراءة القرآن بصفة خاصة ، تُجلى أنّ وجهات نظر محمّد – ما فهمه و ما جهله ، ما دافع عنه و أشاد به و كذلك ما عارضه و أدانه – كلّ هذا يعكس المجتمع و العالم الذين عاش فيهما و يشمل العقلاقات القاسية و الإضطهادية و القيم و النظرات و التقاليد المناسبة التي إعتبرها محمّد ضروريّة و شرعيّة و عادلة . و يشمل هذا : العبوديّة و إعتقاد أنّ الطفال وكذلك النساء ملكيّة للرجال ؛ و تبعيّة النساء للرجال و حقّ و بالفعل واجب المؤمنين بخوض حرب ضد اللامؤمنين ، و النهب بما في ذلك للنساء على أنّهن غنائم حرب ؛ و العلاقات العامة التي يرفع فها البعض فوق الآخرين يستغلّونهم و يضطهدونهم – كلّ هذا باسم و تحت راية الإلاه الحمان الرحيم ، الله .

و فيما يلى بعض المختارات لا غير من القرآن التي تسجّل بصفة واضحة – و في عديد الحالات بشكل تخطيطي - كلّ هذا. و عند النظر في هذه المقاطع من القرآن ، لا تنسوا أنّه وفق القرآن الله هو المتحدّث إلى محمّد ، عادة من خلال الملاك جبريل .

" و يسئلونك عن المحيض قُل هو أذًى فإعتزلوا النساء في المحيض و لا تقربوهنّ حتّى يطهرن فإذا تطهّرن فأتوهنّ من حيث أمركم اله إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين (222) نسا ؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم و قدّموا لأنفسكم و إتّقوا الله و أعلموا أنّكم مّلقوه و بشّر المؤمنين (223) ."

(من سورة 2 ، **" البقرة "** ، الآيات 222-223 ، **" القرآن العظيم ، النصّ و ترجمته و شرح لمحمّد م. بكثال** ، الطبعة العاشرة المنقّحة ، 1994 ، مكتبة الإسلام . كافة الإستشهادات من القرآن من هذه الطبعة ما عدا حين يذكر غير ذلك ، و باللغة العربيّة المعتمد في هذه الترجمة نسخة سعوديّة من القرآن على الأنترنت QuranInArabic.pdf).

في هذا ، هناك تشابه فاقع مع الإنجيل و القوانين و الوصايا في التوراة بوجه خاص ، الذين يصوّران النساء اللاتى تعرفن العادة الشهريّة على أنّهنّ شيئا وسخا يجب على الرجال تجنّبه. في كلتا الحالتين، هذا جزء من تقليد يتعاطى مع النساء عامة كمصدر تلوّث و كأدنى مكانة و قيمة في علاقة بالرجال .

لنقرأ في القرآن :

" فإن لم يكنا رجلين فرجل و إمرأتان ممّن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداهما فتُذكّرها إحداهما الأخرى ".

(" **البقرة** "، الآية 282)

و هنا نلاحظ أنّ شهادة المرأة تُعدّ نصف شهادة نسبة لشهادة الرجل في الإجراءات القانونيّة : شهاة إمرأتين تعوّض أو تعادل شهادة رجل واحد في مثل هذه الإجراءات.

و تتجسّد هذه النظرة للنساء أيضا في التالى من القرآن :

" زُيّن للناس حُبّ الشهوات من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضّة و الخيل المسوّمة و الأنعام و الحرث ذلك متاع الحياة الدنيا و الله عنده حسن المئاب ."

(سورة 3 ، " **آل عمران** " ، الآية 14)

النقطة هنا هي أنّ أشياء العالم بينما قد تون لها قيمتها ، لا يمكن مقارنتها بعظمة الله و حياة في خدمة الله و الخضوع له – وهو ما يعنيه الإسلام : الخضوع . لكن النظرة هنا هي إعتبار أنّ الجيّد بالنسبة للبشر يعكس في العلاقات الإجتماعيّة التي تكون فيها النساء و التي يكون فيها ألطفال أيضا إلى جانب الأحصنة التي يقع وسمها و الأبقار و الأرض فعلا و تماما ممتلكات للرجال . و مجدّدا ن نلاحظ تشابها بارزا مع الإنجيل – مثلا ، الوصايا العشر و على وجه الدقّة الوصيّة العاشرة أين تعدّد النساء إلى جانب العبيد و المنازل و حيوانات المزرعة كأشياء "يملكها جارك " و " لا ينبغي الطمع فيها " .

و مقطع آخر من القرآن يقدّم النظرة للنساء بشكل حتّى أكثر تخطيطيّا :

" حُرّمت عليكم ... " و المحصّنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم ".

هنا تختطف النساء كعبيد أو سبايا للمؤمنين (الرجال) و يتمّ الدفاع عن ذلك و يحتفى به .

(أنظروا سورة 4 ، " **النساء** " ، الآية 23-24).

و هناك التالى :

" الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله و التي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ و أهجروهنّ في المضاجع و أضربوهنّ فغنّ أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلا إنّ الله كان عليّا كبيرا ."

(سورة 4 ، " **النساء** " ، الآية 34).

و معنى هذا - و العلاقات الإجتماعيّة اللامتساوية و الإضطهاديّة التي يجسّدها هذا و يشجّع عليها بين الرجال و النساء – كلّها أشياء عاديّة جدّا .

جاء في القرآن :" امّا السارق و السارقة فإقطعوا أيديهما جزاءا بما كسبا نكالا من الله و الله عزيز حكيم " .

(سورة 5 ،" **المائدة** " ، الآية 38-39).

السارقة كالسارق ستقطع يدها – هنا نجد أنّ النساء تتحصّلن أخيرا على معاملة متساوية .[ضحك]

و مقطع آخر من القرآن :

" يسئلونك عن الأنفال قُل الأنفال لله و الرسول فإتّقوا الله و أصلحوا ذات بينكم و أطيعوا الله و رسوله إن كنتم مؤمنين ."

(سورة 8 ، " **الأنفال** " ، الآية 1)

و التشديد عنا يتمّ على تنظيم توزيع غنائم الحرب و الأولويّة يجب أن تعطى في هذا التوزيع لمحمّد ، رسول الله ، و لتطوير الدولة التي يقودها و التي كان يحكمها بإعتباره ممثّل لله . و لا يجب نسيان انّ غنائم الحرب يجب أن توزّع بين المؤمنين (الرجال) و تشمل هذه الغنائم النساء اللاتى يقع أسرهنّ (أنظروا أعلاه في علاقة بسورة " **النساء** " ، الآية 24).

و في المقاطع التالية من القرآن ، إمتلاك العبيد و كذلك معاملة النساء كممتلكات لأزواجهنّ – و سبايا حرب – يجرى الدفاع عنه و مدحه أيضا :

" قد ألح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون و الذين هم عن اللغو مُعرضون و الذين هم للزكاة فاعلون و الذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين ."

(سورة 13 ، " **المؤمنون**" ، الآية 1-6)

" و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم إن يكونوا فقراء يُغنيهم الله من فضله و الله واسع عليم ."

(سورة 14 ، " **النور** " ، الآية 32)

" يا ايّها النبيّ إنّا أحللنا لك أزواجك التي أتيت أجورهنّ و ما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك ."

(أنظروا السورة 33 " **الأحزاب** " ، الآية 50).

و في مكان آخر من القرآن ، يقول الله متحدّثا على لسان محمّد :

" كُلاًّ نُّمدُّ هؤلاء من عطاء ربّك و ما كان عطاءً ربّك محظورا (20) أنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكبر تفضيلا (21) ."

(سورة 17، " **الإسراء** " ، الآية 20-21)

لذا نلاحظ هنا إلى جانب العبوديّة و نهب النساء و تمجيد البعض على حساب الآخرين هو وسيلة الله و إرادته . أو مرّة أخرى :

" ...نحن قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضا سُخريّا و رحمة ربّك خير ممّا يجمعون ."

(سورة 43 ، " **الزخرف** " ،الآية 32)

عالميّا ، العظمة قيمة في إطار لكنّها تعتبر كلا شيء مقارنة بعظمة الله. وفق القرآن يُبلّغ محمّد كلمات الله ، الله الغاضب من جحود البعض الذين يشكّكون ى كلمته كما يرويها مبعوثه ، محمّد . لكن هناك أيضا تعبير لدي محمّد و باسم الاه ، قبول واضح و تبنّى للإنقسامات العالميّة التي رفعت البعض فوق البعض الذين يستغلّون .

و وجهة النظر و النظرة نفسهما لما هي العلاقات و ما يجب أن تكون عليه بين مختلف مجموعات الناس (الرجال والنساء، السادة و العبيد و ما إلى ذلك) التي ذكرتها إلى حدّ الآن من القرآن (و هذه ليست سوى بضعة أمثلة نموذجيّة) يبثّها محمّد من هذه الحياة إلى ما يعد به ما بعد الحياة :

" إنّ عذاب ربّك لواقع ما له من دافع ...فويل يومئذ للمكذّبين الذين هم في خوض يلعبون ...إنّ المتّقين في جنّات و نعيم فاكهين بما أتاهم ربّهم و وقاهم ربّهم عذاب الجحيم...متّكئين على سُرر مصفوفة و زوّجناهم بحور عين ...و يطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون ." (سورة 52 ، " **الطور**" ، الآيات 7-8 ، 11-13 ، 17-18 20، 24).

و بُعيد ذلك ، يتوسّع القرآن أكثر في الموضوع و يجمّل هذه النظرة إلى الجنّة ؛ و من ذلك التالى :

" فيهنّ قاصرات الطّرف لم يُطمثهنّ نس قبلهم و لا جان ." (سورة 55 ، " **الرحمان** " ، الآية 56).

و هنا ما يتمّ الحديث عنه كثيرا هو العذراوات اللاتى تقدّم هدايا للمؤمنين في الجنّة – الرجال . و تاليا ، يتمّ تكرار ذلك و التوسّع فيه :

" حور مقصورات في الخيام بأي آلاء ربّكما تُكذّبان متّكئين على رفرف خضر و عبقريّ حسان ."

(**" الرحمان "** ، الآيات 72-76)

و مرّة أخرى ، في سورة أخرى :

" يطوف عليهم ولدان مخلّدون ...و حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ." (سورة 56 ، **" الواقعة "** ، الآيات 17، 22-24)

على ضوء كلّ هذا ، تطرح المسائل بحدّة كبيرة جدّا . هل أنّ كلمات و وصايا و نظرة الإسلام شيء يتعيّن على الناس أن يخضعوا له و يطيعونه ؟ هل انّ إله الإسلام مختلف بأيّة طريقة لها دلالتها عن " الإله الفاشيّ الأصلي" للتقاليد الدينيّة اليهوديّة – المسيحيّة " ؟ أليس الحال أنّه مثل الكتاب المقدّس و الديانة (الديانات) المعتمدة عليه ، يجسّد الإسلام و يجسّد القرآن و يدافعان عن فظائع ليس بوسع الإنسانيّة بعدّ تحمّلها و لا تحتاج إلى تحمّلها – و بدلا من ذلك ، يمكن و يجب التحرّك نحو التخلّص منها و في نهاية المطاف دفنها في الماضي ؟

الأصوليّة الدينيّة و الإمبرياليّة و " الحرب على الإرهاب "

هنا من الهام الردّ على حجّة كثيرا ما تستخدم- بما في ذلك من طرف أناس موقفهم يعارض بشكل عام – أنّه بينما جميع الأصوليّات الدينيّة سيّئة و ضارة ، هناك شيء شرّير و خطير بوجه خاص بشأن الأصوليّة الإسلاميّة . و هذا على سبيل المثال لا الحصر هو موقف سام هريس مؤلّف كتاب **" نهاية الإيمان و الدين و الإرهاب ، و مستقبل العقل "** و **" رسالة إلى أمّة مسيحيّة "** ؛ وهو موقف بالأحرى بداهة و تماما يؤكّد عليه بعدوانيّة كريستوفار هتشنز الذى في كتابه الحديث و بطريقة مكثّفة في عنوانه **" الإله ليس عظيما ، كيف يسمّم الدين كلّ شيء "** يعبّر عن التناقض الذى أقصده هنا . فمن جهة كما تمّ التعبير عن ذلك في الجزء الثاني من العنوان ، كتاب هتشنز يوجّه ضربة جانبيّة للدين عامة .بيد أنّ الجزء الأوّل و الأساسي من العنوان يهدف – و بلا ريب تعمّد أن يهدف إلى أن يكون – طلقة محدّدة جدّا موجّهة ضد الإسلام بوجه خاص : إنّه " صدى سلبيّا " ، إن أمكن القول ، للإبتهال الإسلامي المعروف : الله أكبر . و ليس من العسير رؤية كيف أنّ هذا الموقف يتمسّح بالأحرى بوضوح لنظام بوش و الإمبرياليّين الأمريكيين عام , " الحرب على الإرهاب " و هدفها المعلن هو " المتطرّفين الإسلاميّين ".

بداية ، ممّا تبيّن إلى حدّ الآن ، يتعيّن أن يكون واضحا أنّه بالنظر إلى الكتابات المقدّسة و التقاليد الدينيّة المسيحيّة لا وجود لأساس للمحاججة بأي معنى جوهريّ أو أساسي بأنّها مختلفة عن الإسلام أو أفضل منه . و أيّة محاولة لأخذ و تطبيق هذه التقاليد الدينيّة و كتاباتها المقدّسة – و حتّى أكثر فرضها – بالمعنى الحرفيّ مؤكّدين بأنّها كلمة الإله المعصومة من الخطإ و التي يجب إتّباعها حرفيّا كما يفعل ذلك الأصوليّون المسيحيّون ، لا يمكن فعلا أن يؤدّى إلاّ ان يؤدّى إلى فظائع ذات أبعاد أعظم . و مجدّدا ، كلّ هذا شيء تحتاج الإنسانيّة تجاوزه و تركه وراءها إلى الأبد .

لعلّ في الإعتراف بواقع أنّه لا مجال للإختيار بين الأصوليّة الإسلاميّة و الأصوليّة المسيحيّة ، كما هما و على مستوى الكلمة حرفيّا ، مكوّن شائع لموقف أنّه بشكل ما الأصوليّة الإسلاميّة أسوء من الأصوليّة المسيحيّة هو حجّة أنّه أجل يمكن للأصوليّة المسيحية ببساطة أن تكون مساوية في الفظاعة في مضمونها لكن بوجه خاص في بلدان كالولايات المتّحدة – أين تتزايد صعوبة تجاهل أو إنكار أنّ الأصوليّة المسيحية ظاهرة كبرى – يتقلّص و يتقيّد التأثير و الخطر الذين يمكن أن تمثّلهما بواقع أنّ أحد أعمدة الحكم الدستوريّ في هذه البلاد هو الفصل بين الكنيسة و الدولة . حسنا ، بادئ ذي بدء ، هذا الفصل

بينما هو واقعيّ كان دائما شيئا غير مطلق ؛ و زيادة على ذلك ، هو فصل يتعرّض بإستمرار للهجوم من طرف الأصوليّين المسيحيّين و القوى ذات النفوذ ضمن الطبقة الحاكمة ممثّلين و متحالفين مع هؤلاء الأصوليّين (فيما أقسام أخرى من الطبقة الحاكمة التي ليست هي نفسها مدافعة عن الأصوليّة الدينيّة يجدون صعوبات كبيرة في المساومة و التعاون معها و في تشجيع الدين في الحياة العامة – لاحظوا ، كمجرّد مثال ، التصريحات المتكرّرة من الإيمان الديني العميق لكلّ مرشّح كبير من الحزب الديمقراطي للرئاسة).

إنّ الخطر الذى يمثّله المسيحيّون التيوقراطيّون الفاشيّون – و غياب أيّة معارضة حقيقيّة من قبل الطبقة الحاكمة لهذا – أمر حقيقيّ جدّا . و هذا الهجوم على الفصل بين الكنيسة و الدولة لم يصبح أبدا غير مؤذى أو ضعيفا إستراتيجيّا ، بواقع أنّ بوش أمسى رئيسا في منتهى اللاشعبيّة .(13)

(13 – فضلا عن ما كتبته و ما كتبه حزبنا عامة للتنبيه إلى و بناء معارضة للمسيحيّة الفاشيّة ، عدد من الآخرين شدّدوا هم أيضا ، من وجهات نظر متباينة ، على المخاطر التي يمثّلها الأصوليّون المسيحيّون اليمينيّون . أنظروا ، على سبيل المثال " **الفاشيّون الأمريكيّون و اليمن المسيحي و الحرب على أمريكا** " لكريس آدج ؛ و " **تعميد أمريكا : مخطّطات اليمين الديني لبقيّتنا** " للحَبر جتمس رودين ؛ و " **المخادعون الدينيّون : أمريكا العلمانيّة في ظلّ حصار** " لدايمون لنكار ؛ و " **المملكة القادمة : صعود القوميّة المسيحيّة** " لميشال غلبارد ؛ و " **مع الإلاه على الجهة الأخرى : كيف داس الأصوليّون المسيحيّون العلم و السياسة و الديمقراطيّة في البيت الأبيض لجورج بوش** " لأستر كابلن ؛ و " **إهانة : كيف يسيء اليمين إلى العدالة الأمريكيّة** " لكاترين كراير .)

و متحدّثين بصفة عامة (و إن لم يكن الأمر كذلك بصورة موحّدة) صحيح أنّ في أنحاء من العالم حيث الإسلام هو الدين المسيطر ، لم تحصل الظارة نفسها من التغيير الديمقراطي – البرجوازي للمجتمع مثلما حصلت في بلدان كالولايات المتّحدة التي مظهر مهمّ من مظاهر التغيير فيها كان الفصل (النسبيّ) بين الكنيسة و الدولة . و العقيدة الإسلاميّة و قواعد الإسلام السائدة و الممأسسة ترفض الفصل بين الدين من جهة و السياسة و القانون من الجهة الأخرى ، و كذلك بين الدين و ما يحال عليه عامة ب " المجتمع المدني ". لكن هذا كان صحيحا أيضا بالنسبة للمسيحيّة و الدول التي كانت فيها الدول أين تسيطر المسيحيّة لمعظم تاريخ هذه الدول – و إنّه لفترة حديثة نسبيّا فقط ، تاريخيّا ، أن تغيّر هذا من خلال تحويل ديمقراطي – برجوازي مرّت بنا الإشارة إليه. و من المهمّ الإقرار بأنّه كقاعدة ، البلدان التي عرفت هكذا تغيير ديمقراطي- برجوازيّ كجزء من ظهور و إنتصار النظام الرأسمالي الذى تطوّر إلى قوى إمبرياليّة و غزواتها و هيمنتها الإمبرياليّة على بلدان عبر ما يسمّى بالعالم الثالث و منها بلدان فيها الإسلام هو الدين المسيطر ، هي التي مثّلت العامل الأهمّ في إعاقة هذا النوع من التغيير الذى سيعنى الفصل بين الكنيسة و الدولة في تلك البلدان . و قد إستُخدم " التخلّف " النسبيّ لبلدان العالم الثالث هذه كتبرير للإستعمار و الغزو الإمبريالي . و بدوره هذا الغزو و الإستغلال الإمبرياليّين بكلّ التبعات التي أدّى إليها و منها تركيز و دعم الحكومات المحلّية الفاسدة والطغيانيّة و تدمير الكثير من نمط الإنتاج و ظروف حياة غالبيّة عظمى من السكّان، قد **عزّزت** عمليّا نزعات تماثل بين الأفكار المرتبطة ب " الغرب " – على غرار المظاهر التقدّميّة للتنوير ، بتحفيزه على التفكير النقديّ و تحدّيه للدوغما الدينيّة و مساهمته في الفصل بين السياسة و الدين الرسميّ – وهي غريبة و متناقضة تناقضا عدائيّا مع حاجيات الناس .

ويتحدّث هذا عن حجّة غالبا ما تثار : حتّى و إن كان صحيحا أنّ الأفكار المتجسّدة في ألصوليّة المسيحيّة في كلّ مكوّن من مكوّناتها بنفس سوء تلك التي لدي الأصوليّة الإسلاميّة ، هناك إختلاف كبير في أنّ الأصوليّين المسيحيّين لا يتجوّلون موجّهين ضربات للناس و البنايات و عموما لا ينخرطون في نشاطات إرهابيّة ، في حين أنّ مثل هذه النشاطات شائعة في صفوف الأصوليّين الإسلاميّين . و علاوة على واقع أنّ الأصوليّين المسيحيّين قد إنخرطوا فعلا في أعمال إرهابيّة حتّى داخل الولايات المتّحدة – مثل قذف مصحّات بالقنابل ، مصحّات حيث تجرى عمليّات الإجهاض ، و قتل أطبّاء يجرون عمليّات الإجهاض – و هذه القوى الأصوليّة المسيحيّة " تجازى " لتنفّذ عنفا رجعيّا على نطاق أكبر بكثير ، إن إعتبر ذلك الذين يغذّونهم فى الواقع ليكونوا فرق صدام و فرق إعصار ضروريّا - هناك واقع أنّه إلى هذه اللحظة ، **العنف الذى يخدم غايات يدعمها بحماس الأصوليّون المسيحيّون الفاشيّون كان ينفّذ على نطاق واسع من قبل الطبقة الحاكمة الإمبريالية فى الولايات المتّحدة مستعملين القوى المسلّحة و شرطة الدولة الإمبريالية** - أكثر من هذا العنف المهدّد به و الممارس راهنا (كالهجوم على إيران فضلا عن الحروب التى تُخاض حاليّا فى العراق و أفغانستان). و من المظاهر المميّزة لهذه

االقوى المسلّحة فى هذه الفترة على وجه التحديد أنّها تقع بصفة متصاعدة تحت تأثير و حتّى تلقين النظرة الأصوليّة المسيحيّة الفاشيّة من أعلى مستويات الجيش نزولا إلى الصفوف الأدنى . (14)

(14 - بصدد تأثير المسيحيّة الفاشيّة في صفوف جيش الولايات المتّحدة (و خاصة صفوفه العليا) ، إضافة إلى الفضح و التحليل المستمرّين لهذا متوفّر في جريدة " **الثورة** " (على موقع revcom.us) ، أنظروا على سبيل المثال " صنع المسالك " لتوماس أ. ريكس ، سكريبنار 1997 ، و " **سقوط الصقر الأسود ، قصّة حرب معاصر** " لمارك بودن ، صحافة المنثلى الأطلنتيك 1999- و كلاهما كُتبا قبل وصول بوش للرئاسة و تميّزه بنموّ متزايد و دعم للأصوليّة المسيحيّة في صفوف جيش الولايات المتّحدة . و ثمّة كذلك ظاهرة مفيدة جدّا في ما يتعلّق بكلّ هذا ألا وهي ظهور المنظّمات العسكريّة " الخاصة " كالبلاك واتر التي لعبت دورا هاما للغاية في إحتلال الولايات المتّحدة للعراق و كذلك داخل الولايات المتّحدة نفسها – مثلا ، بنيوأرليانس عقب إعصار كاترينا . و تجدر الملاحظة بأنّ بلاك واتر نفسها تتميّز بنظرة و أحلاق أصوليّة مسيحيّة فاشيّة .)

و بالتالى ، إلى حدّ الآن على الأقلّ ، لم توجد حاجة أو ضرورة صلب الأصوليّين المسيحيّين الفاشيّين للإنخراط في النشاط الإرهابي و العنف الرجعيّ على نطاق واسع ، بإنفصال عن القوّات المسلّحة " الرسميّة " و شرطة الطبقة الحاكمة – مجدّدا رغم أنّ هذه النشاطات المسيحيّة الفاشيّة على نطاق أضيق بالتأكيد قد حصلت و هناك نهائيّا إمكانيّة حدوثها علىنطاق أوسع بكثير .

و كلّ هذا ، مرّة أخرى ، إنعكاس للعلاقات " اللامتكافئة " في العالم الذى تهيمن عليه حفنة من البلدان الإمبرياليّة ، و قوّة إمبرياليّة عظمى بوجه خاص في الوقت الحاضر ، بينما الغالبيّة الغالبة من البلدان و من الشعوب في العالم لا سيما في العالم الثالث ، تعانى ظروف أقصى الفقر و الإستغلال و التفكّك و الفوضى العارمين – و كلّ هذا يفرضه الحكم الإمبريالي .

في عالم اليوم ، تعبير خاص عن هذه التناقضات هو التعزيز المتبادل للتعارض بين العولمة الإمبرياليّة و تبعاتها من جهة و الأصوليّة الإسلاميّة الجهاديّة من الجهة الأخرى . و مستخدمين جملة (هي عمليّا عنوان كتاب) لبنجمان أر. بربار تحيل على ظاهرة " الجهاد مقابل عالم ماك " و متوسّعين على ذلك الأساس لإدماج العنصر الذى فيه الأصوليّة المسيحيّة الفاشيّة فعلا عنصر هام داخل البرنامج و الإيديولوجيا السائدة لدى الطبقة الحاكمة للولايات المتّحدة ، وضعت الأمر على النحو التالي :

" ما نراه فى نزاع هنا هو الجهاد من جهة و ماك العالمية / ماك الحرب من جهة أخرى و هو نزاع بين شريحة ولّي عهدها تاريخيا ضمن الإنسانية المستعمَرة و المضطهَدة ضد الشريحة الحاكمة التى ولي عهدها تاريخيا ضمن النظام الإمبريالي . و هذان القطبان الرجعيان يعزّزان بعضهما البعض ، حتى و هما يتعارضان . و إذا وقفت إلى جانب أي منهما ، فإنك ستنتهى إلى تعزيزهما معا . "

و يتطرّق هذا تحديدا للموقف الخاطئ القائل بأنّ الأصوليّة الإسلاميّة أسوأ من الأصوليّة المسيحيّة و إلى كيف يمدّ ذلك الموقف بالدعم " الطبقة الحاكمة للنظام الإمبريالي التي فات أوانها ". و كما شدّدت كذلك في علاقة بهذين " اللذين فات أوانهما :

" يجب أن نكون واضحين حول أيّ من " هذين القطبين الذين عفا عليهما الزمن " قد ألحق أكبر الضرر و يمثّل أكبر تهديد للإنسانيّة : بوضوح ، و بدرجة أكبر بكثير إنّه " الطبقة الحاكمة للنظام الإمبريالي " .

و من المهمّ انّي سمعت في المدّة الأخيرة عن تعليق صاغه أحدهم في علاقة بهذا ، و هو أعتقد صحيح و يسجّل شيئا هاما . في علاقة ب " هذين القطبين الذين عفا عليهما الزمن " ، صاغ هذه النقطة : " بوسعنا أن نقول إنّ القوى الأصوليّة الإسلاميّة في العالم كانت ستكون نائمة على درجة كبيرة لولا ما ما فعلته الولايات المتّحدة و حلفاؤها و ما يفعلونه في العالم – لكن ليس بوسعنا قول العكس ."

و كمسألة مبدأ عام و خاصة و نحن نوجد في بلد إمبريالي ، نتحمّل مسؤوليّة خاصة في معارضة الإمبرياليّة الأمريكيّة ، و طبقت"نا" الحاكمة و ما تفعله عبر العالم . لكن ، في الوقت نفسه ، هذا لا يجعل هذه القوى الأصوليّة الإسلاميّة قوى لم يفات أوانها تاريخيّا أو ليست رجعيّة . هذا لا يغيّر من طبيعة معارضتها للإمبرياليّة و ما يؤدّى إليه و الديناميكيّة التي

هي جزء منها - واقع أنّ " هذين القطبين الذين عفا عليهما الزمن " يعزّزان فعلا بعضها البعض حتّى وهما تتعارضان . و من المهمّ جدّا أن نفهم و أن نصارع آخرين ليفهموا أنّه إذا وقفت إلى جانب أي منهما ، فإنّك ستنتهى إلى تعزيزهما معا . من الحيويّ كسر هذه الديناميكيّة - للتقدّم بطريقة أخرى " .

(أنظروا " **التقدّم بطريقة أخرى** " ، على موقع revcom.us)

و من ضمن أكثر المظاهر المميّزة للوضع هي القفزات التى تحدث فى العولمة ، فى إرتباط بتسريع فى سيرورة مراكمة رأس المال فى عالم يهيمن عليه النظام الرأسمالي – الإمبريالي . و قد قاد هذا إلى تغيّرات ذات دلالة و عادة دراماتيكية فى حياة أعداد هائلة من الناس ، غالبا مقوّضا علاقاتهم و عاداتهم التقليدية . و هنا سأركّز على آثار هذا فى ما يسمّى بالعالم الثالث – بلدان أفريقيا و أمريكا اللاتينية و آسيا و الشرق الأوسط – و كيفية مساهمة ذلك فى النموّ الحالي للأصولية الدينية هناك.

عبر ما يسمى بالعالم الثالث يُدفع الناس بالملايين كلّ سنة إلى خارج أراضيهم الزراعية حيث كانوا يعيشون و يحاولون تدبّر حياة فى ظلّ الظروف الإضطهادية جدّا و لكنهم الآن لم يعودوا يقدرون حتى على ذلك : يقع رميهم إلى المناطق المدينية ، فى غالبية الأحيان إلى أحزمة مدن الصفيح ، فى أحياء مدن الصفيح التى تحيط بنواة المدن . ولأوّل مرّة فى التاريخ ، نسجّل الآن أن نصف سكّان العالم يعيشون فى المناطق المدينية ، بما فيها تلك المدن الفقيرة الكبيرة و المتسعة النموّ أبدا .

و قد وقع إجتثاثها من ظروفها التقليدية – و الأشكال التقليدية التى كانت تستغلّها و تضطهدها – يُزجّ بالجماهير الشعبية فى وضع حياتي غاية فى عدم الأمن والإستقرار ، و هي غير قادرة على الإندماج بأي نوع من " الطرق المفصلية " فى المصنع الإقتصادي و الإجتماعي و سير المجتمع . و فى عديد هذه البلدان من ما يسمّى بالعالم الثالث ، يعمل غالبية الناس فى الإقتصاد غير الرسمي – مثلا كباعة متجوّلين او تجّار صغار من شتىّ الأنواع أو فى نشاط سرّي و غير قانوني . و إلى درجة ذات دلالة بسبب هذا ، يتحوّل عديد الناس إلى الأصولية الدينية بهدف الحصول على عماد وسط كلّ هذا التفكّك و الإضطراب .

و عنصر إضافي فى كلّ هذا هو أنّ هذه التغيّرات و التفكّكات الكبرى و السريعة فى ما يسمى بالعالم الثالث تحدث فى إطار هيمنة الإمبرياليين الأجانب و إستغلالهم - و لهذا علاقة بالطبقات الحاكمة " المحلّية " المرتبطة إقتصاديّا و سياسيّا بالإمبريالية و التابعة لها ، و هي معتبَرة على نطاق واسع عبارة عن عملاء فاسدين لقوّة غريبة يشجعون كذلك على " ثقافة غربية منحطّة ". و يمكن لهذا على المدى القصير أن يعزّز من تأثير القوى الأصولية الدينية والقادة الذين يأطّرون معارضة " الفساد" و " الإنحطاط العربي " للطبقات الحاكمة المحلّية و الإمبرياليين الذين يدعمونها بمعنى عودة العلاقات و التقاليد و الأفكار و القيم التى هي ذاتها متجذّرة فى الماضي و تجسّد أشكالا متطرّفة من الإستغلال و الإضطهاد و فرضها بثأر.

و حيث الإسلام هو الدين المهيمن – فى الشرق الأوسط و كذلك فى بلدان أخرى مثل أندونيسيا – يتمظهر هذا فى نموّ الأصولية الإسلامية . و فى عدد كبير من بلدان أمريكا اللاتينية حيث المسيحية و خاصّة فى شكل الكاتوليكية هي الدين المهيمن ، يمتاز نموّ الأصولية بوضع أين تنزع أعداد هامة من الناس لا سيما الفقراء الذين صاروا يشعرون بأنّ الكنيسة الكاتوليكية قد خذلتهم ، ينزعون نحو أشكال متنوّعة من الأصولية البروتستانتية على غرار البنتيكوستالية التى تمزج بين أشكال من التعصّب الديني و خطاب يدّعي التحدّث بإسم الفقراء و المضطهَدين . وفى أجزاء من أفريقيا أيضا ، خاصة ضمن الجماهير المزدحمة فى أحياء مدن الصفيح ، كانت الأصولية المسيحية بما فيها البنتيكوستالية ، ظاهرة نامية فى نفس الوقت الذى كانت فيه الأصولية الإسلامية تنمو فى أماكن أخرى من أفريقيا . (15) لكن ظهور الأصولية يعزى أيضا إلى تغيرات سياسية كبرى و سياسية و أفعال واعيين من قبل الإمبرياليّين على الصعيد السياسي ما كان له تأثير عميق على الوضع فى عديد بلدان ما يسمى بالعالم الثالث و منها الشرق الأوسط . و كبُعد مفتاح فى هذا ، من المهمّ جدّا عدم الإستهانة بتأثير التطوّرات فى الصين منذ وفاة ماو تسي تونغ و التغيّر التام فى ذلك البلد من بلد كان يتقدّم على طريق الإشتراكية إلى

بلد أين جرت فيه بالفعل إعادة تركيز الرأسمالية و تمّ تعويض التوجّه لتشجيع الثورة و دعمها فى الصين و عبر العالم بتوجه البحث عن إيجاد موقع أقوى للصين فى إطار سياسات القوى العالمية التى تهيمن عليها الإمبريالية . و كانت لهذا تبعات عميقة – سلبيّا – على المدى القصير فى تقويض الشعور صلب الكثير من الناس المضطهَدين عبر العالم بأنّ الثورة الإشتراكية وفّرت مخرجا من بؤسهم و فى توفير مزيد من الأرضية للذين كانوا ومنهم خاصة الأصوليين الدينيين ، يبحثون عن توحيد الناس وراء شيء بطرق معيّنة يتعارض مع القوّة الإضطهادية المهيمنة فى العالم لكنّه يمثّل فى حدّ ذاته نظرة للعالم و برنامج رجعيين .

وقد عكست تعاليق " أخصّائي فى الإرهاب " هذه الظاهرة إذ لاحظ بشأن بعض الناس المتهمين فى المدّة الأخيرة بأعمال إرهابية فى أنجلترا أنّه قبل جيل كان هؤلاء الناس سيصبحون ماويين . الآن ، رغم أنّ أهداف و إستراتيجيا و تكتيكات الماويين الحقيقيين – الناس الذين تقودهم الإيديولوجيا الشيوعية – مختلفة جذريّا عن أهداف و إستراتيجيا و تكتيكات الأصوليين الدينيين ؛ و أنّ الشيوعيين ينبذون مبدئيّا الإرهاب كطريقة و مقاربة ، هناك شيء صحيح و هام فى تعليقات هذا " الأخصّائي فى الإرهاب " : قبل جيل الكثير من ذات الشباب و غيرهم الذين ينجذبون الآن إلى الأصوليات الإسلامية و الدينية الأخرى ، كانت ستنجذب نحو القطب المغاير جذريّا والثوري ، قطب الشيوعية . وتعزّزت هذه الظاهرة أكثر بإنهيار الإتحاد السوفياتي و " الكتلة الإشتراكية " التى يترأسها . فى الواقع ، قد كفّ الإتحاد السوفياتي عن أن يكون إشتراكيّا منذ زمن إفتكاك التحريفيين (الشيوعيين قولا و الرأسماليين فعلا) فى الخمسينات مقاليد السلطة و شروعهم فى تسيير البلاد وفق القوانين الرأسمالية (لكن فى شكل **دولة** رأسمالية و بمواصلة التقنّع بقناع " إشتراكي ".) لكن مع تسعينات القرن العشرين ، طفق قادة الإتحاد السوفياتي فى إستبعاد الإشتراكية **بصورة سافرة** ، و ثمّ جرى القضاء على الإتحاد السوفياتي ذاته و روسيا والبلدان الأخرى التى كانت جزءا من" الكتلة " السوفياتية تخلّت عن أي إدّعاء بأنّها " إشتراكية ".

و أدّى كلّ هذا – و فى صلة بهذا ، هجوم إيديولوجي لا هوادة فيه من قبل الإمبرياليّين و أتباعهم فى المجال الفكري – إلى مفهوم منتشر و تقام له دعاية كبرى هو هزيمة الشيوعية و موتها و فى الوقت الحالي ، أدّى إلى خلخلة الثقة فى الشيوعية فى صفوف قطاعات عريضة من الناس بما في ذلك فى صفوف الذين يبحثون بإستمرار عن طريق لقتال الهيمنة والإضطهاد و الإنحطاط الإمبرياليّين . (16).

لكن ليست الشيوعية وحدها هي التى عمل الإمبرياليّون على إلحاق الهزيمة بها و النيل من سمعتها . فقد إستهدفوا أيضا قوى و حكومات علمانية أخرى كانت إلى درجة أو أخرى قد عارضت أو مثلت موضوعيّا عوائقا أمام مصالح الإمبرياليّين و أهدافهم ، لا سيما فى أجزاء من العالم كانوا يعدّونها ذات أهمّية إستراتيجية . مثلا ، بالعودة إلى خمسينات القرن العشرين، نظّمت الولايات المتحدة للإطاحة بحكومة محمّد مصدّق الوطنية فى إيران إنقلابا لأنّ سياسات تلك الحكومة كانت تعتبر تهديدا لتحكّم الولايات المتحدة (وثانويّا بريطانيا) فى نفط إيران و هيمنة الولايات المتحدة على المنطقة بصورة أشمل . وكانت لهذا تداعيات ونتائج لعقود مذّاك. و ضمن أشياء أخرى ، قد ساهم فى نموّ الأصولية الإسلامية و فى الأخير فى تركيز جمهورية إيران الإسلامية ، عندما إستولي الأصوليون الإسلاميون على السلطة فى إطار نهوض جماهيري لشعب إيران أواخر سبعينات القرن العشرين ما أدّى إلى الإطاحة بالحكومة القمعية للغاية لشاه إيران الذى ساندته و بالفعل حافظت عليه فى السلطة الولايات المتحدة منذ طرد مصدّق . (17)

وفى أجزاء أخرى من الشرق الأوسط و غيره من الأماكن ، لعدّة عقود ، نشط الإمبرياليون كذلك عن وعي لإلحاق الهزيمة حتى بالمعارضة العلمانية الوطنية وتفتيتها ؛ و بالفعل قد غذّوا أحيانا عن وعي نموّ القوى الأصولية الدينية . و فلسطين مثال ساطع عن هذا : عمليّا القوى الأصوليّة الإسلامية هناك ساعدتها إسرائيل – و الإمبرياليّون الأمريكان أسياد إسرائيل التى تمثّل قاعدتهم العسكرية المسلّحة – لأجل تقويض منظّمة تحرير فلسطين الأكثر علمانية . و فى أفغانستان ، لا سيما خلال الإحتلال السوفياتي لذلك البلد ، فى ثمانينات القرن العشرين ، دعّمت الولايات المتحدة الأصوليين الإسلاميين المجاهدين و زوّدتهم بالأسلحة ، لأنّها رأت أنّهم سيكونون مقاتلين متزمّتين ضد السوفيات . وقوى أخرى منها ليس فقط قوى وطنية أكثر علمانية بل ماوية عارضت الإحتلال السوفياتي والحكومات العميلة التى ركّزها فى أفغانستان ، لكن بالطبع لم يكن الماويّون بصورة خاصة مدعومين من قبل الولايات المتحدة و بالفعل الكثير منهم قتلهم الأصوليون الإسلاميون " الجهاديون " الذين كانت الولايات المتحدة تساعدهم و تسلحهم.

و فى مصر ، بالعودة إلى خمسينات القرن العشرين ، وُجدت ظاهرة القائد الوطني الشعبي جمال عبد الناصر و" الناصرية" كشكل من القومية العربية التى لم تكن منحصرة فى مصر بل كان تأثيرها واسع الإنتشار بعد وصول ناصر إلى الحكم . فى 1956 ، تطوّرت أزمة حينما تحرّك ناصر ليأكّد مزيدا من التحكّم فى قنال السويس ؛ و إسرائيل إلى جانب فرنسا و أنجلترا- اللتان لم تستسلما بعدُ لخسارة إمبراطوريتهما – عارضتا ناصر معا . و الآن كمثال على تعقّد الأمور ، فى " أزمة السويس" تلك ، وقفت الولايات المتحدة ضد إسرائيل و فرنسا و بريطانيا . و لم يكن دافع الولايات المتحدة دعم القومية العربية أو ناصر بصفة خاصة بل كان ما يدفعها هو أن تحلّ أكثر محلّ الإمبرياليّين الأوروبيين الذين قد إستعمروا فى السابق هذه الأجزاء من العالم . و نلقى نظرة مقتضبة على خلفية هذا فنقول إنّ غداة الحرب العالمية الأولى ، مع هزيمة الإمبراطورية العثمانية القديمة و مركزها فى تركيا ، تقاسمت فرنسا و أنجلترا بالأساس الشرق الأوسط بينهما – ألحق بعضه بمجال التأثير الفرنسي كمستعمرات فرنسية ، و وُضعت أجزاء أخرى تحت سيطرة بريطانيا . بيد أنّه عقب الحرب العالمية لثانية – التى هُزمت خلالها كلّ من اليابان و ألمانيا و إيطاليا هزيمة صريحة وغدت فرنسا و بريطانيا أضعف بينما صارت الولايات المتحدة أقوى بكثير- تحرّكت الولايات المتحدة لتوجد نظاما عالميّا جديدا و كجزء من ذلك ، لتفرض فى ما يسمى بالعالم الثالث ، عوض الإستعمار من الطراز القديم ، شكلا جديدا من الإستعمار (الإستعمار الجديد) عبره تحافظ الولايات المتحدة على تحكّم فعلي فى البلدان وفى هياكلها السياسية و حياتها الإقتصادية ، حتى حيث غدت هذه البلدان شكليّا مستقلّة. و كجزء من هذا ، صُنعت إسرائيل لتجد مكانها فى علاقة بما تحقّق بصورة أتمّ وتأكّد بعدوانية أي الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط .

لكن بسبب موقفه من ما بات معروفا ب" أزمة السويس " ونتيجة تحركات وطنية أخرى ، أضحى لناصر و " الناصرية " أتباع كثر فى البلدان العربية خاصة . و فى هذا الوضع ، عملت الولايات المتحدة ، وإن لم تكن تبحث بشكل واضح عن الإطاحة بناصر ، على تقويض الناصرية و عامة القوى الأكثر علمانية – بما فيها طبعا القوى الشيوعية – التى كانت تعارض الإمبريالية الأمريكية و تقف فى وجهها . و ساهمت هزيمة 1967 التى ألحقتها إسرائيل بمصر [و بلدان عربية أخرى] بشكل كبير فى إنهيار صورة ناصر و " الناصرية " و تأثيرهما – و حدث الشيء ذاته تقريبا مع تيارات وقادة علمانيين – ضمن الناس فى الشرق الأوسط . و زمن وفاته فى 1970 ، قد شرع ناصر بعدُ فى خسارة قسم هام من بريقه بعيون الجماهير العربية .

هنا مجدّدا يمكن أن نرى بُعدا آخر فى تعقّد الأشياء . و كان للهزائم العملية لناصر و فشله إنعكاس تقويض شرعية أو حيوية ما كان ناصر يمثله إيديولوجيّا فى عيون أعداد متنامية من الناس . لا تجسّد " الناصرية " و تيارات إيديولوجية و سياسية مشابهة ولا يمكن أن تقود إلى قطيعة تامة مع الهيمنة الإمبريالية و كافة أشكال إضطهاد الشعوب و إستغلالها . غير أنّ هذا شيء يجب أن يكون ،وهو بالفعل، مرتكزا على تحليل علمي لما تمثّله مثل هذه الإيديولوجيا و البرامج و ما تهدف إلى تحقيقها . و ما هي عمليّا قادرة على بلوغه لا يدلّ عليه أنّه فى بعض الأمثلة المعيّنة أو حتى طوال فترة محدّدة من الزمن ، القادة الذين يجسّدون مثل هذه الإيديولوجيا و البرامج و يبحثون عن تكريسها يعانون تراجعات وهزائما. فى الطرق التى ردّت بها جماهير الشعب فى البلدان العربية (وعلى نطاق أوسع) على مثل هذه التراجعات و الهزائم ، من قبل ناصر و الذين يمثّلون تقريبا ذات الإيديولوجيا والبرنامج ، هناك عنصر معيّن من البراغماتية – مفهوم أنّه حتى على المدى القصير، ما يتغلّب صحيح و جيّد و ما يعاني من الهزائم مخلخل و مفلس . وبطبيعة الحال ، تعزّزت نزعة عفوية تجاه البراغماتية فى صفوف الجماهير الشعبية بفعل الأحكام التى أصدرها الإمبرياليّون والرجعيون الآخرون – ليس فقط طبعا فى علاقة بالقوى العلمانية مثل ناصر لكن حتى أكثر من ذلك ، فى علاقة بالشيوعيين و الشيوعية اللذان يمثّلان معارضة أكثر جوهرية بكثير للإمبريالية والرجعية .

فى كلّ هذا من المهمّ أن نتذكّر أنّه طوال عدّة عقود ، و على الأقلّ إلى فترة حديثة ، عملت الولايات المتحدة و إسرائيل على تقويض القوى العلمانية صلب معارضيهم فى الشرق الأوسط (وغيره من الأماكن) وعلى الأقلّ قد آثرتا موضوعيّا أين لم تحتضنا عن قصد نموّ القوى الأصولية الإسلامية . و خلال " الحرب الباردة " كان هذا ، إلى درجة هامة نتيجة حسابات أنّ هؤلاء الأصوليين الإسلاميين سيكونون على الأرجح أقلّ نزوعا بكثير للإصطفاف مع الكتلة السوفياتية . و إلى درجة ضئيلة ، تشجيع الأصوليّين الدينيّين على حساب القوى الأكثر علمانية دفع إليه الإقرار بالجوهر الكامن المحافظ و بالفعل الرجعي للأصولية الدينية و أنّه بقدر هام يمكن أن يعملوا كوقود مفيد للإمبرياليّين (و إسرائيل) فى تقديم نفسيهما على أنّهما قوى تقدّم مستنيرة و ديمقراطية .

و من مهازل القدر أنّ هذه التجربة برمّتها هو أنّ ناصر و رؤساء دولة آخرين عرب قوميين بخبث و إجرام قد قمعوا ليس المعارضة الأصولية الإسلامية (مثل الإخوان المسلمين فى مصر) فحسب و إنّما أيضا الشيوعيين . لكن مع ما جدّ على النطاق العالمي ، فى العقود الأخيرة – بما فى ذلك ما جدّ فى الصين و الإتحاد السوفياتي (كما ناقشنا أعلاه) و الحكم الواسع الإنتشار بأنّ هذا يعدّ " هزيمة " للشيوعية ؛ و إفتكاك السلطة فى إيران من طرف الأصوليين الإسلاميين مع سقوط شاه إيران فى أواخر سبعينات القرن العشرين ؛ و مقاومة الإحتلال السوفياتي فى أفغانستان ، التى فرضت فى أواخر ثمانينات القرن العشرين إنسحاب السوفيات وساهمت بدرجة كبيرة فى إنهيار الإتحاد السوفياتي ذاته ؛ وتراجعات و هزائم حكّام علمانيين بدرجات مختلفة مثل ناصر (و فى المدّة الأخيرة شخص مثل صدّام حسين) فى الشرق الأوسط و أماكن أخرى – على المدى القصير كان الأصوليون الإسلاميون أكثر من الثوريين و الشيوعيين ؛ هم الذين إستطاعوا أن يتجمّعوا من جديد ويشهدوا نموّا هاما فى التأثير وتنظيم القوّة .

و مثال آخر لكلّ هذا المسار، من خمسينات القرن العشرين إلى الوقت الراهن – ما يجسّد بمعاني جدّ تامة و بالغة ، النقاط التى أثرنا أعلاه – هو أندونيسيا . خلال خمسينات القرن العشرين و ستيناته ، كان لأندونيسيا ثالث أكبر حزب شيوعي فى العالم (فقط فى الإتحاد السوفياتي و الصين كان الحزبان الشيوعيان أكبر منه) . و كان للحزب الشيوعي الأندونيسي عدد كبير من الأتباع فى صفوف الفقراء فى المناطق المدينيّة (و كانت الأحياء القصديريّة ، فى مدينة جاكرتا و غيرها ، بعدُ أسطوريّة ، بالمعنى السلبي) و كذلك فى صفوف الفلاحين فى الريف و قطاعات من المثقفين و حتى بعض الشرائح الأكثر برجوازية وطنية . و لسوء الحظّ ، كان للحزب الشيوعي الأندونيسي أيضا خطّ إنتقائي جدّا – حقيبة مختلطة من الشيوعية و التحريفية للبحث عن تغيير ثوري لكن كذلك لمحاولة النشاط عبر الطرق البرلمانية صلب الهياكل الحكومية القائمة .

و كان يقود الحكومة آنذاك قائد وطني هو أشمد سوكرنو . و قد وفّرت لي زيارة قمت بها إلى الصين فى سبعينات القرن العشرين عمق نظر هام فى هذا فخلالها تحدّث معى أعضاء من الحزب الشيوعي الصيني عن تجربة الحزب الشيوعي الأندونيسي و رووا لي بصفة خاصة : عادة ما كنّا نتصارع مع الرفيق آيديت (قائد الحزب الشيوعي الأندونيسي أثناء فترة حكم سوكرنو) ، و حذّرناه من ما يمكن ان يحدث نتيجة محاولته أن يضع ساقا فى الشيوعية و الثورة و ساقا أخرى فى الإصلاحية و التحريفية . بيد أنّ الحزب الشيوعي الأندونيسي إستمرّ على ذات الطريق بمقاربته الإنتقائية ؛ و فى 1965 ، نظّمت الولايات المتحدة و نفّذت من خلال السي آي آي منسقة مع الجيش الأندونيسي والجنرال القائد ، سوهرتو، إنقلابا دمويّا جرى أثناءه إرتكاب مجزرة فى حقّ آلاف الشيوعيين الأندونيسيّين و آخرين ، و جرى تفتيت تام للحزب الشيوعي الأندونيسي و فى نفس الوقت وقعت الإطاحة بسوكرنو رئيس الحكومة و أخذ مكانه سوهرتو .

فى أثناء هذا الإنقلاب ، غدت الأنهار حول جاكرتا طافحة بجثث الضحايا : كان الرجعيون يقتلون الناس المدّعى أنّهم شيوعيون أو الشيوعيين فعلا و يرمون بجثثهم بأعداد كبيرة فى الأنهار . و فى ظاهرة معلومة جدّا ، عندما إنطلق الإنقلاب – الذى قادته السي آي آي و نظمته و نفّذته – و طفق كلّ الذين كانت لهم خصومات و عداءات قديمة شخصية أو أسرية يتهمون الآخرين بكونهم شيوعيين و يسلّمونهم إلى السلطات و النتيجة كانت أنّ الكثير من الذين لم يكونوا حتّى شيوعيين وقع التنكيل بهم ، إلى جانب عدد لا يحصى من الشيوعيين . و لمّا أطلق الإمبرياليون و الرجعيون العنان لهذه المجزرة الدامية شجّع ذلك و دفع أناسا كثر فى نوع من الإنتقام بسفك الدماء . و السي آي آي تتفاخر بصراحة كيف أنّها نظّمت و خطّطت لهذا الإنقلاب و كذلك قد إستهدفت بصورة خاصّة آلافا من الشيوعيين القياديين و تخلّصت منهم مباشرة فى خضمّ هذه المجزرة الأوسع لمئات الآلاف .

و المشكل الجوهري مع إستراتيجيا الحزب الشيوعي الأندونيسي أنّ طبيعة الدولة – و خاصّة طبيعة الجيش – لم تتغيّر : و كان البرلمان إلى درجة كبيرة متكوّن من قوميين وشيوعيين لكن **الدولة** ظلّت بأيدي الطبقات الرجعية ، و نظرا لأنّ قبضتهم على الدولة لم تكسر أبدا و لأنّ جهاز الدولة الذى إحتفظوا فيه بالسيطرة لم يحطّم أبدا و لم يفكّك ، إستطاع سوهرتو و القوى الرجعية الأخرى العمل معا و تحت قيادة السي آي آي لكي ينفذوا بنجاح هذا الإنقلاب الدموي بتبعاته الفظيعة .

بهذا الشأن ، قصة قصيرة أخرى رواها لى أعضاء الحزب الشيوعي الصيني معبّرة و لاذعة جدّا . لقد رووا لي كيف أنّ سوكرنو كان إعتاد حمل صولجان و سأله الرسميون الصينيون الذين إلتقوا به " ما هذا الصولجان الذى تحمله معك ؟ " فأجاب سوكرنو : " هذا الصولجان يمثّل سلطة الدولة " . حسنا و الرفاق الصينيون يروون هذه القصّة لخّصوا بعد الإنقلاب ما حدث فقالوا : " لا يزال سوكرنو يحمل الصولجان ، لقد تركوه يحتفظ به ، لكنّه لم يكن يملك أية سلطة دولة ".

لقد سُحق الحزب الشيوعي الأندونيسي سحقا تاما مثلما يسحق جسد – أعضاؤه قُضي عليهم و لم يبقى منهم سوى قلّة هنا وهناك – تعرّض إلى ضربة مدمّرة لم يتعافى منها قط . و التفتيت لم يتمّ فقط بالمعنى التام و الملموس بل أيضا تمّ التعبير عنه فى هزيمة إيديولوجية و سياسية و إضطراب و يأس . و طوال عقود مذّاك ، ماذا حصل فى أندونيسيا ؟ أحد أكثر التطوّرات اللافتة للنظر هو النموّ الهائل للأصولية الإسلامية فى أندونيسيا . لقد وقع مسح البديل الشيوعي . و عوضا عنه – و فى جزء منه عن وعي ، شجّع الإمبرياليون و القوى الرجعية الأخرى ، لكن فى جزء آخر منه نمى زخمه الخاص فى إطار حيث جرى تحطيم معارضة علمانية قوية و شيوعية على الأقلّ قولا – ملأت الأصولية الدينية الفراغ الذى خلّفه غياب بديل حقيقي للحكم الشديد القمع لسوهرتو و المخلصين له ، الذى أوصلته الولايات المتحدة للسلطة و حافظت عليه فيها لعقود . (18)

و كلّ هذا ، ما شهدته أندونيسيا و أيضا مصر و فلسطين و أجزاء أخرى من الشرق الأوسط – بُعدُ سياسي إمتزج بعوامل إقتصادية و إجتماعية مرّت بنا الإشارة إليها – إضطراب و سرعة التقلّب و سرعة التغيّر المفروض من الأعلى و على ما يبدو المتأتّى من مصادر و قوى غير معروفة و / أو غريبة و أجنبية – لتقوّض و تضعف القوى العلمانية و منها الثورية و الشيوعية حقّا و تقوية الأصولية الإسلامية (بطريقة تشبه كيفية كسب الأصولية المسيحية قوّة فى أمريكا اللاتينية و أجزاء أخرى من أفريقيا).

بداهة هذه ظاهرة ذات دلالة هائلة . إنّها جزء هام من الواقع الموضوعي الذى ينبغى على الناس عبر العالم الذين يبحثون عن إحداث تغيير فى إتّجاه تقدّمي – و حتى أكثر الذين يجتهدون لبلوغ تغيير راديكالي حقيقي تقودهم فى ذلك نظرة ثورية و شيوعية - أن يواجهوه و يغيّروه . و من أجل القيام بذلك ، من الضروري ، قبل كلّ شيء ، أن نعالج ونفهم بجدّية هذا الواقع ، عوض البقاء على جهل به بشكل خطير ، أو تبنّى توجّه تجاهله بحمق . و من الضروري و بالفعل الحيوي ، النبش عميقا تحت ظاهر هذه الظاهرة و تمظهراتها المتنوّعة بغاية أن نفهم بصفة أعمق الديناميكية و الدوافع الكامنة وراء كلّ هذا – ما هي التناقضات الجوهرية و الأساسية ، على النطاق العالمي و فى بلدان و جهات معينة من العالم – و أنّ هذه الأصولية الدينية هي تعبير عن كيف يمكن ، على أساس ذلك الفهم الأعمق للديناميكية ، تطوير حركة لجلب جماهير الشعب بعيدا عنها ، نحو شيء يمكن فعلا أن يولّد عالما مختلفا جذريّا و أفضل بكثير .

نبذ " الغرور المتعجرف للتنويريّين "

هناك نزعة محدّدة وسط هؤلاء " التنويريين " وجب أن نقول – و منهم بعض الشيوعيين – نحو السقوط فى ما يعود إلى موقف غرور متعجرف تجاه الأصولية الدينية و الدين بصورة عامة . و لأنّه يبدو عبثيّا جدّا و عسيرا على الفهم ، فإنّ الذين يعيشون فى القرن الواحد و العشرين يمكنهم فعلا أن يتشبّثوا بالدين و بالفعل ينخرطون فى طريقة متزمّتة و مطلقة و أفكار دغمائية و مفاهيم بوضوح لا أساس لها فى الواقع ؛ إنهم يستبعدون بيسر هذه الظاهرة برمّتها و يخفقون فى الإعتراف أو المقاربة الصحيحة لكون هذا أمر تأخذه الجماهير فعلا مأخذ الجدّ إلى درجة كبيرة . و هذا يشمل أكثر من بضعة أناس من القطاعات الأدنى و الأعمق من البروليتاريا و المضطهَدين الآخرين الذين نحتاج أن يكونوا القاعدة و الأساس الحقيقيين – و القوّة المحرّكة فى الثورة التى تقود عمليّا إلى التحرّر .

و الإخفاق فى أن يأخذ مأخذ الجدّ إعتقاد العديد من الجماهير فى الدين ، بما فى ذلك فى الأصولية الدينية من هذا النوع أو ذاك شكل من الإزدراء ، **بالضبط** كالتذيّل لكون الكثير يعتقدون فى هذه الأشياء و يرفضون النضال ضدّها للتخلّص منها، الذى هو **كذلك فى الواقع** تعبير عن إزدراء لها . إنّ قبضة الدين على جماهير الشعب حتى ضمن الأكثر إضطهادا عائق ضخم أمامها و حاجز كبير يحول دون تعبئتها فى سبيل القتال من أجل تحرّرها الخاص و من أجل أن تكون محرّرة لكافة الإنسانية – و يجب مقاربتها [قبضة الدين] والنضال ضدّها بفهم أنّه كلّما كان ممكنا و حيويّا فى القتال ضد اللامساواة و الإضطهاد ، يتعيّن إيجاد أوسع وحدة ممكنة مع الناس ذوى المعتقدات الدينية .

نموّ الدين و الأصوليّة الدينيّة : تعبير خاص عن التناقض الأساسى [للرأسماليّة – الإمبرياليّة]

و تعبير آخر غير مألوف و خاص عن التناقضات فى عالم اليوم هو أنّه من جهة ، هناك كلّ هذه التقنية العالية التطوّر و التقنية الحديثة فى مجالات مثل الطبّ و أصعدة أخرى ، و منها تقنية الإعلامية (و حتى آخذين بعين الإعتبار أنّ قطاعات عريضة من السكّان فى عديد أركان العالم ، و أعداد هامة حتى فى البلدان " المتقدّمة تقنيّا " لا تزال غير متوفّرة لها هذه التقنية المتقدّمة ، لأعداد نامية من الناس عمليّا إمكانية الربط بالأنترنت و بالكميات الكبيرة من المعلومات المتوفّرة عبر الأنترنت ، و بطرق أخرى) و مع ذلك ، فى نفس الوقت ، هناك نموّ هائل لما نسمّيه كما هو : **جهل منظّم** ، فى شكل الدين و الأصولية الدينية على وجه الخصوص . و يبدو هذا ليس فقط بارزا بل تناقضا غريبا : كمية ضخمة من التقنية و المعرفة من ناحية و من الناحية الأخرى كمية ضخمة من الجهل المستشري و الإعتقاد فى التطيّر الظلامي والعودة إليه.

حسنا ، إلى جانب تحليل هذا بمعنى العوامل الإقتصاديّة و الإجتماعيّة و السياسيّة التى أسفرت عن ذلك (و التى تحدّثنا عنها أعلاه) ، طريقة أخرى ، و حتى أكثر جوهرية ، لفهم هذا هي أنّه **تعبير فى منتهى الحدّة فى عالم اليوم عن التناقض الأساسي للرأسمالية : التناقض بين الإنتاج الجماعي بدرجة عالية و الإمتلاك الفردي (الرأسمالي) لما يتمّ إنتاجه .**

من أين تأتي كلّ هذه التقنية ؟ على أي أساس وقع إنتاجها ؟ والحديث بصورة خاصة عن إشاعة الإعلام ، و أساس حصول الناس على المعرفة – على ماذا يقوم ذلك ؟ جميع التقنية الموجودة – و بالمناسبة ، الثروة التى خلقت – وقع إنتاجها بفضل أشكال جماعية من قبل ملايين و ملايين الناس من خلال شبكة عالمية للإنتاج والتبادل ؛ لكن كان هذا يجري فى ظلّ تحكّم حفنة نسبية من الرأسماليين الذين يتملكون الثروة المنتجة – و يتملكون المعرفة المنتجة أيضا – و يطوعونهما لأهدافهم .

و عن ماذا يعبّر هذا ؟ إنّه من ناحية دحض ل " نظرية القوى المنتجة " التى تحاجج بأنّه بقدر ما تملك من التقنية ، بقدر ما سيوجد تنوير ، تقريبا فى علاقة مباشرة بالتقنية – و التى فى تعبيرها " الماركسي " تجاجج بأنّه بقدر ما يكون التطوّر التقني أكبر ، بقدر ما تكون الأمور أقرب إلى الإشتراكية أو إلى الشيوعية . حسنا ، لننظر إلى العالم حولنا . لماذا **ليس** الأمر كذلك؟ مردّ ذلك عامل جوهري : كلّ هذه التقنية ، كلّ هذه القوى المنتجة " تمرّ عبر " و يجب أن " تمرّ عبر " نوع معيّن من **علاقات الإنتاج** - يمكن تطويرها و إستعمالها فقط بدمجها فى ما هو سائد عموما من علاقات إنتاج فى زمن معطى .

و بالمقابل ، هناك بعض الطبقات و العلاقات الإجتماعية التى هي تعبير عن (أو هي على كلّ حال فى إنسجام عام مع) علاقات الإنتاج السائدة ؛ و هناك بنية فوقية من السياسة و الإيديولوجيا و الثقافة و طبيعتها الأساسية تعكس و تعزّز كافة هذه العلاقات . لذا ليست مسألة قوى منتجة - بما فيها التقنية و المعرفة - ببساطة موجودة فى فراغ إجتماعي و يقع توزيعها و إستعمالها بطريقة منفصلة عن علاقات الإنتاج التى عبرها تُطوّر و تُستعمل (و الطبقة و العلاقات الإجتماعية و البنية الفوقية المناسبتين) . و يجري هذا وليس بوسعه إلاّ أن يجري عبر واحدة أو أخرى من جملة من علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و العلاقات الطبقية ، فى تناسب مع العادات و الثقافات و طرق التفكير و المؤسسات السياسية و ما إلى ذلك .

فى عالم اليوم ، الذى يهيمن عليه النظام الرأسمالي – الإمبريالي ، هذه التقنية و المعرفة " تمرّ عبر " العلاقات الرأسمالية و الإمبريالية و البنية الفوقية القائمة ، و من التمظهرات الأساسية لهذه الفروقات الشاسعة بين ما تتملّكه حفنة صغيرة جدّا – و الكمّية الأقلّ التى توزّع على شريحة أوسع فى بعض البلدان الإمبريالية لأجل إستقرار هذه البلدان و تليين و مسالمة أقسام من السكّان الذين ليسوا جزءا من الطبقة الحاكمة هناك – بينما فى صفوف الغالبية العظمى من الإنسانية هناك فقر و عذاب و جهل لا يصدّقون . و إلى جانب هذه الفروقات العميقة ، نشهد هذا التناقض الخاص بين القدر الكبير من التقنية و القدر الكبير من المعرفة من جهة ، و من جهة ثانية ، إنتشار هذه المعتقدات و العودة إلى التطيّر الظلامي ، لا سيما فى شكل الأصولية الدينية – كلّ هذا هو بالفعل تعبير عن التناقض الأساسي للرأسمالية .

هذه نقطة فى منتهي الأهمّية فهمها . و دون هذا الفهم ، إن كان المرء سينطلق من مقاربة و منهج أكثر خطّية ، سيكون من اليسير السقوط فى قول : " لا أفهم الأمر ، هناك كلّ هذه التقنية ، كلّ هذه المعرفة ، لماذا هناك عدد كبير جدّا من الناس على هذه الدرجة من الجهل و إلى هذه الدرجة من الإنغماس فى التطيّر ؟ " مرّة أخرى ، الإجابة هي – وهي إجابة تلمس

العلاقات الأكثر جوهرية فى العالم – أنّ السبب فى ذلك هو علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و الطبقية و المؤسسات السياسية و الهياكل و السيرورات و بقية البنية الفوقية السائدين – الثقافة و طرق التفكير و العادات و التقاليد و ما إلى ذلك السائدين ، التى تتناسب مع و تعزّز مراكمة النظام الرأسمالي ، كما يجد هذا تعبيره فى عصر حيث الرأسمالية تطوّرت إلى نظام عالمي للإستغلال و الإضطهاد .

هذا أفق هام آخر إنطلاقا منه نفهم ظاهرة الأصولية الدينية . و بقدر ما تنمو هذه الفروقات ، بقدر ما هناك أرضية تفرز الأصولية الدينية و النزعات المرتبطة بها . و فى نفس الوقت ، و فى تناقض حاد مع هذا ، هناك كذلك أساس كامن أقوى للتغيير الثوري . فكلّ الفروقات العميقة فى العالم – ليس بمعنى ظروف الحياة بل أيضا فى علاقة بتوفّر المعرفة – يمكن تجاوزها فقط عبر الثورة الشيوعية و هدفها هو إنتزاع السيطرة على المجتمع من أيدى الإمبرياليّين و المستغِلين الآخرين و التقدّم عبر المبادرة الواعية المتصاعدة للأعداد النامية من الناس لتحقيق (حسب صيغة لماركس) إلغاء كلّ الإختلافات الطبقية ، كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها هذه الإختلافات الطبقية و كلّ علاقات الإنتاج التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و تثوير كلّ الأفكار التى تتناسب مع هذه العلاقات الإجتماعيّة بهدف إيجاد فى النهاية و جوهريّا على النطاق العالمي مجتمع من البشر المتجمعين بحرّية و الذين يتعاونون بوعي و عن طواعية من أجل المصلحة العامة فى حين يعطون مدى متنامي لمبادرة و إبداع أعضاء المجتمع ككلّ .

<u>الهوامش :</u>

15- لعديد الأسباب ذاتها التى لمسنا هنا ، فإنّ الأصولية الدينية قد تعزّزت أيضا فى العقود الحديثة ضمن قطاعات من الفقراء والمضطهَدين و المهمّشين داخل الولايات المتحدة . و هذا يشمل وجود لإستراتيجيا واعية من قبل الشرائح القوية من الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة ، تهدف إلى التشجيع على الأصولية الدينية فى صفوف الجماهير الشعبية التى تصرخ ظروف حياتها بالتغيير الجذري وإيقاعها فى شرك الإديولوجيا الرجعية والبرنامج السياسي اللذان تمثّل هذه الأصولية الدينية التعبير المركّز عنهما .

نموّ الأصولية فى صفوف أعداد هامة من الناس ضمن شريحة واسعة من " الطبقة الوسطى " فى الولايات المتحدة يُعزى إلى درجة كبيرة لعوامل أخرى بما فيها : شعور حاد بالتوتّر بفعل إقتصاد و ثقافة يشجّعان على و يوفّران على ما يبدو إستهلاكا لا يتوقّف على أساس ديون كبيرة : شعور بسرعة التقلّب و عدم أمان فى الإقتصاد و فى المجتمع ككلّ ؛ شعور فقدان السيطرة حتى على الأطفال فى وجه التغيرات التقنية (الكابل و التلفاز بالأقمار الصناعية و الأنترنت إلخ) ؛ شعور بفقدان " مكانة " و الجماعة فى مجتمع و ثقافة ينتجان تذرّرا و يشجعان أقصى الأنانية . لكن ما هو فى غاية الأهمّية للفهم، خاصة صلب " الطبقة الوسطى " فى الولايات المتحدة ، هو أنّ هذه الظاهرة من نموّ الأصولية هي كذلك نتاج لطفيلية الإمبريالية – لكون الإمبريالية الأمريكية بوجه خاص القوّة المهيمنة على العالم التى تعيش من و لا تستطيع إلاّ أن تعيش من منتهى إستغلال جماهير الشعب عبر ما يسمّى بالعالم الثالث ، و أنّ الناس فى الولايات المتحدة ، لا سيما ضمن " الطبقة الوسطى " موجودين فى " أعلى السلّم الغذائي " بين شعوب العالم . و من المهمّ ملاحظة أنّ ما تعنيه الأصولية الدينية التى تجد منخرطين خاصة فى الضواحي و الروابض بأمريكا ، شعور متجذّر عميقا فى دور أمريكا ك " أمّة الله المختارة " مترافقة بتأكيد عدواني للشوفينية الأمريكية و كذلك للعلاقات و القيم التقليدية التى تجسّد تفوّق البيض والتفوّق الذكوري.

و سنعود إلى ظاهرة الأصولية و خاصة الأصولية المسيحية الفاشية فى الولايات المتحدة فى قسم لاحق من الكتاب .

16- علاوة عن ما تضمّنته الكثير من كتاباتي و خطاباتي التى تعالج هذا الموضوع ، فإنّ تحليلا لمظاهر هامة من التجربة الفعلية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و فى الصين ، بما فى ذلك أخطاء و نواقص حقيقية جدّا و كذلك مكاسب غير مسبوقة تاريخيّا – و يردّ على تشويهات هذ التجربة ، يوفّره مشروع " وضع الأمور فى نصابها " و يمكن الحصول على هذا و على المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع على الأنترنت بموقع :

Thisiscommunism.org

17- مصدر معلومات وتحليل هامين بخصوص هذه الأحداث فى إيران و إنعكاساتها هو " كافة رجال الشاه : إنقلاب أمريكي و جذور الإرهاب فى الشرق الأوسط " وهو كتاب لستيفان كنزار و الناشر هو شركة جون ويلاي و أبنائه ، 2003 .
18- إضافة إلى القمع الوحشي لشعب أندونيسيا ذاته ، فإنّ نظام سوهرتو قد كرّس حكما إرهابيّا و مأقام مجازرا جماعية فى تيمور الشرقية ، متسبّبا بمجازر جماعية أودت بحياة قسم كبير من السكّان هناك . و فى هذا أيضا ، كان يتلقى الدعم من الإمبريالية الأمريكية بإداراتها المتتالية بما فيها إدارة بيل كلينتون .

++

الجزء الثالث : الدين قيد ثقيل و ثقيل جدّا

- الدين و البطرياركية [النظام الأبوي] والتفوّق الذكوريّ و القمع الجنسيّ

- حزام الإنجيل هو حزام القتل بوقا : العبودية و تفوّق البيض و الدين فى أمريكا

- الفاشية المسيحيّة و الإبادة الجماعيّة

الدين و البطرياركيّة و التفوّق الذكوري و القمع الجنسيّ

من أهمّ مظاهر دور الدين كقيد ترزح تحت وطأته الإنسانيّة – و هنا مرة أخرى أتفحّص بالخصوص دور الديانات التوحيديّة الثلاث الكبرى في العالم : اليهوديّة و المسيحيّة و الإسلام – الطريقة التي يمثّل بها هذا تعبيرا مكثّفا عن البطرياركيّة و التفوّق الذكوري و تعزيزا لهما . و لوضع ذلك ببساطة ، كافة هذه الديانات ديانات ذكوريّة . و جميعها تصوّر إلاها ذكرا قويّا كوجه سلطويّ : الأب و السيّد و الرب – مهما كانت اللغة الى يتمّ التعبير بها عن ذلك. إنّها ديانات تعكس العلاقات البطرياركيّة في العالم الواقعيّ إلى مجال عالم آخر – لتُفرض بدورها مجدّدا على **هذا** العالم – و فيه البطرياركيّة و تعزيزها جزء لا يتجزّأ **و** جزء أساسيّ من نظام العقيدة و من السلوك الذى يهد نظام العقيدة هذا لتوطيده كجزء من الشبكة الأوسع للعلاقات الإضطهاديّة و الإستغلاليّة التى تميّز المجتمعات التى ظهرت فيها هذه الديانات و المجتمعات المتتابعة التالية لها التى سهرت الطبقات الحاكمة على تأبيد هذه الديانات فيها .

و الطرق التي تشجّع بها هذه الديانات وجه أب قويّ و سلطة ذكوريّة مطلقة يمكن رؤيتها ليس فقط في كيفيّة تصوير الإلاه الذى يؤمر الناس بتقديسه و طاعته – و هذا طبعا هو الحال حتّى أكثر في النسخ الوليّة من هذه الديانات – و إنّما أيضا في قلب الكتابات المقدّسة لكافة هذه الديانات . و توفّر المسيحيّة مرّة أخرى تجسيدا واضحا لذلك.

و على نحو ما يمكن قول إنّ الرسالة الأساسيّة للديانة المسيحيّة يُعرض في John- إنجيل يوحنّا 3:16 [الأصحاح الثالث ، الآية 16] و الآن قد يكون بعضكم معتادين على هذا – فمنكم من يعرون الكتاب المقدّس و . أو منكم من شاهدوا مجرّد أحداث رياضيّة لا سيما مباريات كرة الركبى حيث عادة عندما يحقّقون نقطة بعد إنزالهم الكرة لتلمس الأرض يوجد مجانين جالسون مراء المرمى و يحملون باروكة مجنون على رؤوسهم و يرفعون يافطة تقول ما ورد في إنجيل يوحنّا 3:16. [ضحك]

لذا لنتحدّث عن هذا : " لأَنَّه هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى
بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ ".

و لنتعمّق أكثر في هذا – ما يتقدّم به عمليّا و ما يشجّع عليه . و لنعد إلى سفر التكوين : مجددّا أسطورة سقوط البشر و الدور الخيانيّ للمرأة في هذا و النظرة إلى الطبيعة و مصير الإنسانيّة الذى يتمّ تقديمه في سفر التكوين (أنظروا خاصة الأصحاح 2 و 3 من سفر التكوين). ما كان ليكون ضروريّا وفق الكتاب المقدّس أن يقدّم هذه التضحية الكبرى (" بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ ") إن لم يكن حدث ان البشر قد أفسدوا في حدائق الجنّة و خاصة أنّ حوّاء قد أغرت الرجل – آدم – للوقوع في الخطأ و المضيّ ضد إرادة الإلاه . لهذا سواء كان متجذّرا في أو كامنا في هذه الآية نفسها من إنجيل يوحنّا 3:16 التي تعبّر عن مدى حبّ الإلاه للإنسانيّة ، ثمّة مفهوم أنّ الإنسانيّة فاسدة تماما – أنّ من طبيعة الإنسانيّة الوقوع في الخطأ و إقتراف الذنوب – و أنّ البشر طبيعته " ساقطة " و هذا في حدّ ذاته ليس بوسع الإنسانيّة أبدا تغييره أو التخلّص منه .هذه هي النقطة الأولى التي يجب إبقاؤها فى الذهن هنا .

و هناك شيء آخر ، ثانيّ - فكّروا فى هذا " بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ " . لماذا **إبن** ؟ و على أي حال الفكرة عبثية . [ضحك] إذا كنتم تؤمنون بإلاه يمكن أن يكون للإلاه العدد الذى يريد من الأبناء . [ضحك] و من هنا ما مسألة " بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ " ؟ حسنا ، بالنسبة إلى **البشر** الذين يعيشون في مجتمع بطرياركي ، التضحية بالإبن من أعظم التضحيات التي تقدّم ذلك أنّه في هكذا مجتمع يهيمن عليه الذكور للرجال مكانة و قيمة أكبر ممّا للنساء . و عليه ، من يهتمّ للنساء ؟ يمكن تقديمهنّ للإغتصاب – و هذا موجود في الكتاب المقدّس كذلك و على سبيل المثال في قصّة كيف أنّ لوط قدّم بناته على ذلك النحو (و تذكّروا أنّ لوط كان الإلاه ينظر إليه بإيجابيّة كبيرة إلى درجة أنّ لوط حصل على عفو حينما دمّر الإلاه اللواطيّين - أنظروا سفر التكوين، الأصحاح 19) لكن **إبن** ، هذه مسألة مختلفة للغاية .

و لتوضح هذه النقطة بما يكفى من الدقّة ، حاولوا التفكير في لو أنّه جاء في الكتاب المقدّس : " بَذَلَ ابْنَتهُ الْوَحِيدَة " ، لا يبدو الأمر صحيحا ، أليس كذلك ؟ [ضحك] لا يتنام هذا مع مضامن الكتاب المقدّس – فقد كتبها بشر عاشوا في مجتمع بطرياركي و عكسوا ذلك المجتمع في ما كتبوه و بثّوا فكرة أنّ إلاه خيالي يقيم في السماوات بذل تضحية كبرى ب "" بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ " و هذا أعظم التضحيات التي يمكن أن يتصوّرها أولئك البشر .

و يعيدنا هذا إلى دور النساء و سقوط الرجل . هذه ليست فقط قصّة محوريّة و مركزيّة في تاريخ البشر في الكتاب المقدّس و علاقتهم بالإلاه بل هي كذلك قصّة يعتمدها و يكرّسها بُولس في العهد الجديد . مثلا ، في رسالته إلى تيموثاوس، يكرّر

بولس مفهوم اللعنة على النساء بسبب ما فعلته حوّاء في حدائق عدن : إلاّ أنه يقول بإمكانيّة إنقاذ النساء بتربية أطفال أزواجهنّ و عموما بالتمتّع بمؤهّلات " متواضعة " مناسبة للنساء و منها أن تكون مطيعة لأزواجهنّ و تابعة للرجال بصورة عامة

" لِتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ بِسُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ .١٢ وَلكِنْ لَسْتُ آذَنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلاَ

تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ، ١٣ لأَنَّ آدَمَ جُبِلَ أَوَّلاً ثُمَّ حَوَّاءُ، ١٤ وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ،

لكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي .١٥ وَلكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلاَدَةِ الأَوْلاَدِ، إِنْ ثَبَتْنَ فِي

الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ. "

(رِسالَةُ بولُسَ الرَّسولِ الأولَى إلى تيموثاوُسَ ، الأصحاح 2 ، الآيات 11-15)

لذا ، هنا تماما، نلاحظ مكوّنين من المكوّنات الأساسيّة للمسيحيّة و " التقاليد اليهوديّة – المسيحيّة " : يجب على النساء أن يخضعن للرجال و الدور الأساسي للنساء هو تربية الأطفال . فكّروا في التأثير الفظيع لذلك و في كافة الإضطهاد و العذاب الذى ساهم في التسبّب فيه طوال القرون وصولا إلى يومنا هذا .

و الآن ، لنعد إلى جذور أسطورة المسيح و النقطة التي تحدّثنا عنها قبلا في علاقة بهذا . حين نقرأ الكتاب المقدّس و نتوغّل في القسم الأوّل من العهد الجديد ، في متّى ، ينطلق بشيء في وسع قلّة قليلة من الناس إتّباعه : " الأنساب " [ضحك] و هكذا و هكذا تتواتر الأنساب لأربعة عشر جيلا ثمّ أنساب هكذا و هكذا لأربعة عشر جيلا آخر و يمضى هذا عبر داوود و المزيد من الأجيال وصولا إلى يوسف ، أب المسيح .

و الآن ، إذا نظرنا في التاريخ و قارننا السجّلات التاريخيّة بما يقال هنا في الكتاب المقدّس ، هناك تباينات بارزة : الرسم الذى يعنى الإحالة المتكرّرة على أربعة عشر جيلا لا يتناسب مع ما يمكن عمليّا تعلّمه من التاريخ حول توارث البطرياركيّة المحال عليه هنا .

لكن هذه " الأنساب " مرّة أخرى ، ، وُضعت في خدمة تعزيز الهيمنة الذكوريّة و البطرياركيّة . كلّ ما في متّى محاولة لرسم جذور المسيح إنطلاقا من إبراهيم – البطرياريك . الأب المؤسّس من الشعب اليهودي القديم ، وفق الكتاب المقدّس – عبر الملك داوود إلى يوسف ، اب المسيح /حتّى و إن لم تكن ل" بذور " يوسف أيّة علاقة بهذا مطلقا . تذكّروا هذا : جزء من الأسطورة المسيحيّة يقوم على أنّ المسيح وُلد – و من ولدته ؟ العذراء ، مريم . لذا ما صلة يوسف بهذا ؟ [ضحك] المسألة هي أنّ هذا تاريخ الآباء المؤسّسين – البطريارك يحاول وضع المسيح مباشرة ضمن تقاليد الآباء المؤسّسين و الملوك و الحكّام المؤسّسين ضمن الشعب اليهودي في الأزمنة القديمة .(19)

(19- و تجدر الإشارة إلى كونه في الإسلام كذلك يقع تقديس إبراهيم كبطريارك ، أب مؤسّس .)

و حتّى إن كانت مريم الأم المباركة للمسيح فإنّ شجرتها الأسريّة لا تذكر . لماذا ؟ لأنّها امرأة . دورها أن تكون أمّ حنون تتحمّل العذاب الطويل (و خاصة في النسخة الكاتوليكيّة الرومانيّة للمسيحيّة ، أن تكون نوعا من " الشفيع " للناس في دعائهم للإلاه). لكن حين يتعلّ الأمر بتتبّع الخطّ من الآباء المؤسّسين القدامى للشعب اليهودي وصولا إلى المسيح ، لإثبات حقّه في أن يكون المسيح ، و مريم ليست جزءا من كلّ هذا . يوسف يوجد حتّى و إن لم يكن له نسب بيولوجيّا حسب الكتاب المقدّس بكلّ هذا . (20)

(20- مثلما تمّت الإشارة إلى ذلك أعلاه ، في لوقا ، الأصحاح الثالث، الآيات 23 إلى 38 ، هناك نسخة **مختلفة** لهذه الأنساب: الخطّ العائلي للمسيح و أجداده و أسلافه مغاير لما تمذ تقديمه في متّى ، الأصحاح الأوّل ، الآيات 1 إلى 17 . في كتاب " **سلالة المسيح الحاكمة** " يحاجج جامس د. تابور بأنّ في لوقا الخطّ العائلي للمسيح هو ، بعد نقطة معيّنة ، عمليّا مرسوم عبر مريم . لكن صراحة محاججة تابور هنا تبدو نوعا ما غير مستقيمة . و مركزيّ في تفكيره هو أنّ لوقا يقول إنّ للمسيح جدّ إسمه Heli و تستمرّ محاججة تابور ليقول لنا إنّ أب يوسف – و جدّ المسيح من جهة يوسف – كان إسمه يعقوب ؛ وبالتالي يستخلص تابور أنّه يجب أن يكون Heli والد **مريم** . لكن قبل كلّ شيء ، هناك إختلافات عديدة و ليس فحسب هذا الإختلاف بين كيف يقدّم متّى سلالة المسيح و كيف يجرى ذلك في لوقا . و هكذا ، حين يسأل تابور " إذن من كان Heli؟ يجيب فورا الحلّ الأكثر بداهة هو أنّه كان والد مريم " وهو يخرج بإستنتاج ليس بديهيّا أبدا و ينجز قفزة ليست مبرّرة . (أنظروا " **سلالة المسيح الحاكمة** " ، الفصل 2 ، " إبن داوود ؟ " خاصة بالصفحة 52 و قارنوا ذلك مع متّى 1:1-17 و مع لوقا 3:23) . و علاوة على ذلك يعترف تابور بأنّ مريم لا تذكر في رواية لوقا على أنّها من سلالة المسيخ لأنّ لوقا " يلتزم بما تمّ التوافق حوله و هذا لا يشمل إلاّ الذكور في قائمته " (ص 52) . و هكذا ، حتّى و إن قبِل المرء بإستنتاجات تابور في ما يتعلّق بدور

مريم في رواية لوقا – و هذا مرّة أخرى ، أكثر من شيء إشكالي قليلا – من الواضح أنّ في لوقا كما في متّى ، النسخة البطرياركيّة لهذه السلالة هي التي تشقّ طريقها .)

بالنسبة إلى عديد الناس الذين عاشوا في مجتمع كانت فيه البطرياركيّة و هيمنة الذكور و إضطهاد النساء الناجم عن ذلك جزءا لا يتجزّأ و حتّى ضروريّ – جزء دونه لا يمكن للمجتمع أن يوجد على ذلك الشكل - من جاذبيّة هذه الديانات (الإسلام و المسيحيّة و اليهوديّة) و النسخ الأصوليّة لهذه الديانات بخاصة في هذه الفترة ، هو **إعادة تأكيد قويّة لتلك البطرياركيّة** . لماذا هناك شعور بالحاجة إلى هذا ؟ لأنّ البطرياركيّة تعرف تقويضا بطرق متنوّعة بفعل سير المجتمع نفسه . حتّى في البلدان أين لا تزال هناك تقاليد و عادات و أعراف بطرياركيّة صريحة و قويّة جدّا ، ينزع إجتثاث الناس و ما يصاحب ذلك من تغييرات إلى تقويض مظاهر من البطرياركيّة . يترك الناس – أو يضطرّون إلى ترك – الريف بأعداد كبيرة و يتوجّهون إلى المناطق المدينيّة ، غالبا إلى مدن الصفيح : أسر تهاجر من الباكستان إلى لندن و من مصر أو تركيا إلى ألمانيا و من الجزائر إلى فرنسا – و تواجه ثقافة مختلفة جدّا . و المسألة ليست الإعتذار أو مدح المجتمع البرجوازي أو **أشكاله** لإضطهاد النساء و إنّما في بعض المظاهر الدّالة ، هذا مختلف جدّا في هذه البلدان الإمبريالية " المعاصر " عنه في البلدان حيث العلاقات و التقاليد الإقطاعيّة أو بقايا هذه العلاقات و التقاليد تواصل في ممارسة تأثير هام و حيث إلى جانب ذلك ، الهيمنة البطرياركيّة أكثر سفورا و تجذّرا بشكل تقليديّ . و من المهمّ التشديد على : **بشكل تقليديّ** . لذا، في هذه الظروف ، الآباء الذين لديهم السلطة المطلقة داخل الأسرة ، فجأة يجدون أنّ بناتهم أصبح من الأعسر التحكّم فيهنّ . و مراقبة تصرّف البنات أحد أهمّ أدوار الأب في هذه العلاقات الأسريّة البطرياركيّة (بالرغم من أنّ الأب عامة تساعده زوجته أو عادة أمّه – حماته- في النهوض بدور هام كفارض لها) (21)

(21- لاحقا في هذا النقاش ن سأعود إلى مسألة كيف يقع ترميزه في الكتابات المقدّسة الدينيّة).

ببعض الطرق يشبه هذا ما حدث حينما يحصل الناس في المناطق الريفيّة في البلدان الإمبرياليّة على الأم تى في والأنترنت . فجأة الأبناء لا يريدون مواصلة التصرّف بالطرق المتوقّعة منهم تقليديّا – أو على ألقلّ بعضهم لا يفعلون – و ينشأ عن هذا الكثير من الصدام داخل الأسرة ، حتّى في " بلد معاصر متقدّم ". حسنا ، تصوّروا الناس ينتقلون من الجزائر إلى فرنسا – إنّها ثقافة مختلفة تماما و أشكال مختلفة جدّا من العلاقات الإجتماعيّة الإضطهاديّة . ليس ألمر انّ في هذه البلدان الإمبرياليّة العلاقات الإجتماعيّة ليست إضطهاديّة لكن بطرق لها دلالتها تحدث بشكل مختلف يقع وفقها إضطهادهنّ و إهانتهنّ .

كلّ هذا محتدّ للغاية لأنّه إلى درجة لها دلالتها الطرق التي تضطهد بها النساء في بلد مثل فرنسا أو الولايات المتّحدة تبدو لا سيما بالنسبة إلى أناس قادمين من إطار تقليديّ و كأنّها تشتمل على " حرّية أكثر من اللازم ". النساء لا يتمّ التحكّم فيهنّ بنفس الطرق جميعها و ليس مطلوبا منهنّ إرتداء الثياب التقليديّة بالطريقة ذاتها و لا التصرّف بالطريقة " المتواضعة " نفسها . في الواقع ، هذه " الحرّية " التي تتمتّع بها النساء جزء من شبكة مختلفة من العلاقات الإضطهاديّة التي عادة ما تتّخذ تعبيرا متطرّفا في حدّ ذاتها . فالبرنوغرافيا الليّنة و الصلبة منتشرة أينما ولّينا وجوهنا . و الإشهار إلى درجة كبيرة يعتمد على إستخدام الجسد الأنثويّ لبيع السلع – و الجسد الأنثويّ عينه هو بطرق واسعة الإنتشار و مهيمنة جدّا يتمّ التعاطى معه كسلعة . و من ثمّة ، الأقطاب المتعارضة مرّة أخرى تنزع إلى تعزيز بعضها البعض لم يتشرّبوا الثقافات التقليديّة الرئيسيّة ينظرون إلى هذا الإنحطاط الإستغلالي و يقولون لتبريره : " هذا رهيب . لا أريد أن يتعرّض أبنائي لهذا ." و بوجه خاص ، إذا كنتم تنحدرون من إطار تقاليد بطرياركيّة ، لا تردعون كلّ هذا بل إنّكم تنزعو إلى التأكيد بأكثر قوّة للسلطة البطرياركيّة .

و حتّى إن لم يغادر الناس من العالم الثالث أوطانهم مغادرة تامّة و يهاجروا إلى بلد إمبريالي – حتّى عندما بدلا من ذلك ، ينزحون إلى المناطق المدينيّة داخل بلدهم الخاص – فإنّ هذه المناطق المدينيّة من بلدان العالم الثالث مختلفة جدّا بطرق لها أهمّيتها عن الريف. نمط الحياة في مدن الصفيح مغاير جدّا بما في ذلك تقلّبه مقارنة بالوضع في القرى الريفيّة . في هذه الأوضاع يمكن أن يوجد إنجذاب قويّ لشكل من الدين يؤكّد بقوّة السلطة البطرياركيّة التقليديّة و يُعزّز تلك البطرياركيّة بقوّة ما فوق الطبيعة .

ثمّ ، بشكل أعمّ ، في عالم يبدو زاخرا بالشكّ و ما هو غير متوقّع ، و يبدو مهدّدا بعدّة أشكال – إقتصاديّا لكن ليس إقتصاديّا فحسب (فجأة في الولايات المتّحدة ، لدينا أحداث 11 سبتمبر على سبيل المثال) – هناك نزعة قويّة لدى الناس المنحدرين من إطار بطرياركي مركّز بداية نحو الشعور بالنزوع نحو الدوران حول وجه أبويّ قويّ سيحميهم. و هذا شيء في الولايات المتّحدة يتلاعب به جورج بوش و المحيطين به عن وعي : " أنا رئيس زمن الحرب " ، هذا ما يردّده بإستمرار بوش بتبعات : " أنا الأب الأكبر ، الوجه الأبويّ الكبير و القويّ الذى يمكن أن يُبقيكم في أمان – فقط إذا إتّبعتمونى ". و في الوقت نفسه ، يجرى تشجيع نظرة أصليّة دينيّة لتوطيد ذلك .

و هكذا هذه طريقة أخرى يتمّ من خلالها تأكيد شكل آخر من البطرياركيّة ، وسط الشكّ و الوضع المتقلّب و الشعور بأنّ هناك مخاطر مستمرّة و إن كانت عادة ضبابيّة . هذا الشعور ليس ببساطة عفويّا ذلك أنّه يجرى تشجيعه و تعزيزه في كلّ مرّة تنظرون حولكم . إذا نظرنا في الأنباء ، في أيّ مكان من الولايات المتّحدة ، ما الذى نشاهد ؟ الجريمة ، الجريمة ، الجريمة . و من هذا ستفكّرون أنّكم في وضع من يتوقّع الهجوم الداهم عليه من قبل شخص في كلّ مرّة تتجاوزون فيها عتبة منزلكم – حتّى و إن كان إحتمال المواجهة العمليّة للجريمة مباشرة أو شخصيّا متقلّص جدّا إذا كنتم من الفئات الوسطى في بلد مثل الولايات المتّحدة . لكن السدّ المستمرّ من " الأنباء " عن الجرائم المعزّز ب " الترفيه" يدور إلى درجة كبيرة جدّا حول الموضوع نفسه ، ينضاف إلى هذا الشعور العام بجرس الخطر . و في المجتمع المتجذّر في تقاليد آلاف السنوات من السلطة البطرياركيّة القويّة ، ما هو السبيل للشعور بالحصول على بعض الأمان ؟ مجدّدا ، التعويل على شخصيّة الأب الكبير القويّ المستخدم لأسلحة كبرى لتولّى حمايتهم – وهو الذى سيقبض على " من يمثّلون الشرّ " هناك قبل أن يصلوا إليكم .

لكن مجرّد تقديم شخصيّة ألب القويّ في شكل **إنسانيّ** ليست كافية بالنسبة إلى عديد الناس لذا ناك تأكيد عدوانيّ لشكل حتّى أكثر تطرّفا و إطلاقيّة من شخصيّة الأب ، في صورة إلاه عالم بكلّ شيء و يرى كلّ شيء و لا حدود لقوّته - لمن ينظر و يتثبّت رأس الدولة الويّ يمثّله و بإسمه يتحدّث و يتصرّف .

و بُعدٌ كبير آخر للطريقة التي يتمّ بها تهديد البطرياركيّة و التي بها يشعر الناس بالتهديد هي كامل مسألة المثليّين الجنسيّين. ففى الولايات المتّحدة الآن بالذات تُطرح المسألة بالأخرى بحدّة . ليست مسألة أنّ شيئا من زواج المثليّين في حدّ ذاته سيُقوّض البطرياركيّة و يحطّمها . طالما ظلّت الأشياء في حدود نظام مبنيّ على الإستغلال و الإضطهاد ، فإنّ العلاقات البطرياركيّة ستؤكّد نفسها ضمن الزواج المثليّ أيضا – و هذه بعدُ هي الحال في عديد العلاقات المثليّة ، حتّى أين ليس هناك إعتراف شكليّ كزواج رسميّ . لكن ، في هذا الظرف ، ـاكيد الحقّ في الزواج بالنسبة للمثليّين و المثليّات ، يُطرح بطرق لها بعض الدلالة تحديا جدّيا للبطرياركيّة التقليديّة .

و في حين أنّ الصوليّين المسيحيّين ،من رئيس الولايات المتحدة إلى أدنى ، بصورة متكرّرة يشدّدون على أنّ الكتاب المقدّس يأمر بأن يكون الزواج فقط بين رجل و امرأة ، ليس الأمر بتاتا أنّ الكتاب المقدّس يقدّم الأشياء بإستمرار على هذا النحو . في الواقع ، جوزاف سميث ، مؤسّس ديانة المرمونيّين و وريثه بريغمان يونغ و كذلك الأصوليّون المرمون اليوم ، يملكون الكثير من ألدلّة على زعمهم أنّ بالأخصّ تعدّد الزوجات (للرجل أكثر من زوجة) مبرّر في عديد المواقع في الكتاب المقدّس .

فإذا نظرنا في" أخبار الأيّام الأوّل " الأوّل و الثاني اللذان يعرضان كافة الممالك المعتبرة عظيمة (وكذلك الممالك السيّئة) لإسرائيل و ياهودا ، سترون أنّ أعظم الملوك إطلاقا ، داوود كان متزوّجا بأكثر من زوجة و فضلا عن ذلك كان يملك مئات النساء التسرّى . و الآن ، لنكن واضحين . **لا** تقع إدانة داوود لهذا في الكتاب المقدّس . في الواقع ، يقدّم كلّ هذا كجزء من عظمته و عظمة الطبيعة التي يدافع عنها و تُمدح في الكتاب المقدّس . و ناظرين مرّة أخرى في الأنساب التي تحدّثت عنها قبلا (التي ترسم في متّى نسب المسيح) ، هذه الأنساب تمضى من إبراهيم إلى داوود و من داوود نزولا إلى المسيح – و مرّة أخرى ، نقطة كافة هذه الأنساب هي إرساء أنّ خطّ المسيح ينحدر من داوود الذى وفق الكتابات المقدّسة اليهوديّة القديمة (من العهد القديم من الكتاب المقدّس المسيحيّ)، كان أمرا ضروريّا بالنسبة لرسالة المسيح المنتظر. لذا ، بالكاد يعدّ داوود شخصيّة سلبيّة في الكتاب المقدّس – بالعكس ، يجرى مدحه مدحا كبيرا . و سليمان ، إبن داوود ، هو كذلك شخصيّة ممدوحة في الكتاب المقدّس ، كان متزوّجا من مئات الزوجات و كانت لديه خليلات أيضا . و إبراهيم هو أيضا ، كانت لديه أكثر من زوجة – و عندما كانت زوجة إبراهيم على ما يبدو عاقرا ، " نكح " خادمة زوجته لإنجاب ولد . و مثلما نرى ذلك في فر التكوين 29 و 30 ، بطريارك بارز آخر في الكتاب المقدّس ، يعقوب هو أيضا " نكح " خادمة زوجته في ظروف مماثلة ؛ و كانت ليعقوب أكثر من زوجة في الآن نفسه . و في سفر التثنية ، إلى جانب تقديم كيف أنّه في الحرب ، " وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، وَالْتَصَقْتَ بِهَا وَاتَّخَذْتَهَا لَكَ زَوْجَةً، "

يمكنك القيام بذلك و هناك نقاش امل لما يجب أن يحصل

" إِذَا كَانَ لِرَجُل امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، "

(أنظروا سفر التثنية ، 21: 11-15 و 16-17)

لكن كما لمسنا الأصوليّون المسيحيّون الفاشيّون لا يتبنّون حقّا و بصرامة حرفيّة الكتاب المقدّس – هم أيضا يمارسون " مسيحيّة منضدة أنواع السَلَطَة " حينما يخدم ذلك أهدافهم . و يتلاعبون بما يقال في الكتاب المقدّس حينما يخدم ذلك أهدافهم.

الآن ، في معارضتهم للزواج المثليّ و الطرق الى يرونه بها على أنّه تهديد للبطرياركيّة ، أخرجوا القول التالي : " خلق الإلاه آدم و حوّاء و ليس آدم و ستيف " . حسنا ، الواقع هو أنّ الإلاه لم يخلق لا آدم و لا ستيف **أو** آدم و حوّاء .[ضحك] جاء البشر إلى الوجود كجزء من سيرورة عامة من التطوّر الطبيعي يعود إلى الماضى طوال مليارات السنوات من تاريخ الحياة على كوكب الأرض . و في تاريخ البشريّة ، وُجدت أنواع متباينة من المجتمعات و عديد العلاقات و الممارسات الجنسيّة المتباينة ، الإستغلاليّة منها و غير الإستغلاليّة ، تبعا في نهاية المطاف للطبيعة الأساسيّة للمجتمع . و تكشف دراسة المجتمع الإنساني عبر التاريخ تنوّعا كبيرا جدّا من العلاقات الجنسيّة ، علاقات بين الرجال و النساء و علاقات مثليّة . ففي المجتمع اليونانيّ القديم الذى عاش فيه أفلاطون و أرسطو، كان المجتمع نهائيّا مجتمعا بطرياركيّا ، طوال الوقت يقيم رجل - " رجل كرجل حقيقيّ "- علاقات جنسيّة مع رجال آخرين و أطفال . نقطتى ليست التشجيع على مفهوم " رجل كرجل " أو أيّ صنف من " الرجولة " بمعنى التفوّق و الهيمنة الذكوريّين . ما نحتاج إليه هو أن يؤكّد الناس – نساء و رجالا أيضا – إنسانيّتهم و يعبّروا عنها و فضلا عن ذلك أن يبحوا من **محرّري الإنسانيّة** و يصارعوا ليلغوا في نهاية المطاف كافة علاقات الهيمنة و الإضطهاد و الإستغلال . نقطتى هي تحديدا التشديد على أنّه لا مشكل مع العلاقات الجنسيّة بين الرجل و المرأة أو العلاقات المثليّة ، وهي في حدّ ذاتها ليست لا إيجابيّة و لا سلبيّة أو بطريقة ما أكثر أو أقلّ " طبيعيّة ". و كذلك لا تمثّل العلاقات الجنسيّة بين الرجال و النساء أو المثليّة في حدّ ذاتها لا تجسيدا للبطرياركيّة و لا إنكارا لها . بالأحرى ، المسألة الأساسيّة هي **مضمون** أيّة علاقات حميميّة و جنسيّة : هل تجسّد و تشجّع المودّة و الإحترام المتبادل و المساواة بين الشريكين – و تساهم في تحقيق المساواة بين الرجال و النساء – أم تمثّل و زيادة على ذلك تساهم في إهانة الناس و إضطهاد النساء بشكل خاص ؟ لكن في مجتمع كانت فيه البطرياركيّة عنصرا أساسيّا و محدّدا ، حتّى القطيعة مع **الأشكال الأكثر تقليديّة** من البطرياركيّة – بما في ذلك رفع طلب المساواة الرسميّة للعلاقات الجسيّة المثليّة – في ظروف معيّنة كما هو الحال حاضرا ، يمكن أن تطرح تحدّيا جدّيا للعلاقات التقليديّة و الإضطهاديّة حتّى بينما عديد الأفراد المنخرطين يحاولون ببساطة إقامة زواج تقليديّ. هذه سخرية من سخريات الوضع و تعقيد من تعقيداته .

و الواقع هو أنّ معارضة زواج المثليّين ليست مجرّد حيلة إنتخابيّة للحصول على أصوات للمزيد من الجمهوريّين . أجل ، بعض المسؤوليّين في الحزب الجمهوريّ إستخدموا هذا الموضوع على هذا النحو لكن المعنى أعمق بكثير من ذلك و له إنعكاسات أكبر . و الهدف الحقيقي للمسيحيّين الفاشيّين بشأن زواج المثليّين و إدانتهم للمثليّة الجنسيّة عامة هو تأكيد " الأخلاق التقليديّة " و كافة العلاقات الإضطهاديّة المتجسّدة في و المفروضة من قبل الأخلاق التقليديّة – بما في ذلك البطرياركيّة و إضطهاد النساء و الوضع التبعيّ للنساء في المجتمع و دورهنّ الأساسي كما يقدّمه الكتاب المقدّس ، كمربّيات للأطفال ضمن إطار علاقات الزواج التي يُهيمن عليها الذكور ،و قد صادقت عليها ليس الكنيسة فقط و إنّما أيضا الدولة .

كلّ هذا متجذّر عميقا غير أّن المعنى الحقيقي اليوم يتعرّض للتحدّى في كلّ ركن . و هذا ليس بعدُ على النحو الذى سيؤدّى إلى إلغائه بل على نحو يقوّض بعض الأشكال التقليديّة . و الهجوم المسيحيّ الفاشيّ بهذا المضمار هو إعادة تأكيد قويّة و إطلاقيّة لهذه العلاقات الإضطهاديّة .

و قد وجد هذا تعبيرا حادا له في النزاع حول تنشأة الأطفال : كيف يجب أن تكون العلاقات صلب الأسرة بين الأطفال و الأولياء ؟ بهذا الصدد كذلك ، هناك إعادة تأكيد بقوّة للبطرياركيّة . و ضمن الأصوليّين الدينيّين في الولايات المتّحدة هناك تيّار محدّد يكّد على أحد الأسباب الأساسيّة (و مظهر من أهمّ مظاهر) واقع أنّه بنظرتهم البلد يمضى إلى الجحيم لعدّة عقود الآن فالأولياء لم يستطيعوا أن يضربوا أطفالهم بحرّية كبيرة . فبعد كلّ شيء ، ما الذى يدافع عنه الكتاب المقدّس ؟ ثمّة مقولة معروفة في الكتاب المقدّس ". إذا لم تؤدّب إبنك بالعصا سيفسد " (أو كما يقال حرفيّا في الآيات 23: 13-14 من "الأمثال" : التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا ١٣ لا تمنَع لاَ يَمُوتُ .١٤ تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَاوِيَةِ .) هذا ما يروّج له بنشاط عديد القادة الأصوليّين المسيحيّين .

و هنا عليّ أن أقول إنّه بقدر ما أحبّ رتشارد برايز ، فإنّي لم أتمتّع أبدا ببرامجه الفرعيّة التي تبدو في آخر التحليل مدافعة عن ضرب الأطفال لإبقائهم على الطريق القويم . و قد عُولج هذا بشكل متناقض نوعا ما في البرامج الفرعيّة التي أنجزها حول هذا الموضوع لكن يبدو أنّ هناك دائما عنصر معيّن من إستخلاص درس أنّه " فوق كلّ شيء – عندما كان جدّي يضربنى بقطعة حديد ، كان ذلك لإبقائي بعيدا عن الخروج عن الطريق القويم ". على أيّ حال ، مشاعر كهذه نجد صداها حتّى ضمن أناس هم بعديد الطرق متقدّمين سياسيّا و ثوريّين ذهنيّا ؛ حتّى ضمن مثل هؤلاء الناس ، سيستمع المرء إحيانا إلى الشكوى : الأشياء مضطربة كلّها الآن لأنّنا لم نعد نستطيع ضرب أطفالنا ، لم نعد نستطيع إخراج قطعة الحديد كما كانت تفعل الجدّة و تضرب الأطفال لتعيدهم إلى الطريق القويم و ليسلكوا سلوكا حسنا ". و يجب قول إنّه حتّى كما هو الحال بالنسبة إلى رتشارد برايز ، قد تكون أحيانا الجدّة هي التي كانت تستخدم قطعة الحديد و هذا يحدث كجزء من التأكيد الشامل للعلاقات المتميّزة بالهيمنة البطرياركيّة – العلاقات التي تكون فيها شخصيّة الأب القويّ السلطة النهائيّة في توجيه عقوبة

للأطفال و البنات خاصة ، و تضمن أن تظلّ عذراوات كي تتحقّق قيمتهنّ كملكيّة زمن الزواج و لا تنقص أو تفسد . و يتجسّد هذا تماما في التقاليد المسيحيّة ، في جميع جوانبها مثلما في التقاليد الإسلاميّة ما يؤدّى إلى أهوال " جرائم الشرف " حيث أعضاء من الأسرة و الإخوة بوجه خاص يرسلون لقتل أخواتهم إن صار معلوما أنّهنّ لم تعد عذراوات قبل الزواج – حتّى و إنّ حصل ذلك نتيجة إغتصاب . و بينما في حدّ ذاته ليس ضرب الأطفال تعبيرا متطرّفا عن ذلك ، فإنّه (" إذا لم تؤدّب إبنك بالعصا سيفسد ") جزء من حزمة العلاقات البطرياركيّة الإضطهاديّة .

و لكن واضحين : الأطفال إناثا كانوا أم ذكورا و بشكل عام ، لا يجب النظر إليهم و معاملتهم كملكيّة لأوليائهم و لأبيهم بخاصة . هذا ليس العالم الذى نهدف إليه ، ليس العالم الذى يستحقّ الحياة فيه . هكذا كان الأمر لآلاف السنوات و قد تجسّد هذا في و شجّعت عليه الكتابات المقدّسة و التقاليد الدينيّة لكن ليس هكذا كيف نريد أن يكون العالم ، و ليس هكذا يحتاج أن يكون . أجل ، يحتاج الأطفال إلى الإنضباط غير أنّهم لا يحتجون للتعرّض إلى الضرب بقطع حديد أو بقضيب حديديّ لجعلهم ينضبطون و يتّبعوا الطريق القويم . يحتاجون إلى أن يقادوا – و إلى من يُلهمهم و أجل ، أحيانا ، إلى من يأخذ بيدهم بصرامة – كجزء من النظرة و الهدف الشاملين لإيجاد عالم مختلف راديكاليّا و أفضل بكثير . و مع تقدّمهم في السنّ و في وعي هذا الهدف و تمكّنهم من القدرة على التصرّف بوعي للمساهمة في تحقيقه ، بوسعهم أن يصبحوا بصفة متصاعدة جزءا من هذه السيرورة . لكن حتّى قبل تمكّنهم من الوعي كجزء من هذا ، المبادئ المطبّقة على إيجاد مثل هذا العالم ينبغي أن تطبّق بالمعنى الجوهريّ في علاقة بالأطفال – أطفالنا و أطفال الآخرين . الأطفال بشر واعون حتّى ووعيهم في سيرورة تطوّر . يمكن أن و يحتاجون أن يعاملوا معاملة معقولة و أجيا ، أحيانا ، يجب أن نقول لهم " هكذا هو الأمر و عليكم ببساطة القيام بهذا على هذا النحو لأنّ القدرة على فهم هذا و لماذا يجب أن يكون ذلك كذلك تتجاوزكم في الوقت الحاضر ".

و الآن في الوقت نفسه ، ليس من العسير رؤية لماذا يحوم عديد الناس حول " إذا لم تؤدّب إبنك بالعصا سيفسد " – حول منطق إذا لم تضربوا الأطفال ليبقوا على الطريق القويم ، سيتحوّلون على أشخاص سيّئين – لأنّ هناك كافة أنواع الأشياء التي تدفع الأطفال إلى إتّجاهات فظيعة . و بالخصوص ضمن أقسام من ط الطبقة الوسطى " لا سيما في بلدان كالولايات المتّحدة ، هناك مقاربة كاملة للتسامح مع الأطفال – يمكن أن تكون أقلّ دوافعا إنسانيّة في بعض الحالات لكنّها في الواقع مرتبطة عموما وهي في آخر التحليل تعبير آخر عن التعاطى مع الأطفال على أنّهم سلع يجب تدليلها و التسامح معها كجزء من إعطائها فرصا و ميزات في السباق لبلوغ موقع إمتيازات في المجتمع ، في إطار الطفيليّة العامة التي هي جزء من الحياة في بلد إمبريالي قويّ . و هنا أتحدّث عن ظواهر كمشروع الأولياء في جعل الأطفال الحديثيّ الولادة (أو حتّى الجنين خلال الحمل) يستمعون إلى سنفونيّات موسيقيّة لا سيما إذا أقيم هذا بفكرة أنّه على هذا النحو ستكون للطفل منذ نعومة أظافره فرصة أفضل للتطوّر ك " موهبة " أو ك " عبقريذ "- سيقدر على أفلتحاق بأفضل الأكاديميّات الموسيقيّة أو أشهر الجامعات و سينطلق في مهنة مدرّة لكثير من المال . و عادة تسامح الولياء مرتبط ب – و يبحث عن أن يكون في خدمة – ذلك .(22)

(22- بينما أختلف مع جورج كارلن في عدّة أشياء هذه الأيّام ، لدي نقطة إلتقاء معه لمأّا يتحدّث عن التسامح المبالغ فيه مع الأطفال . لديه برنامج فرعيّ يبتدأ بهذا المدّ و الجزر (كافة الأصوات لكارلن نفسه) : أودّ أن أقول شيئا حول الطريقة التي يربّى بها الناس أطفالهم " ، " لن يقول شيئا سيئا عن **الأطفال** ، أليس كذلك ؟ " ، " اج ، سيفعلها " . و لهذا صلة ما بنوع من " الفكر الإنتقامي من الطبقة العاملة " الضيّق الأفق تجاه الشباب المحترفين الذى غالبا ما يعبّر عنه كارلن . غير أنّه ثمّة نقاط يسجّلها صالحة بشأن التسامح المبالغ فيه – و هذا ، مرّة أخرى ، مغلّف بنظرات تبادل سلعيّ مطبّقة على العلاقات المتّصلة بالأطفال و أوليائهم .)

و كنوع من ردّ الفعل على هذا الصنف من التسامح - لكن أكثر ردّا على هذا الصنف من الجنون الذى سقط فيه أيضا الكثير من الشباب في الأحياء الداخليّة للمدن – الكثير من الناس ضمن المجموعات المضطهَدَة ينظرون حولهم و يرون الأطفال يتصرّفون بجنون و يقومون بكافة أنواع الأشياء الجنونيّة و يندفعون إلى إستخلاص أنّ شيئا قويّا يجب فعله لجعل هؤلاء الأطفال يتصرّفون تصرّفا قويما . و يغدو هذا عاملا آخر من عوامل تعزيز دور الكنيسة و الدين . ما هما البديلان الأبرز المتوفران أمام الناس الأكثر إضطهادا الآن بالذات فى الولايات المتّحدة ؟ حسنا ، هناك من ناحية العصابات بما يرافق ذلك من كلّ الجنون و الفوضى ؛ أو الكنية من الناحية الأخرى ، بتأكيد للقيم و العلاقات و التقاليد و العادات التقليديّة الإضطهاديّة و أجل البطرياركيّة . و بالنسبة إلى الشباب خاصة : لمّا لمّا ينالك التعب من العصابات تتوجّه إلى الكنيسة و لمّا تسأم الكنيسة، تعد إلى العصابات . لا يوفّر و لا واحد من الإثنين سبيلا للتقدّم بالنسبة للجماهير الشعبيّة ، سبيلا للخروج من الظروف الإضطهاديّة التي تدفع في المصاف الأوّل بالعديد من الناس على الكثير من الجنون .

و هنا مجدّدا نعثر على تمظهر حاد آخر للحاجة إلى " الإختراق من الوسط ". بالضبط مثلما على مستوى آخر ، ليس ممكنا السماح للجهاد و ماك العالم / ماك الحملة الصليبيّة بأن يكونا البديلين الوحيديّن و هنا أيضا ثمّة حاجة ملحّة إلى التقدّم ببديل

مختلف راديكاليّا ، على أساس النظرة الشيوعيّة إلى العالم و البرنامج و الأهداف الشيوعيّة . من الضروريّ أن نقول للناس بجرأة " لا تحتاجون إلى الكنيسة ، لا تحتاجون إلى قطع حديديّة ، لا تحتاجون إلى القضيب الحديدي و تحتاجون إلى العصابات و المخدّرات – **تحتاجون و نحتاج إلى ثورة** ".

أجل ، هذا طريق صعب . لكن ما هو الشيء الذى يموت الناس و يقتتلون من أجله الآن ؟ و ماذا يخدم ذلك ؟ ماذا يُعزّز ؟ إلى أين يقود الناس ؟ ما الجيّد الذى يفعله ذلك لأيّ كان – بإستثناء أولئك الذين يحكمون الجماهير الشعبيّة و الذين لم يستطيعوا أن يكونوا أسعد من رؤيتهم يتقاتلون بشأن شيء لا يستحقّ ذلك؟ و ما الجيّد الذى يقدّمه للجماهير الشعبيّة الركوع و السجود لسلطة إضطهاديّة و بطرياركيّة لها رهبة و هالة ، قوّة مفترض أنّها ما فوق الطبيعة و تعمل كقيود تعزّز ظروف الإستعباد و فقدان أيّة نفوذ ؟

حزام الكتاب المقدّس هو حزام القتل بوقا : العبوديّة و تفوّق البيض و الدين في أمريكا

لعدّة سنوات الآن ، كنت أفكّر في – و أتأمّل في تبعات – واقع أنّ ما يسمّى ب " حزام الكتاب المقدّس " في الولايات المتّحدة هو حزام **القتل بوقا**. هذه الأنحاء من البلاد حيث كان الدين الأصولي تاريخيّا الأكثر تجذّرا بقوّة و الأمر كذلك على اليوم ، هي كذلك أين وُجد تاريخيّا أكثر الإضطهاد عنفا و مُورس و بُرّر المرّة تلو المرّة باسم المسيحيّة . في أمريكا ، بكامل تاريخ إضطهاد البيض – بداية بالعبوديّة مرورا بأشكال متنوّعة وصولا إلى يومنا هذا – الدفاع عن التقاليد و الأخلاق التقليديّة و التأكيد على الطاعة العمياء للسلطة ينحو إلى المضيّ اليد في اليد مع تفوّق البيض و مع التفوّق الذكوريّ أيضا .

و تُثار مسائل بهذا الصدد : هل هذا مجرّد ترابط عرضيّ – بين حزام الكتاب المقدّس و حزام القتل بوقا – أم هل أنّ هذا شيء أعمق في جذوره و مترابط ترابطا نسبيّا ؟ و إن كان الحال هو الأخير ، ما هي الجذور التاريخيّة و الماديّة لهذا الترابط بين حزام الكتاب المقدّس و حزام القتل بوقا و بين الأصوليّة المسيحيّة و تفوّق البيض في تاريخ الولايات المتّحدة ؟

من الأحداث المفاتيح و المنعرجات في علاقة بكلّ هذا ما جدّ في أعقاب الحرب الأهليّة ، مع الإنقلاب على و خيانة إعادة البناء في جنوب الولايات المتّحدة . لنراجع بإقتضاب هذه المرحلة الحيويّة : طوال عقد من الزمن إثر الحرب الأهليّة ، من 1867 إلى 1877، ظلّت الفيالق الفيدراليّة التي غزت الجنوب هناك لتفرض تغييرات كانت تحدث عبر تعديلات في الدستور و سياسة الحكم عامة . و وُجد لفترة زمنيّة قصيرة جدّا ، ليست مساواة و إنّما تقدّم حقيقيّ بالنسبة لجماهير العبيد السابقين و حتّى بالنسبة لبعض الفقراء ضمن البيض . و قد شمل ذلك ما كان حينها بعدا حيويّا : الحصول على الأرض . ليست كلّ الأرض التي وُعد بها العبيدالسابقون الذين قاتلوا إلى جانب القوّات الإتّحاديّة خلال الحرب الأهليّة (40 هكتار الشهيرة و بغل التي تحيل عليها أفلام سبايك لي) بل بعض الأرض التي حصل عليها عبيد سابقون و كذلك بعض المزارعين البيض الفقراء . و حتّى و إن كانت بعدُ تحت هيمنة البرجوازيّة و ضمن هيكلة العلاقات البرجوازيّة ، هناك عدد من الحقوق الهامة التي توسّعت لتشمل العبيد سابقا و التي بداهة لم توجد في ظلّ العبوديّة – بما فيها حقّ الإنتخاب . و نتيجة لهذا ، هناك عدد من السود الذين إنتُخبوا كموظّفين رسميّين أثناء هذه الفترة القصيرة بالذات في ولايات الجنوب . (23)

(23- الولايات المتّحدة بلد غريب – العلاقات الإضطهاديّة في هذا البلد إتّخذت بعض الأشكال الخاصة – و أذكر أنّي قمت ببعض الأبحاث بهذا الشأن قبل عدّة سنوات ، و إكتشفت أنّه لو كنت 1 من 16 أفريقي ، تُعدّ أسودا في بعض هذه الحسابات في الجنوب . و هكذا ، على أسس هذا التحديد ، وُجد شخص واحد (لا أزال أذكر إسمه ب-ب- أس بنشباك) أصبح ملازما حاكما في ولاية أثناء فتة إعادة البناء : تولّى أعلى الوظائف السياسيّة في الجنوب تولاّها شخص من جذور أفريقيّة (محدّدة على هذا النحو) ، إلى مدّة حديثة جدّا . لكن حتّى ببعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذا ، هذا إنعكاس للتغيّرات الناجمة عن الحرب الأهليّة و الفترة القصيرة جدّا من إعادة البناء).

لكن بعد ذلك ، البرجوازية المتمركزة في الشمال و قد وطّدت تحكّمها في البلاد بما في ذلك الجنوب ، إقتصاديّا و كذلك سياسيّا ، إحتاجت إلى مزيد التوسّع غربا فأرسلت الجيش الذى قاتل في الحرب الأهليّة (و ظلّ مقيما في الجنوب لعقد من الزمن عقب تلك الحرب) إلى الغرب لإنجاز المراحل النهائيّة من الغزو و الإبادة الجماعيّة ضد شعوب السكّان الأصليّين ، سرقة أراضيهم و دفع المتبقّين إلى محميّات كانت في الواقع محتشدات عسكريّة (24).

(24 – و إستخدمت هذه الفيالق العسكريّة الفيدراليّة خارج الجنوب نهاية إعادة البناء و عودة جماهير السود بوجه خاص إلى وضع الإستغلال بخبث و الترهيب على يد أصحاب المزارع الجدد منهم و القدامى و الكلو كلوكس كلان [المنظّمة الإرهابيّة] التي أنشأها ضبّاط كنفدراليّون سابقون بالجنوب و كانوا يبحثون عن الإنتقام للهزيمة التي مُنيوا بها في الحرب الأهليّة و عن إعادة تركيز " نمط الحياة الجنوبي ".

و إلى جانب هذا ، أتى التطوّر ضمن الجنوبيّين البيض ، تطوّر نزعة معيّنة من المسيحيّة و خاصة الأصوليّة المسيحيّة التي كانت تنظر إلى جنوب الولايات المتّحدة – و خاصة **البيض** في الجنوب – على أنّهم أناس مثل الإسرائيليّين القدامى ، قد إختارهم إلاههم ثمّ فقدوا تفضيله لهم و تعرّضوا لعقابه لهم . و عقابهم ، برأي هؤلاء البيض الجنوبيّين ، **ليس بسبب العبوديّة** بل بالأحرى لأنّهم لم يكونوا أقوياء بما فيه الكفاية في الدفاع عن نمط عيشهم – و الذى كان في الواقع قائما على العبوديّة . و الآن ، في رأيهم ، ستوجد إعادة تركيز لهؤلاء الناس كما وُجدت في ألزمان الماضية عندما حوّل الإلاه إختياره نحو شعب إسرائيل .

و ما صاحب هذا و ليس في الجنوب و حسب بل في الولايات المتّحدة ككلّ ، كان أنّ تاريخ الحرب الأهليّة كانت تجرى إعادة كتابته بصفة متصاعدة و كا يقع أساسا محو دور السود في هذه الحرب الأهليّة من الروايات التاريخيّة لهذه الحرب (و هذا شيء تكلّم عنه دافيد براين دافيس في كتابه " **رقّ لاإنسانيّ : صعود العبوديّة و سقوطها في العالم الجديد** " .) الواقع الأساسي لما كان إلى درجة كبيرة محور الحرب التي خيضت وقع حجبه و تمّ ذرّ الرماد عليه و تشويهه. و بالرغم من كون الحرب الأهليّة قد أتت نتيجة عوامل و دوافع معقّدة (الناس من الجانب الشماليّ لم يكونوا يقاتلون بسبب قناعة أخلاقيّة و حسب و إن وُجد العديد منهم الذين إندفعوا إلى القتال على أساس أخلاقيّ مناهض للعبوديّة ، و العديد الذين ألهمهم على سبيل المثال التمرّد ، على أنّه لم يكن ناجحا ، الذى قاده جون براون ضد النظام العبوديّ قُبيل بداية الحرب الأصليّة بقليل) ، النقطة الأساسيّة و الحيويّة للنزاع كانت – و صار بصفة متصاعدة واضحا أنّها كانت – مسألة العبوديّة . فمن جهة الشمال الذى أدّى إنتصاره إلى إلغاء العبوديّة ، الأمر المعنيّ أساسا كان واقع أنّ مصالح البرجوازية الصاعدة (المتمركزة في الشمال) كانت تدخل في تناقض عدائيّ أعمق و أحدّ مع النظام العبودي و ملاّكى العبيد في الجنوب . و إحتداد التناقض العدائيّ بين هذين النمطين من الإنتاج ، بين هذين النظامين من الإستغلال - الرأسمالي و العبودي – في الساس وُجد هذا النزاع ؛ و الواقع الذى أمسى بصفة متصاعدة أوضح ، كان أنّ للبرجوازيّة و نمط إنتاجها لم يكونا ليسيطرا دون الإلغاء النهائيّ للعبوديّة . و مع ذلك ، ثابتة هي الطبيعة المتناقضة للجانب البرجوازي في هذا النزاع (التي ضمن أشياء أخرى ، تمظهرت في الوقوف في نصف الطريق الذى قارب وفقه لينكولن إلغاء العبوديّة) ، لا مجال للشكّ في أنّ الموضوع المركزيّ و المحوريّ في الحرب الأهليّة كان العبوديّة .

لكن ، مرّة أخرى ، لا سيما بعد الإنقلاب على إعادة البناء ، إنطلقت عمليّة إعادة كتابة ذلك . " الحرب بين الولايات " مصطلح بات يحال عليه بصورة متزايدة . ثمّ ، أخذت تظهر إعادات تمثيل للمعارك المفاتيح في تلك الحرب التي صارت روايات مشيطنة لما كانت حوله : - الناس و بشكل طاغي البيض – كانوا يرتدون أزياء موحّدة رماديّة و أخرى زرقاء (ممثّلة الجنوب و الشمال) و يُعاد تمثيل المعارك المفاتيح (و لا يزال هذا متواصلا). و قد وجد هذا تعبيرا عنه حتّى في مجال الرياضة . عندما كنت صبيّا ، و لبعض الوقت بعد ذلك ، وُجدت اللعبة السنويّة لكرة القدم بين الرماديّين و الزرق ، مباراة زاخرة بالنجوم بين قدماء المعاهد من الجنوب ضد الآخرين من الشمال . و صارت الحرب الأهليّة طقوسيّة و قُلّصت تقريبا إلى نزاع غير عدائيّ صلب العائلة ، حتّى بينما وُجد الإستياء راسخا عميقا في صفوف أنصار الميز العنصري الجنوبيّين المعاد بناؤهم الذين ينظرون إلى الخلف طويلا إلى " عظمة " الكنفدراليّة و أيّام العبوديّة .عمليّا ، كان ذلك أكثر ضمن الناس في الشمال – أي البيض أنّ معنى التناقض العدائي قد تلاشى على نطاق واسع .

كانت إعادة كتابة التاريخ – و التغييرات الثقافيّة لإعادة الكتابة هذه – مرتبطة بالأصوليّة المسيحيّة التي كانت ممتدّة الجذور في الجنوب لكنّها إنتشرت – و هذه الأيّام بصورة متصاعدة يقع نشرها بنشاط- إلى كافة الأنحاء الأخرى من البلاد و ليس في المناط الريفيّة فحسب بل كذلك في ضواحي المدن و روابض المدن . و ما يمثّل سخريّة فظيعة و شنيعة هو أنّ هذه ألصوليّة الدينيّة نفسها يتمّ نشرها في أحياء داخل المدن أيضا و يتمّ الترويج إلها في صفوف السود خاصة من طرف وعّاظ دينيّون ذوى ذهنيّة بطرياركيّة و رجعيّون .

و تُقدّم الطريقة الى حدثت بها هذه الحرب الأهليّة على أنّها تراجيديا قوميّة ، هناك سخرية كبرى أيضا : في الواقع ، الحرب الأهليّة على نطاق أكبر بكثير من حرب الإستقلال الأمريكيّة لها مضمون تحرّريّ حقيقيّ ، من جهة الشمال . و حتّى و إنّ كان هذا تحت قيادة البرجوازيّة و أوقف في نهاية المطاف ضمن حدود العلاقات البرجوازية ، الحرب الأهليّة هي آخر حرب من جهة الطبقة الرأسماليّة للولايات المتّحدة التي يمكن شرعيّا أن تعتبر عادلة و حتّى عظيمة . وهي الحرب الوحيدة التي يخجلون منها . [ضحك] لهذا نستمع بصفة متكرّرة عن التراجيديا الفظيعة " للقتال بين الإخوة " .

حسنا ، لا أظنّ انّ العبيد كانوا ينظرون لها على هذا النحو – لا أعتقد أنّ 200 ألف من العبيد الذين حين سُمح لهم بذلك ، قاتلوا ببطولة ضمن الجيش الوحدويّ كاوا يفكّرون أنّهميقتلون " إخوتهم " عندما كانوا يقاتلون جيش الكنفدراليّة . و لا أعلم إن كانت فيالق بيض كثيرة في جيش الشمال التي توجّهت إلى المرعكة منشدة مديحا لجون براون فكّروا في أنّهم يقتلون " إخوتهم " . أعتقد أنّهم فكّروا في أنّهم يخوضون قتالا شرعيّا لوضع نهاية لشيطان لعين.

لكن كما يشاهد عبر عيون البرجوازيّة الحاكمة اليوم – و بالطريقة الى شكّلت بها أو سعت بها إلى تشكيل الرأي العام – كانت الحرب تراجيديا قوميّة فظيعة . و الحقيقة هي أنّها **خيضت** بثمن رهيب . ال600 ألق الذين ماتوا خلال تلك الحرب يمثّلون ما يساوى حوالي 6 ملايين إنسان نسبة إلى عدد سكّان الولايات المتّحدة اليوم . غير أنّه ، بالرغم من الثمن الحقيقيّ جدّا ، الناس الذين خاضوها وقتها - عمليّا من الجانبين ، لكن هنا أركّز على الذين كانوا على الجهة التحريريّة من الحرب، على الجهة المعارضة للعبوديّة – إعتقدوا أنّهم كانوا كانوا يقاتلون حربا شرعيّة ، حربا عادلة . و كان ذلك حقيقيّا بقوّة – لكن وقعت إعادة كتابته .

و في علاقة ليس بالحرب الأهليّة فقط بل كذلك بالظاهرة الأوسع و تفوّق البيض في أمريكا – و لماذا حزام الكتاب المقدّس هو كذلك حزام القتل بوقا – هناك تحليل في كتاب كفين فيليبس ، " **التيوقراطية الأمريكيّة : خطر و سياسات الدين الراديكالي و النفط و المال المقترض في القرن الواحد و العشرين** . " ففي الفصل الرابع ، " الدين الراديكاليّ : أمريكي مثلما هي أمريكيّة فطيرة التفّاح " ، يسوق فيليبس هذه الملاحظة : " الجنوب ... قبل وقت طويل قد تجاوز نيوانجلند كمنطقة مقبوض عليها في مصي بيّن و علاقة ملائمة مع الإلاه " (" **التيوقراطية الأمريكيّة** " ، ص 125) .

ما يتحدّث عنه فيليبس هو واقع أنّه بالعودة إلى جذور البلاد ، في نيوأنجلند وُجدت نزعة قويّة ضمن المعمّرين لرؤية أنّ إرساء موطنهم الجديد في أمريكا معبّر عن علاقة خاصة مع الإلاه و تكريس لإرادته . لكن طوال الفترة مذّاك تراجع إلى درجة كبيرة إلى الخلف في نيوأنجلند بينما أصبح أقوى بكثير في الشعور و راسخ لدي الجنوبيّين – و بهذا يقصد مجدّدا ، الجنوبيّين **البيض** (أو عدد كبير منهم). و هؤلاء الجنوبيّين يؤمنون بحماس بأنّ هذا ينسحب على كلّ من الولايات المتّحدة ككلّ و بالأخصّ على جنوب الولايات المتّحدة . و هكذا ، محيلا بمصطلح " الإستثناء الأمريكي " على مفهوم أنّ لأمريكا مصير خاص و مكانة خاصة ى مخطّط الإلاه و على التميّز بطيبة خاصة ، يواصل فيليبس : " صار الجنوب المنطقة الراية للإستثناء الأمريكي و ليس بالقليل من المزيج مع الإستثناء ... الجنوبيّ " (ص 125) . بكلمات أخرى ، في رأي الأصوليّين الدينيّين المتجذّرين في الجنوب و تقاليد الجنوب بما أنّ أمريكا عامة و الجنوب خاصة يتميّزان بهذا الإستثناء الخاص ، حينما تقوم الولايات المتّحدة بمغامرات عبر العالم و تقوم بما قد يُعدّ أعمالا شرّيرة ، يكون ذلك بالعكس جيّدا لأنّ لأمريكا خير خاص كامن فيها و في ما تفعله ، وهو في حدّ ذاته ...خير – إنّه يلقى مباركة خاصة و دعم خاص من الإلاه .

و يعرض فيليبس كيف أنّه غداة الحرب الأهليّة ، رغم أنّ الجنوب قد مُني بالهزيمة و انّ نظام العبوديّة قد أُلغي إثر افنقلاب على إعادة البناء " نهض الجنوب مجّددا " بمعنى البحث عن السلطة السياسيّة و التأثير داخل البلاد ككلّ . و في إرتباط بكلّ هذا ، يُشير فيليبس إلى ظهور أسطورة دينيّة أخذت تمدّ جذورها على نطاق واسع ضمن البيض في الجنوب ، مفادها أنّ للجنوب (ألبيض) عهد خاص مع الإلاه و كان محلّ هدف خاص وضعه الإلاه ألا وهو إعادة تركيز الجنوب في مكانته الخاصة ، ماحيا الخطأ الفظيع الذى حصل عبر الحرب الأهليّة .و يعقد فيليبس مقارنة جدّ مفيدة و معبّرة بين البيض الجنوبيّين في الولايات المتّحدة و المعمّرين البيض (الأفريكانيرز) في جنوب أفريقيا و كذلك البروتستانيّين في إرلندا الشماليّة و الصهاينة الذين اسّسوا و هم يحكمون دولة إسرئيل . حينما قرأت هذا ، لقي لدي صدى ذلك أنّ بصفة متكرّرة أذهلنى واقع أنّه عند الإستماع إلى أحد البروتستانيّين من إيرلندا الشماليّة ، أو أحد الأفريكانيرز أو إسرائيليّ (أو مستوطن إسرائيلي في الضفّة الغربيّة) ، يبدو أنّ جميعهم و بطرق معيّنة حتّى يردّدون بشكل بارز الشيء نفسه ، ليس فقط في ما يتّصل بنوع الحجج التي يصوغونها بل أيضا في موقفهم برمّته .

و يشير يليبس إلى أنّ كافة هذه المجموعات بما فيها الأصوليّين البيض الجنوبيّين ، يرون أنفسهم كأناس يعاد تركيزهم في علاقة مع الإلاه شرعيّة و عادلة – يعاد إرساء عهد مكرّسا و هم يتّبعون مصيرا خاصا حدّده الإلاه . (25)

(25- هنا ثمّة سخريّة ملحوظة في ما يتعلّق بالحكّام الصهاينة في إسرائيل بوجه خاص : ففي حين أنّ العديد منهم عمليّا علمانيّون ، يقيمون مع ذلك مطالبتهم بأرض فلسطين على أساس كتابات دينيّة مقدّسة . و كما تضع ذلك مزحة ، كانت رائجة فى إسرائيل نفسها : " معظم الإسرائيليّين لا يؤمنون بالإلاه لكنّهم يعرفون أنّه وعدهم بدولة إسرائيل **!** ")

و كما لخّص ذلك فيليبس سبب إبراز الحفنة النسبيّة تاريخيّا من ثقافات العهود مع الإلاه هو مواقف الكتاب المقدّس التي يتقاسمها دائما أناسهم : التشدّد الديني و التاريخ غير الآمن و إرادة إمضاء عهد مع إلاه العهد القديم ، إلاه الحرب من اجل

الحماية ".(" **التيوقراطية الأمريكيّة** " ، ص 128). و هذه الملاحظة الثاقبة من لدن فيليبس تنطبق على جنوب الولايات المتّحدة - على بيض الجنوب بوجه خاص – و تنطبق كذلك على الذين بصفة أوسع فى الولايات المتّحدة ينجذبون إلى الحرفيّة الأصوليّة كالمسيحيّة الفاشيّة . و يواصل فيليبس ليشدّد على أهمّية هذا فى عالم اليوم " لها صلة أقلّ مع بروتستانتيّي إيرلندا الشماليّة و جنوب أفريقيا و أكثر مع الولايات المتّحدة و خاصة بالجنوب . الإسرائيليّون و إلى درجة معيّنة الأمريكيّون قرّاء الكتابات المقدّسة يمضون فى طريق أن يكونوا آخر الناس العهد " . (128) و يسجّل فيليبس نقطة قارسة أنّ هذه النظرة و القيم المتناسبة معها تكسب رواجا و قوّة فى صفوف أعداد متنامية من الناس عبر الولايات المتّحدة بأسرها - و مرّة أخرى ، بسخرية مريرة ، يشمل هذا بعض المضطهَدين بأكثر مباشرة بفعل تفوّق البيض.

و مع الإنتشار المتزايد لهذه النظرة إلى العالم متجاوزة حزام الكتاب المقدّس فى الولايات المتّحدة و مع كسبها وزنا متزايدا داخل الطبقة الحاكمة للولايات المتّحدة ، فإنّها تضع آفاق حركة تفرض بالقوّة و العنف ، في الولايات المتّحدة و على الصعيد العالمي ، كلّ ما يذكّر بموطن العبيد و حبل القتل بوقا . و اليوم (مستخدمين مجدّدا صيغة لفيليبس) يتجسّد هذا في و يترافق مع القوّة التدميريّة ل " أمّة الكتاب المقدّس وقائيّة شرعيّة تصبح قوّة عظمى ذات تقنية عالية و مروّجة للدين " (" **التيوقراطيّة الأمريكيّة** " ، ص 103).

(26 – إلى جانب التحليل الهام و النظرات الثاقبة في كتاب كفين فيليبس ، " **التيوقراطيّة الأمريكيّة** " و كذلك في كتاب ، " **رقّ لاإنساني** " لدافيد براين دافيس ، توجد ملاحظات مفيدة جدّا بهذا المضمار في كتاب ، **" تعميد أمريكا "** للحِبر جايمس رودين و أيضا في خطاب في ماي 2005 لرجل الدين الأفريقي –المريكي الدكتور هوبارت لوك ، " **أفكار حول ردّ المدرسة الدينيّة للمحيط الهادي على اليمين الديني** ").

و يتحدّث دافيد براين دافيس في " **رقّ لاإنسانيّ** " (وهو أمر أشرت إليه في كتاب " **الديمقراطيّة : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** ") عن أنّه إلى جانب حجج أرسطو المبرّرة للعبوديّة ، من الأمور الأساسيّة التي يذكرها مدّاحو العبوديّة في جنوب الولايات المتّحدة و المدافعين عنها هو الكتاب المقدّس – و بالأخصّ قصّة كيف أنّ إبن نوح ، هامان تسبّب في غضب الإلاه حتّى انّ الإلاه قذف به إلى أفريقيا و وضع لعنة على ذرّيته ، بداية من إبنه كنعان – يتمّ إستحضاره بصفة متكرّرة لإصباغ طابع دينيّ للإستعباد الجماعي لأناس من أصول أفريقيّة في جنوب أمريكا . (27)

(27 – في زمن أحدث رأينا مجدّدا حججا تسعى إلى تبرير و تعزيز تفوّق البيض و تتعامل معها وسائل الإعلام البرجوازيّة و مؤسّساتها " السائدة " الأخرى بكثير من الإحترام . و كان هذا هو الحال مع " منحنى الجرس " على سبيل المثال – وهو كتاب نُشر و جرى الترويج له بعدوانيّة كبيرة في تسعينات القرن العشرين . في تقديم تبرير للعلاقات الإضطهاديّة عامة – و بالأخصّ ، تفوّق البيض - لم يعتمد الكتاب كثيرا على الكتابات المقدّسة لتبرير بل أسّس حججه على تبريرات علميّة زائفة لما يدّعى أنّها دونيّة فطريّة و تفوّق فطريّ لمجموعات متباينة .لقد حاجج بصراحة أنّ هناك دونيّة تقوم على الجينات لدى الناس من جذور أفريقيّة خاصّة في ما يتعلّق بالقدرات الفكريّة . و قد أُثير هذا لمعارضة برامج مثل الحركة الإيجابيّة و لكن كذلك بصفة أعمّ لتبرير علاقات اللامساواة و الإضطهاد و لتوطيد إيديولوجيا شوفينيّة البيض (العنصريّة) التي تتناغم مع الطريقة التي بها تفوّق البيض يُبنى في كامل التاريخ و التأسيس و المؤسّسات و الهياكل المهيمنة في مجتمع الولايات المتّحدة. و مع ذلك ، بصورة متصاعدة في هذه الأوقات في الولايات المتّحدة ، نشاهد الأصوليّة الدينيّة تقدّم كقاعدة إيديولوجيّة موحّدة لوجهات النظر و البرامج الرجعيّة الكثر سفورا و منها تفوّق البيض و التفوّق الذكوريّ).

لجميع هذه الأسباب التي تحدّثت عنها (و التي تسلّط عليها المواقف التي ذكرت لكفين فيليبس الضوء) ، لا محالة مرتبط بالأصوليّة الدينيّة في الولايات المتّحدة نظرا لكامل تاريخ هذه البلاد ، هناك مكوّن محدّد و بارز هو تفوّق البيض . و هذا صحيح موضوعيّا حتّى و إن لم يكن كلّ فرد وقع بين براثن هذه الأصوليّة الدينيّة واعيا بهذا الواقع .

و من جديد ، من السخريّات المريرة و الحادة في كلّ هذا هثمّة إنتشار الأصوليّة الدينيّة – إلى درجة كبيرة كآلة حربيّة لإعادة التأكيد القويّة للسلطة البطرياركيّة المطلقة – ضمن الذين هم الضحايا الأكثر مباشرة لتفوّق البيض . و إلى درجة تجذّر هذا في صفوفهم ، سيكون له تأثير ربطهم بأكثر صلابة إلى كامل السيرورة التي لن تشدّد كثيرا فقط من إضطهادهم بل ستكون لها أيضا تبعات إبادية جماعيّة لا سيما في وضع فيه بعدُ أعداد ضخمة من شباب أحياء داخل المدن + نسبة مئويّة عالية من شباب السود و عديد شباب اللاتينو كذلك - هي بعدُ في السجن أو متورّطة في" النظام القضائيّ المعنيّ بالإجرام " بشكل أو آخر .

و قبل العودة بأكثر مباشرة إلى تبعات الإبادة الجماعيّة هذه ، يجدر بنا أن ننظر في بُعد آخر فيها ، في تاريخ هذه البلاد ، كان تفوّق البيض يعزّز بصفة متبادلة مع الترويج للدين . في كتاب " **حين كانت الحركة الإيجابيّة حركة بيض : تاريخ لم**

يروَ من اللامساواة العنصريّة في أمريكا القرن العشرين " ، في مسار تحليل الطريقة التي بها الصفقة الجديدة [النيوديل] و السياسات المكرّسة قانون الجى أي ، و سلطة الإسكان الفيدراليّ و غدارة القدامى و ما إلى ذلك ، خدمت التعزيز العملي و التشجيع على تفوّق البيض و توسيع البون بين البيض و السود في الولايات المتّحدة . (28)

(28- تحليل لدور " النيوديل " و البرامج المرتبطة به و تأثريها في تعزيز تفوّق البيض و اللامساواة متوفّر في " **العمل بإتّجاه النقاء ، كيف صار المهاجرون الأمريكيّون بيضا ، المسار الغريب من جزيرة آليس إلى الضواحى** " لدافيد أر. روديجار ، الكتب الأساسيّة 2005).

و يُناقش إيرا كاتزنلسن بوجه خاص كيف أثّر هذا في المعاهد و الجامعات . و يعالج كيف أنّ التمويلات الحكوميّة وُجّهت بقدر كبير إلى الجامعات التي كان السود في السنوات الأولى بعد الحرب العالميّة الثانية لا يزالون ممنوعين منها كلّيا تقريبا، و الإختلافات في الدعم الحكوميّ ماليّا و غير ماليّ لجامعات السود مقارنة بالجامعات التي كانت على نطاق واسع أو كلّيا ممنوعة على السود . و يلمس كجزء من هذا التحليل العام المسار المحدود تاريخيّا لمعاهد السود التقليديّة – بمصادرها و تمويلاتها المحدودة –لكن كذلك جزئيّا في ظلّ تأثير كامل التقاليد المتّصلة ببوكر ت واشنطن – مسارها كان درجة كبيرة محدودا و قد شدّد على أشياء ثلاثة : التجارة و التدريس و التيولوجيا / علم اللاهوت . (أنظروا إيرا كاتز نلسن ، " **حين كانت الحركة الإيجابيّة حركة بيض** " شركة نشرw.w نورتن و شركاؤه 2005- " القدامى من البيض لا غير " ، خاصة الجزء الثالث ، الصفحات 129-134). بكلمات أخرى ، هناك تشديد أكبر على الدين في معاهد السود التقليديّة ممّا في غيرها التي هي إلى درجة كبيرة ممنوعة على السود طوال عديد السنوات المتواصلة بعد الحرب العالميّة الثانية . و تشديد كاتز نلسن هنا هو بصورة خاصة على فترة ما بعد الحرب العالميّة الثانية بالضبط ، لكن الإختلافات التي يناقشها يسلّط عليها ظلاّ أوسع و لوقت أطول و لها تطبيق و تبعات و تأثيرات أشمل وصولا إلى يومنا هذا . و قد عزّز تشجيع اللاهوت في معاهد السود التقليديّة الدور الذى لعبته تاريخيّا كنيسة السود و الذى كان متناقضا بصفة عالية و حادة .

و من زمن العبوديّة ، كانت السلطات القائمة تشجّع على المسيحيّة ضمن السود في الولايات المتّحدة .و كان مختلف الناس في أفريقيا التي جُلب منها العبيد يمارسون عددا متباينا من الديانات و إلى جانب إجبارهم على تبنّى ثقافة و عادات جديدتين – وصولا إلى مستوى مطالبتهم بإتّخاذ أسماء جديدة (كما جرت عمليّة إخراجه تلفزيّا في المسلسل الخاص " **جذور** ")- كان ملاّكو العبيد عامة يفرضون المسيحيّة بدلا من ديانات العبيد التقليديّة .(29)

(29- رغم وجود بعض الحدود المعيّنة و بعض الخلفيّة بهذا الصدد في" **ديانات أفريقيا : رحلة في الديانات التقليديّة** " لنوال ك. كنغ ، منشورات هاربار و رو ،1970 ؛ و " **ديانات المضطهَدين : دراسة العبادات المسيحيّة المعاصرة** " ، لفتّوريو لنترنارى [ترجمته من الإيطاليّة ليزا سرجيو] ، ألفراد أ. كنوبف ، 1963.)

و في الوقت نفسه و مثلما ليس الأمر مفاجأ ضمن المضطهَدين ، بداية من زمن العبوديّة ، إرتأى السود الإنخراط في هذا الدين الجديد الذى كان يقدّم لهم تحت وطأة سيّد العبيد و إستخدامه كوسيلة للتصدّى للإضطهاد . لذا ، على سبيل المثال ، قصّة العهد القديم للإسرائيليّين المستعبدين في مصر و قصّ موسى الذى كان يقود الناس خارج الرقّ – موضوع " دع شعبي يمضى " المعبّر عنه في أغانى دينيّة و بغريها من الطرق – صار جزءا قويّا من التقاليد و الثقافة الدينيّتين للسود . لكن دور كنيسة السود كان دائما منخرطا في نوع معيّن من الدور المزدوج ، و قد كان دور رجال الدين على الدوام دورا متناقضا و أحيانا متناقضا بحدّة . لقد شمل التفاوض مع ملاّكى العبيد (و سلط تفوّق البيض الذين مارسوا السلطة عقب نهاية العبوديّة) لمحاولة إدخال بعض التحسينات في ظروف الناس – لكنّها تقوم بذلك على أساس أنّ ذلك سيُبقى على الأشياء بعيدة عن الخروج عن نطاق التحكّم فيها بشكل سيهدّد جوهريّا مصالح المضطهَدين ؛ وهي تخوض على الدوام النضال أو تبحث عن حصر النضال الذى يندلع في إطار شكل لن يهدّد جوهريّا العلاقات الإضطهاديّة .و المرّة تلو المرّة ، خاصة حينما حينما يتصاعد التوتّر و غضب الجماهير و قد يهدّد بالغليان ، يمضى الوعّاظ إلى المضطهَدين و يقولوا لهم فعلا : " إذا لم تعطونا شيئا نعود به إلى الجماهير ، لن تكون لدينا أيّة وسيلة للحيلولة دون إنفجار الأمور ".

و قد نهض مارتن لوثر كينغ بهذا الدور – و على نحو صريح . ففي غضون تمرّدات مدينيّة جماهيريّة في ستّينات القرن العشرين ، كان كينغ يتّخذ بصفة متكرّرة الموقف التالى : إذا لم تعطونى شيئا ، لن أقدر على كبح غضب الجماهير بعد ذلك. و عندما يصل الأمر إلى تلك النقطة ، عندما يندلع غضب الجماهير و يخرج عن النطاق المسموح به من قبل السلط القائمة، كان كينغ يلتحق بالكورال المنادى للحكومة بإرسال الجيش ليخضع بالقوّة التمرّد المديني للجماهير . هذا هو الموقف الذى إتّخذه كينغ في صائفة 1967 ؛ و يجب أن نقول إنّه عندما أُرسل الجيشإلى دتروت ، لم يتوقّف العنف حينها بل كان متميّزا بصفة متصاعدة **بعنف من طرف الجيش** (إلى جانب الشرطة و الوكالات الأخرى التابعة للدولة) و موجّها ضد الجماهير الشعبيّة للسود ، و قتل الكثير من السود بدم بارد على يد الجيش و الشرطة . و هذا تاريخ .

حتّى و إن قبلنا بأنّ كينغ قام بهذا لإلتزام صريح منه بالنضال السلميّ ، فإنّه إزاء معارضة إستراتيجيا النضال العنيف من قبل المضطهَدين وإشاعة الشعور بأنّ السود لن يفعلوا سوى إلحاق الضرر بمصالحهم الخاصة بالإنخراط في تمرّدات عنيفة، يجب أن نقول إنّ هذا التفكير خاطئ جوهريّا وهو جوهريّا خاطئ و موضوعيّا يمضى في مصلحة المضطهَدين. و بالفعل، دور كينغ في علاقة بهذه التمرّدات و عامة كان متناسقا مع نظرته المعبّر عنها بأنّ المساواة و العدالة للسود يجب و ليس بوسعهم سوى بلوغها في حدود النظام الرأسمالي و في نطاق هذا النظام ، بينما في الواقع تجسّد هذا النظام دائما في أسسه ذاتها ، و تعزّز بإستمرار اللامساواة و الإضطهاد ، بالأشكال الأكثر قتلا بالنسبة لجماهير السود ، و فقط التخلّص من هذا النظام عبر الثورة يمكن أن يضع نهاية لهذا . (30)

(30- أنظروا " الحقيقة الباردة ، الحقيقة التحريريّة : كيف إضطهد هذا النظام بإستمرار السود ،و كيف يمكن أن نضع حدّا في النهاية لكافة الإضطهاد " ،متوفّر على موقع أنترنت revcom.us أين يُذكر الموقف التالى لمارتن لوثر كينغ وهو يوضّح توضيحا كبيرا نظرته و توجّهه و الوحدة بين الهدف الذى حدّده (الوهم) لبلوغ المساواة ضمن هذا النظام و تأكيده على ما هي طبيعة النضال الذى يجب أن يُقام :

" كانت الثورة العنصريّة الأمريكيّة ثورة " ولوج إلى داخل " [النظام] بدلا من ثورة تطيح به . نرغب في قسط من الإقتصاد الأمريكي و سوق الإسكان و النظام التعليمي و الفرص الإجتماعيّة . و يشير هذا الهدف نفسه إلى أنّ تغييرا إجتماعيّا في أمريكا يجب أن يكون غير عنيف " مارتن لوثر كينغ الإبن " **إلى أين نمضي من هنا** " ، ص 130 ، مذكور في " **الحقيقة الباردة ، الحقيقة التحريريّة** " ، الجزء السابع، " أيّ طريق آخر إضطراب و وهم ").

هذا هو الدور الذى نهضت به كامل هذه الفئات من الوعّاظ السود تاريخيّا ، حتّى بينما كانوا يصوّرون كقادة للنضال . و في الحقيقة ، كان دورهم أكثر من متناقض – و غالبا أكثر من متناقض بحدّة – من ذلك. (31)

(31- يمكنكم أن تروا هذه التناقضات مصوّرة على سبيل المثال في فيلم عُرض في ستّينات القرن العشرين ، " **لا شيء إلاّ رجل** " . لم يوزّع هذا الفيلم توزيعا واسع النطاق إلاّ أنّه مهمّ جدّا و بشكل عام فيلم إيجابي جدّا حتّى بحدوده التي تنعكس بدرجة معيّنة في العنوان . إنّها قصّة عامل سكك حديديّة أسود في الجنوب لا يريد إعتبارا لأنّ شغله يوفّر له أكثر تنقّل و لأنّ لديه بع التجربة مع النقابات ، أن يخضع إلى كافة الفضلات العنصريّة السافرة التي كان يتعرّض لها السود في الجنوب وقتها . و عند نقطة معيّنة يلتقى و يحبّ و يتزوّج إبنة أحد الوعّاظ الدينيّين و يدخل في نزاع حاد جدّا مع الواعظ نظرا لمجمل موقفه الرافض للقبول بكلّ ذلك – إحتقار السود بما في ذلك الوعّاظ الذين قبلوا و وافقوا على مجمل الأسس العنصريّة . و يصوّر الفيلم تصويرا جيّدا نوع الدور التوفيقي للواعظ -التفاوض للحصول على بعض التنازلات و في الوقت نفسه الصراع لإبقاء الناس على الخط القويم حتّى لا يغضبوا الرجل و يقلقوا راحة الترتيب برمّته .

و يلتقط الشريط الكثير من الدور المتناقض بحدّة تاريخيّا لهذه الفئات من الوعّاظ السود و اللاهوت الذى روّجوا له . و على عكس الميتولوجيا التي تشجّع عليها الطبقة الحاكمة و عديد هؤلاء الوعّاظ – الذين كانوا دائما في الخارج في المقدّمة يقودون النضال – و الواقع مرّة أخرى أكثر تناقضا بكثير : في حين أنّ بعض رجال الدين السود قد إضطلعوا بدور إيجابي و قدّموا مساهمات حقيقيّة في النضال ، وُجد كذلك مظهر هام يتمثّل في أنّ الكثير منهم حصر النضال ضمن الحدود المقبولة أكثر لدي الطبقة الحاكمة – و بصفة خاصة في ظروف حيث النضال قد إصطدم بقوّة و أحيانا إندلع عبر الحدو التي تفرض عليه لأجل الحفاظ على هذا التوافق مع الطبقة الحاكمة حيث يمكن للوعّاظ الحصول على بعض التنازلات مقابل إبقاء الجماهير على الخطّ القويم و الحيلولة دون خروج كلّ شيء عن نطاق السيطرة).

و في علاقة بكلّ هذا ، يقف شيئان واضحين بشكل كبير اليوم : أوّلا ، من الضروريّ أن نكون واضحين جدّا بشأن هذه الإيديولوجيا – اللاهوت المسيحي و الدين عامة و النظرة العامة إلى العالم التي تعبّر عنها - لا يمكن أن تؤدّى إلى طريق التحرير الحقيقي و التام – و بحدّ ذاتها ستنتهى على الدوام إلى البحث عن حصر الأمور ضمن الحدود التي يُعيّنها النظام القائم . و لوضع ذلك بكلمات أساسيّة ، إلى الدرجة التي ينوون فيها الوقوف مع المضطهَدين في النضال ضد الإضطهاد و الظلم ، رجال الدين و غيرهم الحاملين لهذه النظرة يمكن و يجب التوحّد معهم لكن النظرة و التوجّه السياسيّين الذين يمثلونهما لا يجب أن يقودا النضال و إلاّ لن يمضي إلى حيث يحتاج المضيّ لأجل تحقيق التحرّر من الإضطهاد والإستغلال. و ثانيا ، هناك في الوقت الحاليّ فئة كاملة أو قسم كامل من الوعّاظ السود تصاحب صراحة و تروّج للبرنامج المسيحي الفاشيّ ، إلى درجة كبيرة على أساس التأكيد العدواني للبطرياركيّة بوجه خاص . و لا يمكن لهذا إلاّ أن يؤدّي إلى كارثة : لا يمكن التوحّد معه و يجب فضحه بحيويّة كبيرة و وصفه بما هو عليه و النضال ضدّه بلا هوادة . (32)

(32- و كهامش هنا ، معالجين جزءا من المشهد ثانويّ لكن له دلالته ، يجدر التفكير في لماذا هناك حضور هام غير عاديّ للبيض من الجنوب ليس فقط في جيش الولايات المتّحدة عامة بل بالأخصّ في جس الضبّاط . الآن ، بالنسبة إلى الجنود المشاة يمكن شرح ذلك إلى درجة هامة بواقع أنّ هناك عمليّا عدد لا بأس به من البيض في الجنوب الذين لديهم خيارات محدودة لكن ثمّة أيضا أصداء ذكوريّة و عسكراتيّة رافقت تاريخيّا تأثير الأصوليّة الدينيّة و عموما الثقافة و القيم المحافظة – ليس صدفة و لا عرضيّا مثلا أنّ كلمات " وطنيّ " و بطرياركيّة لهذا الجذر نفسه في اللغة الأنجليزيّة . و بالخصوص في ما يتّصل بالأعداد الكبرى للجنوبيّين البيض في جسم الضبّاط من القوّات المسلّحة للولايات المتّحدة ، إلى جان هذا الصدى الذكوري و العسكراتيّة ، هناك تاريخ كامل لأرستقراطية الجنوب ، بداية من النظام العبوديّ و تواصل الأمر بعد إلغاء العبوديّة التام (و تعيضها بنظام إستغلال المزارعين و المزارع في ما كان أساسا شكلا إقطاعيّا ، لفترة حوالي مئة سنة عقب الحرب الأهليّة). و كانت كلّ هذه التقاليد الأرستقراطيّة في الجنوب تطبّق و تنقل بوعي عن أوروبا ، و إذا نظرنا إلى بلد كأنجلترا بأرستقراطيّتها ، نجد التقاليد حيث يرث الإبن ملكيّة العائلة و يلتحق إبن آخر برجال الدين و يتّجه ثالث إلى الجيش . و ثمّة عوامل ليست إيديولوجيّة لكن أيضا عمليّة لها فعلها في ذلك . بنظام تقوم فيه الثروة على الأرض ، على الدرجة التي ليست قابلة لمزيد تشديد استغلال الناس على الأرض ، و حدود أيضا لإمكانيّة مراكمة الكثير من الثروة ؛ و إذا ظللنا نقسّم الأرض ، سننتهي إلى وضع أين ستتشرع الثروة العائليّة عمليّا في التلاشي . لكن إذا أرسلت إبنا إلى رجال الدين و آخر إلى الجيش ، لن يبقى الكثيرون لتقسيم الأرض بينهم (وسيكون الأساس أقلّ للنزاع و التناقض العدائي بين الأبناء). و إلى درجة لها دلالتها ، كان هذا تاريخيّا جزءا من ثقافة جنوب الولايات المتّحدة – أي – ثقافة الأغنياء البيض من الطبقة الأرستقراطية المالكة للأرض في الجنوب – و هذا من الممكن ببساطة أن يكون من العوامل التي ساهمت في وجود عدد كبير من الجنوبيّين البيض ليس فقط في جيش الولايات المتّحدة عامة لكن بوجه خاص في جسم الضبّاط . و بدوره ، نظرا للخصوصيّات التاريخيّة للجنوب كما جرى الحديث عنها أعلاه ، هذا الحضور لعدد كبير من الجنوبيّين البيض عامل مساهم في إيجاد بيئة أكثر مواتاة لإنتشار الأصوليّة الدينيّة – المسيحيّة الفاشيّة – داخل جيش الولايات المتّحدة بما في ذلك في الصفوف العليا .)

المسيحيّة الفاشيّة و الإبادة الجماعيّة

و في إرتباط بهذا ، من الهام أن نتفحّص التبعات الإبادية الجماعيّة التي هي جزء لا يتجزّأ من النظرة و البرنامج المسيحيّين الفاشيّين . و هذا مجدّدا سخرية من السخريات و الإصابات الكبرى التي تروّج لها الأصوليّة الدينيّة في صفوف الجماهير الشعبيّة المضطَدَة التي هي بعدُ ضحيّة مباشرة أكثر لتفوّق البيض . في " **حقيقة المؤامرة اليمينيّة ...و لماذا لا يمثّل لا كلينتن و لا الديمقراطيّون الإجابة** " ، أشرت إلى أنّ أحد قادة المسيحيّين الفاشيّين ، بات روبرتسن – و ليس الوحيد في هذا – يُدافع عن نظام قانونيّ يقوم على العهد القديم من الكتاب المقدّس . و ما الذى ينمّ عنه ذلك ؟ إنّه ينمّ عن أشياء كالجلد على الملأ و وصم الذين يرتكبون مخالفات أصغر بالعار ، و بالنظر إلى الناس الذين يرتكبون مخالفات أكثر جدّية ، يؤكّد على عقوبة الإعدام – ليس فقط لما يُعتبر الآن جرائم كُبرى كالقتل و إنّما أيضا أعمال يراها أمثال روبرتسن تحوّل المجتمع ضد الإلاه و يحطّمون مصنع المجتمع . و كما أشرت إلى ذلك في " **حقيقة المؤامرة اليمينيّة ...** " :

" من الضروريّ أن نضع هذا في إطار المجتمع الأمريكيّ اليوم ، ففيه من خلال السياسة الواعية للحكومة و كذلك " السير العادي" لقوانين المراكمة و المنافسة الرأسماليّة ، تعجز فئات كاملة من الناس في صفوف " غير القابلين للتشغيل " الذين ليس ليدهم بديل ممكن ضمن هذا النظام عدا ربّما المساهمة في الاقتصاد الموازيّ. بهذا في الذهن ، لا يمكننا تجنّب الإقرار بأنّ منطق نداء روبرتسن لتطبيق " نموذج الكتاب المقدّس " على الجرائم و العقاب يعنى إقتراحا لا يمكن تخطئته ك " حلّ نهائيّ " ضد الجماهير الشعبيّة في أحياء داخل المدن و كذلك الإعداد لإستخدام منتهى القمع و حتّى الإعدام لمعاقبة مروحة واسعة من النشاطات التي تعدّ اليوم مخالفات صغرى و ليست جرائم مطلقا .(" **حقيقة المؤامرة اليمينيّة ...** " نُشر بداية في هاية 1998 في جريدة " **العامل الثوريّ** " [الآن " **الثورة** "] و أعيد نشره في 17 أكتوبر 2004 [العدد 1255] وهو متوفّر على موقع أنترنت revcom.us . و من أجل حجج بات روبرتسن حول تطبيق " نموذج الكتاب المقدّس بصدد الجريمة و العقاب " المشار إليها هنا ، أنظروا كتاب بات روبرتسن ، " **أجوبة على مائتي سؤال الأكثر سبرا للحياة** " ، كتب بنتام ، 1987، ص 198-199).

و مثلما وقعت الإشارة إلى ذلك عديد المرّات ، من ضمن الأشياء التي من أجلها يؤكّد الكتاب المقدّس على وجوب إعدام المثليّن جنسيّا و مرتكبى الخيانة الزوجيّة و – خاصة بالنسبة للنساء – و ممارسى و ممارسات الجنس قبل الزواج . و إذا فكّرتم في كلّ الواقعين عمليّا بين براثن النظام الجزائيّ في الولايات المتّحدة – بأكثر من مليوني شخص في السجون في هذا الوقت و العديد الآخرين في سراح مشروط – خاصة شباب أحياء داخل المدن ، و ثمّ ينضاف إلى ذلك منطق معيّن يقول " لماذا يجب علينا أن ننفق كافة هذا المال لتوفير سكن لهؤلاء الناس في السجون " فيمكن أن نلمس بيسر كبير التبعات الإباديّة لمقاربة مسيحيّة فاشيّة للكتاب المقدّس للجريمة و العقاب .

و هذا ليس مبالغة . أناس مثل روبرتسن جادّون للغاية في ما يسعون للقيام به . ما الذى صرّحوا به عقب أحداث 11 سبتمبر شدّد جيرى فلوال أنّ هذا يعزى لليبراليّين و للاتحاد الأمريكي للحقوق المدنيّة و العلمانيّين و المدافعين عن حقّ الإجهاض و المثليّين الجنسيّين و غيرهم من ذوى الذهنيّة المشابهة . هذا ، زعم فلوال ، ما جلب غضب الإلاه على أمريكا . و قفز بات روبرتسن ليعبّر عن إتّفاقه بقوّة مع هذا .(33)

(33 – في 13 سبتمبر 2001 ظهر فلوال في برنامج " **نادى ال700** " الذى ينشّطه بات روبرتسن ، و إليكم جزءا من ما تمّ تبادله بين فلوال و روبرتسن :

" **جيري فلوال** : على الإتّحاد الأمريكي للحقوق المدنيّ' أن يتحمّل الكثير من التوبيخ بسبب هذا الهجوم الإرهابيّ .

بات روبرتسن : أي ، نعم .

جيري فلوال : و أعلم أنّي سأسمع منهم عن هذا . لكن قذف الإلاه خارجا بنجاح بمساعدة نظام المحكمة الفيدراليّة ، و قذف الإلاه خارج ساحة الحياة العامة و خارج المعاهد . أصحاب الإجهاض يجب أن يتحمّلوا عبء هذا لأنّه لا يمكن الإستخفاف بالإلاه . و عندما نحطّم 40 مليون طفل صغير بريء ، نجعل الإلاه يجنّ . أعتقد حقّا أنّ الوثنيّين و أنصار الإجهاض و النسويّات و المثليّين و المثليّات الذين يحاولون بنشاط جعل ذلك نمط حياة بديل ، الإتحاد الأمريكي للحقوق المدنيّة ، و أناس من اجل الطريقة الأمريكية ،جميعهم حاولوا أن يجعلوا أمريكا علمانيّة . أشير بالأصبع إلى وجوههم و أقول : " لقد ساعدتم في حدوث هذا ".

بات روبرتسن : حسنا ، أشاطرك الرأي تماما ،و المشكل هو أنّنا تبنّينا تلك الأجندا في أعلى مستويات حكمنا . لذا نحن مسؤولون كمجتمع حرّ عن ما يقوم به الناس في القمّة . و الناس في القمّة طبعا هم نظام المحكمة . بيان صحفيّ من أناس من أجل الطريقة الأمريكيّة مؤرّخ في 17 سبتمبر 2001 ، وفّر نسخة خطّية لهذا النقاش بين فلوال و روبرتسن في برنامج " نادى ال700 " ، 13 سبتمبر 2001 ، و قد نُشر هذا في **وكالة أنباء الأحلام التقدّميّة المشتركة** ، 14 سبتمبر 2007).

و قد تعرّض للضغط من عدّة أنحاء ، اصدر فلوال " إعتذارا " بُعيد ذلك بقليل إلاّ أنّ ذلك كان نوع " الإعتذار " الذى " ما قُدّم فيه باليد اليمنى يستردّ باليد اليسرى ": في " إعتذاره " ، واصل فلوال تقديم نفس الحجج حول كيف أنّ أمريكا أضحت عُرضة للهجوم الإرهابي لأنّ الإلاه غضب على أصناف من الأشياء التي تحدّث عنها في البيان الذى كان من المفترض أن " يعتذر فيه " عن موقفه . (أنظروا موقع CNN.com/us ، 14 سبتمبر 2001) . و قد نشرت بهذا الصدد كذلك قصص على مواقع أنترنت في جريدة " **النيويورك تايمز** " و جريدة " **الواشنطن بوست** " [www.nytimes.com ، www.washingtonpost.com ، 14 سبتمبر 2001).

و يؤمن هؤلاء الناس و الكثيرون غيرهم إيمانا صلبا و متزمّتا أنّ التأكيد الصرف لنظرتهم الأوليّة مدعومة بقوّة القانون و الدولة أساسيّة لتحقيق و الحفاظ على نظرتهم لما هي أمريكا و ما يجب أن تكون عليه و ما الذى هناك حاجة إلى القيام به و هي تمضى خارجا إلى العالم لتحقّق الغاية الكبرى للإلاه و المصير الخاص لشعب فريد من نوعه إختاره الإلاه لحكم العالم قاطبة – عندما يصبحون في صلح مع الإلاه .

الدين و الأصوليّة و العقليّة العبوديّة

و في الوقت نفسه ، هناك في الدين و بالأخصّ في الأصوليّة الدينيّة ذات التأويل الحرفي تشجيع لذهنيّة ترى الناس أنفسهم على أنّهم في أصلهم مذنبين و تقبل مفهوم أنّسبب عذاب الناس في الوضع الذى يوجدون فيه هو أنّهم خسروا رعاية الإلاه لأنّهم (هم أو آخرون أقرباء منهم) قد إقترفوا أعمالا جلبت عليهم غضب الإلاه ؛ و لو جدّ أي شيء جيّد لهم فلأنّ الإلاه رغم كلّ شيء لعظمته و رحمته اللامتناهيتين قد عطف عليهم . لنسمّى هذا بإسمه – إنّه **عقليّة عبوديّة** يتمّ تلقينها إلى الناس. كلّ هذا " بفضل المسيح **!** " ، كلّ هذا عقليّة عبوديّة . و يترافق تماما مع " الإلاه يعمل بطرق غامضة ط بكلّ الفظائع التي يعنيها ذلك.

و الآن ، أعرف بعض الناس الذين ينزعجون إنزعاجا كبيرا لمّا نقول أشياء من هذا القبيل . إلاّ أنّه لنعيد بشكل تقريبي كلمات مالكولم آكس ، لم آت إلى هنا لأقوال لكم ما تريدون سماعه ، أتيت إلى هنا لأقول لكم الحقيقة سواء أحببتموها أم لا. و مرّة أخرى ، التفكير في أنّه لا يمكن تحدّيها بالحقيقة و لا يمكن أن تتوصّل إلى معانقة الحقيقة و إستخدامها لها لتحرير ذاتها و تحرير الإنسانيّة قاطبة ضرب من الإحتقار للجماهير الشعبيّة . و عندما نقول إنّ الناس يلقنون ذهنيّة عبوديّة و حتّى يتبنّونها لسنا نقول إنّ هذا خطأهم أو إنّ هذا شيء لا يمكنهم تغييره . نحن ندعو الجماهير الشعبيّة و نتحدّاها لتتخلّص من هذا – و لتنهض لتنجز ما هي عمليّا قادرة عليه – و نحن نقدّم لها فهما للماذا هي **حقّا** في هذا الوضع الذى هي فيه اليوم و **ما هو السبيل للخروج** من هذا . لكن ليس بوسعنا القيام بذلك دون تحدّى هذه العقليّة . و لا يمكن القيام بذلك معتذرين عن تحدّى هذه العقليّة .

و الآن يقول بعض الناس في ما يتعلّق بالسود خاصة ، " الدين جزء أساسي من تجربة السود "- إزاء هذا أقول : " ماذا عن العبوديّة ؟ أو التمييز العنصريّ و جيم كرو ؟ و المزارعة و الكلوكلوكس كلان ؟ أو تواصل التمييز العنصري اليوم إلى جانب السجن الجماعي و عنف الشرطة و قتلها للسود ؟ أليس **كلّ هذا** " جزءا أساسيّا من تجربة السود " أيضا ؟ المسألة هي إن كان شيئا أساسيّا أو جزءا لا يتجزّأ من التجربة ، **ما الدور** الذى نهض به ، و **ما التأثير** الذى له ؟ هل هو جيّد أم سيّء؟ إيجابيّ أم سلبيّ ؟ من أين يأتي هذا الدين ، من أين تأتى عبادة المسيح خاصة ؟

لقد تحدّثت عن الطابع و التأثير المتناقضين لها تاريخيّا . بيد أنّه في عالم اليوم – و حيث نقف في علاقة بإمكانيّة تحرير الإنسانيّة من آلاف السنوات من العلاقات الإضطهاديّة و السلاسل التقليديّة – الدين و حتّى في شكله الأصوليّ الحرفيّ ، قيد مباشر ، حاجز مباشر ، أصفاد مباشرة تشدّ الجماهير الشعبيّة إلى الخلف و تحول بينها و بين التمكّن من تحرير نفسها و تقفز أبعد من الوضع حيث تشعر بأنّها منجذبة إلى نوع من الدين بحثا عن العزاء تجاه الإضطهاد و العذاب .

لذا ، بينما من الصحيح و الضروريّ إقامة وحدة مع عديد الناس الذين يتبنّون وجهات نظر دينيّة ، من الحيويّ أيضا أن نكون جدّ واضحين حول ما يمكن أن يمكّن الناس عمليّا من الإنخراط في التعاطى مع الواقع و من فهمه و تغييره كي نضع حدّا في آخر المطاف لجميع الأوضاع الفظيعة حقّا التي تعيشها الجماهير الشعبيّة – و إلى جانب هذا ، نضع نهاية إلى الحاجة إلى البحث عن العزاء تجاه العذاب المصاحب لهذه الظروف ز

يعنى كسب تحرّر حقيقي و كامل تبنّى مقاربة علميّة و ليس مقاربة دينيّة / مقاربة لفهم الواقع و تغييره – تغييره عبر الثورة . و بوجه خاص الأصولية الدينيّة التي تؤكّد على تاويل الكتاب المقدّس أو أيّة كتابات مقدّسة أخرى تأويلا حرفيّا و على أنّه الحقيقة المطلقة و الكامنة – وهي ترفض الإعتقاد في أيّ شيء يتناقض مع قراءة حرفيّة للكتاب المقدّس أو الكتابات الدينيّة الأخرى – هذا النوع من النظرة الدينيّة و القناعة الدينيّة ضار إلى أقصى الحدود .و ليس بوسعنا سوى إبقائهم أسرى تماما في الظلام بشأن ما يحدث حقيقة في العالم و يخشون محاولة تغيير العالم بالطريقة الوحيدة التي يمكن تغييره بها – عبر المقاومة و في نهاية المطاف الإطاحة الثوريّة بهذا النظام الذى يضطهد الملايين و تماما مليارات الناس هنا و عبر العالم . لا يمكن لتزمّت الأصوليّة الدينيّة إلاّ أن يساعد في مفاقمة إضطهاد الجماهير الشعبيّة و إستعبادها .

بهذه الروح و في ضوء ما تقدّم ، من الحيويّ الإستيعاب و التطبيق الجريئين و الصريحين ل : **إنّ المضطهَدين الذين لايقدرون أو لا يرغبون فى مواجهة الواقع كما هو فعلا محكوم عليهم بأن يبقوا مستعبَدين و مضطهَدين.**

++

الجزء الرابع : لآ وجود لإلاه - نحتاج إلى تحرير دون آلهة

- " يد الإلاه اليسرى " – و الطريق الصحيح لكسب التحرير

- أسطوريّة صِحّة الأسطورة الدينيّة و دورها الإيجابيّ

- العقل لم " يخيّب أملنا " – العقل مطلق الضرورة – و لو أنّه فى حدّ ذاته غير كافي

- " الإيمان " الديني لنسمّيه كما هو : **لاعقليّ**

- الإلاه غير موجود و لا وجود لسبب وجيه للإيمان به

- الدين أفيون الشعوب – و حاجز أمام التحرّر

- لا وجود لشيء لا يتغيّر و غير قابل للتغيّر ، طبيعة الإنسان

- تحرير دون آلهة

" اليد اليسرى للإله " – و الطريقة الصحيحة للمضيّ نحو كسب التحرير

أودّ العودة الآن إلى نقاش كتاب " **اليد اليسرى للإله : إستعادة بلادنا من أيدى اليمين الديني** " لمؤلّفه الحبر مايكل لورنار. و يبدو أنّ للكتاب قدر هام من التأثير في أوساط عدد من التقدّميّين وهو يمثّل عرضا جدّيا لموقف و وجهة ظر يستحقّان الخوض فيهما خوضا جدّيا .

لقد تحدّثت عن عديد المواضيع التي أثارها لورنار أو عن مواضيع مرتبطة شديد الإرتباط بها في الجزء الثانيّ من كتابى " **الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليديّة** " لمّا علّقت على جيم واليس و كتابه " **روح السياسة** " (نيو براس ، كتب أربيس، 1994). لكن يحسن بنا الكلام مباشرة عن كتاب لورنار " **اليد اليسرى للإله** " المكتوب في تاريخ احدث ، في إطار وضع يتميّز بنموّ نفوذ ما يُطلق عليه اليمين المسيحي و ما نشخّصه نحن على أنّه المسيحيّون الفاشيّون .

و مع ذلك ، قبل المضيّ أعمق في نقاش هذا الكتاب و بعض المسائل الخاصة التي يتطرّق إليها ، يترتّب عليّ أن أشرع بداية في نقاش هذا المفهوم ، مفهوم " اليد اليسرى " و " اليد اليمنى " للإله . مثلما يقدّم ذلك لورنار ، هناك النظرتين المتارضتين (مشخّصة على أنّها " يدان إثنتان " للإله " صلب التقاليد الدينيّة التي يتماثل معها لورنار – التقاليد اليهوديّة (او بصفة أعمّ التقاليد " اليهوديّة المسيحيّة). " اليد اليسرى للإله " هي يد الرحمة و الشفقة و الحبّ و العناية بالفقير و بالعدالة ؛ و " اليد اليمنى للإله " هي المظهر الإنتقاميّ و الغاضب للإله. غير أنّى لا أعتقد أنّه يمكن إعتبار مثل هذا التقسيم صالحا .

لإستخدام مقارنة مفيدة جدّا مع أشخاص كلورنار يقبلون بالكثير من الإفتراءات و التشويهات التي تطال الشيوعية – و القصص عن الأهوال المقترفة في ظلّ ستالين و حتّى في ظلّ ماو – أتساءل كيف سيكون ردّ فعلهم لو بدلا من تفحّص ما جدّ فعلا في الإتّحاد السوفياتي و الصين حينما كانا إشتراكيين ، كان علينا المحاججة عوضا عن ذلك كما يلى : " تلك الأشياء التي تتحدّثون عنها تمثّل **اليد اليمنى** لستالين او اليد اليمنى لماو . [ضحك] و أنتم تتجاهلون " اليد اليسرى – و هذا هو الجانب الذى نرغب في الحديث عنه – كلّ الطرق التي سُلّمت بها الأرض للفلاّحين و تلبية حاجيات الجماهير الشعبيّة. إنّنا نُقيم تقاليدنا على " **اليد اليسرى** " للشيوعيّة ". حسنا ، الواقع هو سواء كنّا نتحدّث عن التجربة التاريخيّة للحركة الشيوعيّة و البلدان الإشتراكيّة حيث وُجدت و المضمون العمليّ للنظريّة الشيوعيّة ، أو عن الكتابات المقدّسة لديانات و تقاليد متنوّعة مرتبطة بهذه الكتابات ، ينبغي النظر فيها بصفة عامة و ليس بتطبيق نسخة أخرى من مقاربة " منضدة السلطة " [الإختياريّة – المترجم] : التأكيد على ما يعجبنا و نودّ الحديث عنه أو ما قد يبدو مقبولا أكثر حسب إتّفاقيّات وقتها بينما يجرى تجاهل الأشياء التي يمكن أن تكون خلافيّة أكثر أو قد لا نريد الدفاع عنها .

الآن بعد قول ذلك ، أودّ أن أشدّد على أنّ هناك أشياء نتوحّد معها في موقف لورنار فلديه نظرات ثاقبة يمكن و يجب أن نتعلّم منها . لذا أودّ أن أنطلق بتشخيص مقتضب لبعض من هذا ثمّ سأتفحّص و أتوسّع في تفحّص بعض المظاهر المفاتيح لما يعرضه في هذا الكتاب .

على طول كتاب " **اليد اليسرى للإله** " و عرضه ، يشدّ لورنار على الحاجة إلى – و في المجتمع الأمريكي على النقص الصارخ في – معنى و هدف أوسع لحياة الناس ، أبعد من المصالح الإقتصاديّة الضيّقة و الأنانيّة و ما نشخّصه نحن كتوجّه " إقتصادي " – كامل المقاربة التي تقلّص كلّ شيء إلى المصالح الإقتصاديّة للناس على أنّها العامل الواقعي الوحيد أو الشرعي الوحيد المحرّك لحياتهم . و يحاجج لورنار – و هنا أشاطره الرأي في الأساس – أنّ هذه نظرة مفقّرة للبشر و قدراتهم . لوضع ذلك بطريقة أخرى مستخدمين كلمات من الكتاب المقدّس ، يؤكّد لورنار أنّ البشر ليس بوسعهم الحياة بالخبز فقط . و مهما كان الخبز مهمّا بالنسبة إلى البشر – وهو لا ينكر أهمّيته – هذا غير كاف ليجعل تجربة البشر و علاقاتهم ذات مغزى و تحقّق ذاتهم .

و لى جانب هذا ، يُنجز لورنار نقدا حادا جدّا للفكر الإستهلاكيّ و ما يمكن أن نسمّيه (وهو إلى درجة معيّنة يشخّ ذلك على أنّه) الطفيليّة – التي ضمن أشياء أخرى تقاس بالقدر الكبير من الموارد العالميّة المستهلكة في الولايات المتّحدة وهي أكبر

من حصّة الولايات المتّحدة نسبة لعدد سكّانها . و يُشدّد لورنار على الحاجة إلى النضال ضد كامل الثقافة الإستهلاكيّة و على أنّ الحياة لا ينبغي أن تنظّم حول و تعطى معنى عبر البحث عن السلع الإستهلاكيّة و إقتنائها .

و يؤكّد لورنار بصفة متكرّرة على الحاجة إلى تغيير طرق تفكير الناس و دوافعهم في علاقة بهذا . و يقدّم حجّة شاملة بهذا المضمار تقرّ بأنّه إن كان يتعيّن على الناس الكفاح بجهد من أجل هذا النوع من العالم الذى يرتئيه و يحاجج من أجله (وهو كما سأتناول ذلك بالبحث في آخر المطاف غير قابل للتحقيق – رغم أنّ ذلك لا يعنى أنّ لا وجود لشيء نتوحّد معه في هذه الرؤية) ، بالتالى لن توجد مثل حياة الرفاهيّة هذه بالنسبة لعديد الناس في بلدان كالولايات المتّحدة – لكن يتساءل ، ما الذى سيكون رهيبا جدّا بهذا الشأن ؟ ماذا لو أنّ الناس في الولايات المتّحدة لم يستهلكوا قدرا كبيرا جدّا من الأشياء ؟ ماذا لو لم يستهلكوا قدرا كبيرا من النفط ، ماذا لو لم تتحكّم الولايات المتّحدة كبير التحكّم في التكنولوجيا العالميّة و لم توظّفها لأغراض ضيّقة و حتّى تدميريّة ؟ ألن تكون الحياة مع ذلك ذات مغزى أكبر – ألن يكون ذلك جديرا بالمبادلة النافعة ؟

هذا محور من أهمّ المحاور التي إشتغل عليها لورنار و ليس بلا صلوحيّة أو بلا قيمة . فهناك أهمّية حقيقيّة للنضال ضد فكرة أنّ للأمريكيّين نوعا من الحقّ الكامن و يتعيّن عليهم السعي إلى حياة تساوى موضوعيّا و بطرق لها دلالتها أن يكونوا طفيليّين يستهلكون على حساب بقيّة العالم . لو فكّرنا في طرق إعادة هيكلة المجتمع على أساس حصول ثورة و عدم العيش على حساب أناس آخرين – و عدم جعل الاقتصاد يعتمد على إستغلال الناس بأعداد كبيرة داخل البلاد ذاتها و حتّى منتهى الإستغلال أكثر لأعداد حتّى أكبر من الناس بمن فيهم ملايين الأطفال عبر العالم قاطبة ؛ سيكون الصراع الإيديولوجي حول هذه المسألة حادا للغاية و حيويّا للغاية . و بهذا المضمار بينما هناك بالتأكيد مظاهر من رؤية لورنار بهذا الصدد لا تبلغ جوهر و أسس المشكل ، فيها الكثير ممّا يمكن التوحّد معه في سيقا التشديد على هذا .

و كذلك ، هناك وجهات نظر ثاقبة هامة في نقاشه لتأثير علاقات السوق كعامل تآكل ، بما في ذلك كيف تجبر الناس على بيع أنفسهم في تنافس مع آخرين من أجل مواطن شغل و تقدّم في موقع الشغل – تأثير هذه العلاقات عامة كعامل تآكل في المجتمع بما في ذلك العلاقات الشخصيّة و الأسريّة ، و الطريقة التي يُدفع بها الناس إلى النظر إلى بعضهم البعض كعوائق أمام تحقيق رغباتهم و أهدافهم . و يحاجج لورنار بأنّ هذا نابع من مجال العمل حيث هو المبدأ السائد و المحدّد لكافة نواحى العلاقات بين الناس و منها العلاقات الأكثر شخصيّة و حميميّة .

و إضافة إلى هذا النقد في حقل الثقافة ، هناك في مجال الصراع السياسي الكثير من مواقف لورنار نتوحّد معها و من ذلك موقفه تجاه الحرب في العراق و الكثير من برنامج نظام بوش بشكل عام و أيضا جوانب لها دلالتها لموقف لورنار من " اليمين المسيحي ". و هناك بُعدٌ إضافيّ فيه يتعيّن رؤية الوحدة مع أناس أمثال لورنار حتّى بينما يتمّ خوض صراع مبدئيّ بشأن مسائل إيديولوجيّة و كذلك سياسيّة هامة و حيويّة . و التالى من خاتمة " **حقيقة مؤامرة اليمين ...و لماذا لا يمثّل لا كلينتن و لا الديمقراطيّون إجابة** " جرى الحديث عن هذا و التشديد على الحاجة إلى بناء جبهة متّحدة ثقافيّا و قيميّا و كذلك سياسيّا :

" نعتقد أنّه إلى جانب بناء هذه الوحدة السياسيّة في النضال ، ثمّة أيضا حاجة و أساس لتشكيل وحدة واسعة من قوى متنوّعة حول ارضيّة قيم و تعبيرات ثقافيّة تشجّع و تحتفل بالمساواة بين الرجال و النساء و بين الشعوب و الأمم ؛ و تقف ضد الإضطهاد و ضد العنف الذى يعمّق و يفرض هكذا إضطهاد ؛ و تعارض الهيمنة الإمبراطوريّة لأمّة على أمم أخرى و الهجمات العسكريّة لفرض هذه الهيمنة ؛ و تشجّع العلاقات بين الناس إعتمادا على تقدير للتنوّع و أيضا المجموعة ؛ كما تشجّع على القيم و الثقافة التي تُعلى التعاون و تقدير الناس بدلا من التنافس القاتل ،و التي تضع حاجة الناس فوق السعي إلى مراكمة الثروة ؛ و تحفّز عمليّا المصالح العالميّة للإنسانيّة في تعارض مع التناقضات العدائيّة القوميّة الضيّقة و هيمنة القوى العظمى .

إنّ تطّور وحدة حول هكذا قيم و تعبيرات ثقافيّة مثل تعميق الوحدة السياسيّة من خلال الصراع سيمثّلان سيرورة مستمرّة . و بناء هذه الوحدة تحدّى يجب أن يرفعه كافة الذين يعترفون بفظاعة ما يمثّله الأصوليّون الرجعيّون و إنعكاسات ذلك على الجماهير الشعبيّة ؛ و الذين يرفضون القبول بأنّ " البديل " الوحيد لهذا هو بديل يشتكر معه في أشياء جوهريّة ؛ و الذين يعترفون بالحاجة إلى مواجهة – و تقديم بديل إيجابي ل – كافة سياسات التفقير و العقاب و البطرياركيّة و التبريرات الإيديولوجيّة لهذه السياسة . هذا تحدّى يجب رفعه بجسارة و بصفة إستعجاليّة . "

و في الوقت نفسه ، يجب أن يُقال إنّ هناك بعض الحدود و الأخطاء الحقيقيّة جدّا في تحليل – و صراحة ، هناك حتّى بعض المواقف السيّئة جدّا – في ما تقدّم به لورنار . و سيساعدنا تفحّص ليس بعض المواقف السياسيّة فحسب للورنار لكن أيضا نظرته الإيديولوجيّة و الفلسفيّة ، سيساعدنا في تسليط شيئا من الضوء و في التشديد على لماذا بينما يمكن و يجب أن نرتئي الوحدة مع الناس المتديّنين مثل لورنار ، من الضروريّ بالمعنى الأكثر جوهريّة أن ننجز نقدا أكثر راديكاليّة للمجتمع الرأسمالي و برنامجا مناسبا للتغيير الثوريّ منطلقين من نظرة و منهج علميّين شاملين و منهجيين ، نظرة و منهج الشيوعيّة.

كما لاحظت ، بينما يتحدّث لورنار ببعض الطرق العميقة و النفاذة النظر عن تأثيرات السوق الرأسماليّة (و أحيانا يشخّصها كما هي " السوق الرأسماليّة ") و كيف يمتدّ هذا إلى كافة مجالات علاقات الناس و مها أكثرها حميميّة و شخصيّة ، ما يعالجه هو في نهاية المطاف ليس أكثر من التعبيرات الأكثر خارجيّة و ثانويّة لمشكل أعمق و أكثر أساسيّة . ففى الواقع ، المشكل يكمن في التناقض الأساسي للرأسماليّة نفسها أي أنّ الإستغلال هو الوسيلة المحرّكة التي عبرها يتمّ إنتاج الثروة و مراكمتها في ظلّ الرأسماليّة ، **و** أنّ هذه الثروة **تُنتج إجتماعيّا** إلاّ أنّه **يقع تملّكها فرديّا** من طرف رأس المال . و بالنظر إلى التعبيرات الأكثر خارجيّة التي يتكلّم عنها لورنار ، أساسها الأعمق يكمن في **علاقات الإنتاج** الرأسماليّة ، و كذلك في العلاقات الإجتماعيّة المناسبة لعلاقات الإنتاج الرأسماليّة هذه . (34)

(34- في خطاب ألقيته قبل حوالي عقد من الآن ، **" الأهداف الكبرى و الإستراتيجيا الكبرى "** ، هناك نقاش التداخلات إلى درجة معيّنة مع ملاحظات لورنار حول التأثيرات الثقافيّة و الإيديولوجيّة لسير السوق الرأسماليّة . و مع ذلك ، يضع ذك الخطاب هذا في إطار نقد أكثر جوهريّة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي ، و في ذلك الإطار جرى الحديث عن أنّ سير السوق الأكثر عدم تقييد و العلاقات الرأسماليّة عامة في هذه الفترة قد ولّدا فعلا ضربا من التذمّر الروحيّ و كيف أنّ هذا التذمّر قد دفع بدوره في آن معا بعض الناس عفويّا نحو الدين و الأصوليّة الدينيّة بوجه خاص ، لكن أيضا قد جرى اللعب عليهما عن وعي و إستخدمتهما فئات من الطبقة الحاكمة ذات نفوذ لتعزيز جاذبيّة الأصوليّة الدينيّة ". (مقتطفات من **" الأهداف الكبرى و الإستراتيجيا الكبرى "** قد نشرت في جريدة **" العامل الثوريّ"** الأعداد 1127-1144 [18 نوفمبر 2001 إلى 10 مارس 2002] وهي متوفّرة على الأنترنت على الرابط التالى :

.(revcom.us/avakian/avakian-works.htm1# gogs).

و من الأشياء التي من المهمّ جدّا التأكيد عليها بهذا المضمار هي أنّ علاقات الإنتاج ليست مجرّد – و ليست أساسا – علاقات **توزيع** . لكن التوزيع هو ما يتعاطى معه لورنار بالأساس حين يركّز حديثه عن السوق . و مثلما أشار ماركس إلى ذلك ، بالمعنى العام نظام الإنتاج يحدّد نظام التوزيع . و بالنسبة إلى نظام إنتاج معيّن ، سيوجد نظام توزيع مناسب له نو بالمنى العام نظام توزيع مستمدّ منه – مستمدّ من و يتناسب مع الطبيعة الأساسيّة للوسائل و العلاقات التي من خلالها يُنجز الإنتاج و تتمّ المراكمة . و واقع أنّه في ظلّ الرأسماليّة يجرى توزيع الأشياء عبر آليّات السوق الرأسماليّة ينبع من نظام الملكيّة و من علاقات الإنتاج الرأسماليّة عامة ، (35) و من التناقض الأساسي بين **الإنتاج الاجتماعي الطابع و التملّك الفرديّ.**

(35- تتكوّن علاقات الإنتاج ، في أي نظام إقتصادي ، قبل كلّ شيء من **نظام ملكيّة** وسائل الإنتاج (الأرض و المواد الأوّليّة و الآلات و التقنية عامة و ما إلى ذلك). و إلى جانب هذا ، و أساسا بالتناسب مع نظام الملكيّة هذا ، توجد **العلاقات بين الناس في سيرورة الإنتاج** (" تقسيم العمل " في المجتمع عموما) و **نظام توزيع** الثروة المنتجة . و لنضرب مثالا من المجتمع الرأسمالي : ملكيّة وسائل الإنتاج تقع تحت سيطرة مجموعة صغيرة ، الطبقة الرأسماليّة ، بينما معظم الناس يملكون القليل من أو لا يملكون وسائل إنتاج ؛ يتناسب " تقسيم العمل " في المجتمع و تتناسب مختلف الأدوار التي تنهض بها مجموعات من الناس في السيرورة العامة للإنتاج بما في ذلك الإنقسام العميق بين الذين يقومون بالعمل الفكريّ و الذين يقومون بالعمل اليدويّ (بإختصار ، تناقض العمل الفكري / العمل اليدوي) ، مع علاقات الملكيّة (و عدم الملكيّة) هذه لوسائل الإنتاج ؛ و توزيع الثروةالمنتجة يتناسب هو كذلك مع هذا لذلك فإنّ الثروة المراكمة من قبل الرأسماليّين بالمعنى الأساسي ، هي في تناسب مع رأس المال الذى يمكونه (وسائل الإنتاج التي يملكونها و يتحكّمون فيها) و دورهم كمستغلّين لقوّة عمل (قدرة عمل) الآخرين الذين لا يملكون وسائل إنتاج ؛ بينما الذين ليوا من الرأسماليّين الكبار لكن يمكن أن يملكوا قدرا من وسائل الإنتاج و/ أو قد راكموا المزيد من المعرفة و المؤهّلات ، يحصلون على حصّة من الثروة الإجتماعيّة محدّدة بواقع أنّهم لا يملكون وسائل إنتاج ، و لم يقدروا على تحصيل الكثير أبعد من المعرفةو المؤهّلات الأساسيّة . و لن يكون

من المفاجئ أن تستمرّ هذه العلاقات و الإنقسامات – العالية اللامساواة – في المجتمع و تستمرّ إعادة إنتاجها و ستنزع حتّى إلى أن يجري التشديد عليها عبر السير القائم للنظام الرأسماليّ والسيرورة القائمة للمراكمة الرأسماليّة و العلاقات الإجتماعيّة، و السياسة و الإيديولوجيا و الثقافة التي هي في تناسب أساسي مع وهي تفرض و تعزّز الطبيعة و السير الأساسيين لهذا النظام . و بوجه خاص في عالم اليوم ، يحدث سير هذا النظام الرأسمالي ليس ضمن بلدان رأسماليّة خاصة فحسب و إنّما فوق كلّ شيء على نطاق العالم .)

و نظرا إلى واقع أنّ علاقات الإنتاج (و بصورة محدّدة أكثر نظام الملكيّة) تحدّد جوهريّا نظام بيعته(وعلاقات التوزيع)، إذا حاولنا مجرّد تغيير علاقات السوق ، دون المضيّ إلى جذوره و إجتثاثها ن لن نقدر على القيام بذلك.

إلى جانب هذا ، ينبغي أن نسجّل أنّ هناك من طرف لورنار أكثر من قسط صغير من الرومنطيقيّة تجاه الإقطاعيّة ، في تعارض مع الرأسماليّة ؛ و يترافق هذا بتجميل دور الدين و المؤسّسات الدينيّة في المجتمع ما قبل الرأسمالي ، و في المراحل الأولى من الرأسماليّة .فى عديد المواضع في كتاب " **اليد اليسرى للإلاه** " يحاجج لورنار بأنّ بعض المؤسّسات قد إستخدمت لإدخال تحويرات أو تلطيف الإستغلال في المراحل الأولى من التاريخ . و ليس مفاجأ – إعتبارا لموقف لورنار أنّه يجب أن يوجد **المزيد** من الدين و الإلاه أو بالأحرى المزيد من " اليد اليسرى للإلاه " في المجتمع الأمريكي بما في ذلك في المجال العام – أن يُشير لورنار بوجه خاص إلى الكنيسة و الدين على أنّهما مارسا هذا الدور التلطيفي وهو يؤكّد و يشتكى من أنّه مع مزيد تطوّر الرأسماليّة و إنتصارها التام ، هذا الدور التلطيفي قد جرى تقويضه لذلك الآن صار الإستغلال أمرا عاديّا أكثر سفورا و على نطاق واسع دون هذا التأثير التسكيني . و تبرز رؤية لورنار هذه مثلا في التالى ذكره :

" ليس أنّ المؤسّسات الدينيّة لم تدعم لمدّة طويلة البطرياركيّة و العلاقات الإجتماعيّة الإضطهاديّة لكنّها وفّرت أيضا إطارا هاما فيه رغبتنا الإنسانيّة للعناية ببعضنا البعض أمكن لها أن تكون شرعيّة و ثابتة . على سبيل المثال ، فرضت الكنيسة القروسطيّة " مطالب أجر عادل " و " سعر عادل " على الذين كانوا يستخدمون عمّالا أو يبيعون سلعا في السوق ... لقد كانت العناية بالآخرين مظهرا هاما ممّا يعنيه أن تكون مسيحيّا و قد سادت أخلاق مشابهة عموما في صفوف المجموعات الدينيّة حول العالم .

و لمّا تداعت المؤسّسات الدينيّة طوال الثلاث مائة سنة الماضية أو ما يناهزها ، مع ذلك ، صار من الأيسر للسوق أن يصبح ملجأ للتلاعب و السيطرة . و مع ضعف الإطار الديني والمطلب الذى رفع بالمساندة المتبادلة والمسؤوليّة الجماعيّة، تحرّرت السوق الرأسماليّة لتعيد تشكيل التعليم و لتوجد وسيبة تعمل في درّاجة هوائيّة مزدوجة لتعلّمنا أنّ أوّل مسؤوليّة من مسؤوليّاتنا في العالم المعاصر هي تحقيق الأقصى خدمة لمصلحتنا الخاصة " (" **اليد اليسرى للإلاه** " ، صفحة 59-60).

ما يحاجج لورنار من أجله هنا يذكّرنا إلى درجة كبيرة بالجدال الذى جدّ ضد " **بيان الحزب الشيوعي** " : بعض نقّاد الرأسماليّة الذين ينطلقون في بعض المظاهر من جعل الإقطاعيّة رومانسيّة و تقديم نظرات لمجتمع تكون فيها العلاقات الإقطاعيّة ممزوجة ب- و أحيانا مقدّمة ك – ما يُزعم أنّه إشتراكيّة . و إعتبارا لما هو معروف عن ليس فقط المضمون العمليّ للكتاب المقدّس المسيحي لكن أيضا الدور الحقيقي للمسيحيّة و الكنيسة المسيحيّة لا سيما زمن قسطنطين - مع القمع بلا رحمة و بلا هوادة للزنادقة و قتلهم و لليهود " قتلة المسيح " و لغيرهم ؛ و الحروب المقدّسة و الحروب الصليبيّة ؛ و محاكم التفتيش و القمع الوحشيّ للمعرفة و الإكار التي كانت في أي وقت تتحدّى العقيدة التي ركّزتها الكنيسة – يضطرّ المرء إلى التساؤل عن أيّ عالم يتحدّث لورنار لعب فيه الدين و لعبت فيه الكنيسة هذا الضرب من الدور الإيجابيّ المنسوب إليهما ؟ في الواقع ، لقرون و قرون ، الكنيسة و الدين مثّلا عبئا ثقيلا جدّا يفرض و ينضاف إلى قمع و بؤس الجماهير الشعبيّة في المجتمع الإقطاعي – و ليس قوّة لتخفيف و تسكين تأثير هذا الإضطهاد . و فضلا عن الطريقة التي جسّد الدين الجهل المنظّم و خدم كعبء على كاهل الجماهير معا مع التطيّر و الخوف و الشعور بالذنب ، الواقع هو – واقع يتعامى عنه لورنار – أنّ الكنيسة القروسطيّة كانت هي نفسها أحد أكبر الملاّكين العقّاريّين و بتلك الصفة بلا رحمة إستغلّت الأقنان و غيرهم من الشغّالين .

و التالى من " **حقيقة المؤامرة اليمينيّة ... و لماذا لا يمثّل لا كلينتن و لا الديمقراطيّون الإجابة** " (المكتوب أثناء الفترة التي كان فيها كلينتن متّهما و مقالا من الرئاسة ، على أنّه لم يرحل من منصبه) مفيد جدّا في علاقة بما يثيره لورنار – في كلّ من المظهر الذى يتمثّل في أنّ لحجج لورنار بعض عناصر الحقيقة و الأهمّية و بالنظر إلى الحدود في نظرته و الطرق التي بها تقوده نظرته في الإتّجاه الخطأ :

" في بعض المظاهر الهامة ، " إستعادة " إقتصاد الولايات المتّحدة لعافيته حصل خلال إدارة كلينتن و الإنتاج الأشدّ " عولمة " و " مرونة " الذى كان مظهرا مميّزا لهذه " الإستعادة " للعافية الاقتصادية ساهم أيضا في " تقويض الأسرة التقليديّة ". و قد شجّع إزدهار نظرة خاصة (و ليس حصريّا) ضمن الحرفيّين الأعلى أجرا ما عني ليس قدرا ضئيلا من الإنغماس الذاتي و في إرتباط بذلك إضعاف بعض " القيم التقليديّة " و منها الوطنيّة من الصنف القديم و رغبة التضحية من اجل " المصلحة القوميّة " المحدّدة و المعلنة رسميّا .

ببعض الطرق ذات الدلالة ، ما كُتب قبل 150 سنة في **" بيان الحزب الشيوعي "** ، بشأن تبعات العلاقات السلعيّة البرجوازيّة غير المقيّدة ، يعرف تعبيرا بارزا في صفوف فئات من سكّان الولايات المتّحدة في إطار العالم الرأسمالي اليوم " ما بعد الحرب الباردة ". و الجمل التالية من **" بيان الحزب الشيوعي "** [الصفحة 50 من **" مختارات ماركس و إنجلز في أربعة أجزاء"** ، الجزء الأوّل ؛ دار التقدّم ، موسكو – المترجم] تنطوى على صدى خاص و قويّ :

" فحيثما إستولت البرجوازيّة على السلطة ... لم تبق على صلة بين الإنسان و الإنسان إلاّ المصلحة الجافة و الدفع الجاف " نقدا و عدّا ". و أغرقت الحميّة الدينيّة و حماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة في مياه الحساب الجليديّة المشبعة بالأنانيّة ، و جعلت من الكرامة الشخصيّة مجرّد قيمة تبادل لا أقلّ و لا أكثر ... فهي بإختصار ، إستعاضت عن الإستثمار المقنّع بالأوهام الدينيّة و السياسيّة بإستثمار مكشوف شائن مباشر فظيع . " و هنا ثمّة سخرية كبيرة : أفرز " إنتصار " و " إنتصاريّة " الرأسماليّة في ظروف اليوم إنعكاسات و مشاعر تنزع إلى تقويض ، ضمن فئات هامة من سكّان الولايات المتّحدة ، الرغبة في بذل التضحيات الخاصة من أجل " الإلاه و البلاد " – يعنى التضحية من أجل مصالح و متطلّبات الطبقة الحاكمة الإمبراطوريّة في الولايات المتّحدة ذاتها وعلى الصعيد العالمي . كردّ على هذا ، يحاول " المحافظون " ، و اليمين المسيحي يضطلع بدور حيويّ في ذلك ، أن يعيدوا إحياء و فرض بالذات " الحميّة الدينيّة و حماسة الفرسان "- أن يعيدوا بعث وضع حيث الإستغلال عبر العالم الذى يشهد منتهى القسوة هو في الوقت نفسه " مقنّع بالأوهام الدينيّة والسياسيّة".

هنا من المهمّ أن نلاحظ ، ضمن أشياء أخرى ، أنّ هذه المقاطع الحادة في **" بيان الحزب الشيوعي "** (المذكور في **" حقيقة مؤامرة اليمين "**) بشأن التعبيرات السافرة للإستغلال الرأسمالي ، و في نقده للرأسماليّة عامة ، لم يكن ماركس و إنجلز ينظران **خلفا** للإقطاعية بشاعريّة و مثاليّة و رومنسيّة – فقد كانت في الواقع تتميّز بإرهاب لا ينتهى ضد الجماهير الشعبيّة – لكن بالعكس ، كانا ينظران إلى **الأمام** ، إلى الإطاحة بالرأسماليّة و تقدّم الإنسانيّة و **تجاوزها** الرأسماليّة و **كافة الأنظمة الإستغلاليّة و الإضطهاديّة** و أيّ تجميل لها و مدحها و تبريرها .

الآن ، في ضوء ما تقدّم ، ضمن أشياء أخرى يمكن أن نرى حتّى بمزيد من الوضوح النقائص الحادة جدّا في تحليل لورنار لليمين الديني حتّى و إن كان هدف كتابه كما ينعكس ذلك في عنوانه " إستعادة بلادنا من اليمين الديني " . إنّ مقاربة لورنار لقتال – أو ربّما ، معبّر عنه بدقّة أكبر ، إبعاد الناس عن – اليمين الديني هي مقاربة لا يمكن أن تنجح حتّى في حدّ ذاتها . فتحليله للمشكل عامة و لشكل اليمين الديني بخاصة يتميّز وهو غارق في إخفاق إدراك و تماما مواجهة **الطبيعة الفاشيّة** لما يمثّله هذا اليمين الديني ، عمق الخطر الذى يمثّله عمليّا و نوع النضال الشامل و المصمّم الذى يجب خوضه لإلحاق الهزيمة به بينما في الوقت نفسه ، أجل ، يتمّ البحث عن كسب أكبر عدد ممكن من الناس من صفوفه .

و حتّى في هذه الصيغة (" إستعادة بلادنا من اليمين الديني ") نقائص نظرة لورنار و أهدافه بارزة . لماذا ينبغي أن يكون الهدف مشخّصة و منحصرة في معانى " الإستعادة " و " بلادنا " ؟ ف " الإستعادة " تعنى أنّ هناك شيء - البلاد - كان في وقت ما على " ملكيّتنا " – و هذا من المفترض أن يعني شعب الولايات المتحدة . لكن بالمعنى الجوهريّ لم يكن الأمر أبدا كذلك بما أنّ واقع البلاد كان من البداية " على ملكيّة " – أي أنّه كان محكوما و كانت الجماهير الشعبيّة تحت سيطرة و إضطهاد و إستغلال – الطبقات الرأسماليّة و ملاّكى العبيد . و صيغة " بلادنا " لا تشكو فقط من ذات النقائص مثل " الإستعادة " لكنّها تشتمل أيضا على مظهر قوميّ شوفيني (أمريكي) حتّى و عن كان غير مقصود لأنّه ليس مجرّد " بلادنا " هي التي على الناس أن يعتنوا بها – و هذا هو الحال و أكثر حينما تكون المسألة بلدا **إمبرياليّا** طبقته الحاكمة ، عبر دولتها ، لا تضطهد الجماهير الشعبيّة محلّيا فحسب بل تستغلّ و بالفعل تستغلّ إلى أقصى حدّ و تعنّف الناس عبر العالم قاطبة ،و بأكثر شدّة في ما يسمّى بالعالم الثالث و مرّة تلو المرّة أنزلت دمارا رهيبا و موتا على رؤوس الناس في عديد البلدان الأخرى حيثما قاوموا هيمنة غمبرياليّة الولايات المتّحدة أو أصبحوا هدفا لهجمات الولايات المتحدة لأسباب ما أخرى. و ليس فقط و لا أساسا " اليمين الديني " هو الذى يجب " إستعادة " الأشياء منه – ليس اليمين الديني وحده بل و بأكثر

جوهريّة ، الطبقة الحاكمة الإمبرياليّة ككلّ التي تمسك بالسلطة في الولايات المتحدة و تستخدم هذه السلطة لغايات إستغلاليّة و إضطهاديّة تكلّمنا عنها هنا .

بشكل متكرّر في " اليد اليسرى للإلاه " ، نعثر على لورنار وهو يؤكّد بشدّة على أنّه بينما لا يقبل بقوّة و سيعارض بقوّة اليمين الديني ، يرفض قول إنّ الذين يشكّلون اليمين الديني هم أناس سيّئون . و هذا ليس حقّا الموضوع أو ليس جوهر المسألة : ناس سيّئون أم ناس جيّدون . المسألة هي : أيّ نوع من البرنامج و الإيديولوجيا تتمّ تعبأة هؤلاء الناس حولهما ؛ و ما الذى يمثّله ذلك و مدى جدّية المشكل الذى يطرحه إذا كنّا نحاول بلوغ مجتمع أعدل فما بالك ببلوغ الشيوعية ؟

في " مقدّمة " كتاب ، " **اليد اليسرى للإلاه** " نجد التالى :

" من الشرعيّ تماما أن ندقّ ناقوس الخطر غزاء نموّ نفوذ أولئك اليمينيّين و غزاء الطريقة التي يستخدمون بها ذلك النفوذ، و ذلك قصد تحدّى أفكارهم تحدّيا قويّا و التحذير من المخاطر إن نجحوا في تحقيق نواياهم المعلنة . و بالتأكيد سأفعل كلّ شيء بوسعى للحيلولة دونهم و النشر الشعبيّ لمفهوم أنّه على الناس أن يكونوا دينيّين أو يعتقدوا في إلاه لتكون لديهم أخلاق و ليغيّروا فهمهم الخاص لما يريده منّا الإلاه .

و ما لن أفعله و ما أدعو أصدقائي في الحركات الليبراليّة و التقدّميّة أن لا يفعلوه هو أن ينسبوا دوافع شرّيرة للمنتمين إلى اليمين الدينيّ أو أن يعتبروهم متلاعبين منافقين لا همّ لهم سوى السلطة و رفعة الذات . و بالتأكيد أنّ اليمين الديني له حصّته من تجّار السلطة و المنافقين . لكن الغالبيّة العظمى المعنيّة هي أناس تدفعهم مبادئ و يرغبون في ما هو أفضل للعالم " (الصفحتان 8 و 9).

و يجب قول إنّ هذا ساذج إلى درجة عالية و لا يصيب بجدّية الهدف . ما يهمّ وهو مناسب جدّا في الوقت الراهن ليس ما إذا كان هؤلاء الناس صرحاء أو حتّى مضحّين بالنفس و إنّما بالأحرى حول ايّة وجهة نظر و بإتّجاه أيّة غايات يجرى تنظيمهم و تجرى قيادتهم . على وجه التحديد ما هو **مضمون** " المبادئ " التي تقود فعلا هؤلاء الناس ؛ و ما الذى سينجم لو تحقّقت عمليّا رؤية " الأفضل للعالم " التي تمّ صهرهم حولها ؟

حدود لورنار هنا متّصلة مباشرة بنظرته الخاصة إلى العالم ، بإنطلاقه من و من خلال موقف ديني و موشور دينيّ بما في ذلك مفهومه أنّ هناك القليل جدّا من الدين و الحياة الروحيّة في الحياة الأمريكيّة و في المجتمع الأمريكي – قليل جدّا **!** فيما الدين و الحياة الروحيّة التي يدافع عنها لورنار و يريد أن يراها تزدهر و تمارس تأثيرا اكبر كما هي مجسدّة في فهمه ل " اليد اليسرى للإلاه " في عديد مظاهرها الهامّة مختلفة جدّا عن الأصوليّة الدينيّة للمسيحيّين الفاشيّين إلاّ انّ لورنار يشاطرهم نفس التقاليد الدينيّة بالمعنى الواسع و معتقداته إلى درجة كبيرة متجذّرة و تنبع من ذات الكتابات المقدّسة الدينيّة ، و حتّى إن أمكن للورنار رؤية و تأويل أجزاء من هذه الكتابات المقدّسة بشكل مختلف كذلك. قناعة لورنار و تشديده على نظرة إلى العالم و مقاربة للواقع دينيّة و روحيّة تحتاج أن تمارس **أكثر** من تأثير في مجتمع يشجّع على طريقة تفكير و تصرّف في العالم هي فعلا في نزاع أساسي مع الواقع و بالتالى في نزاع مع وسائل تغيير الواقع في تناسب مع المصالح الحقيقيّة و الجوهريّة للغالبيّة العظمى من الإنسانيّة و في نهاية المطاف الإنسانيّة ككلّ .

و فضلا عن هذا ، بالرغم من إختلافاته الحقيقيّة جدّا مع الأصوليّين الدينيّين الرجعيّين و الفاشيّين حقّا ، تأكيد لورنار على الترويج لذات التقاليد الدينيّة و الكتابات المقدّسة ليس بوسعه إلاّ المساهمة في تقوية وجهات النظر و البرامج الإيديولوجيّة و السياسيّة الرجعيّة المعتمدة على الدين و التصرّفات النابعة منها . و ذلك كذلك بغضّ النظر عن كيف أنّ لورنار يمكن أن ينظر إلى " إعادة تأويل " هذه التقاليد و هذه الكتابات المقدسة فهي في النهاية مع ذلك تقف فعلا من أجل ما تقف من أجله – إنّها تقول ما تقول و تعنى ما تعنى . و من سخريّة القدر أنّ حدود لورنار ليست مرتبطة بلماذا لا يعترف بالإختلاف العميق و أجل التناقض العدائيّ الموجود موضوعيّا بين حتّى ما يبحث عن فعله و ما يمثّله ليس كثيرا جدّا من الأفراد الخاصين الذين جذبهم ليشكّلوا صفوف الحركة الفاشيّة لكن مرتبطة بالطابع و المضمون الأساسيّين لهذه الحركة و إلى أين تبحث عن المضيّ بالأمور.

بكلمات أخرى ، من المهمّ الصراع – مواجهة – ما هي الطبيعة الحقيقيّة ل " اليمين الديني " : طبيعته كحركة **مسيحيّة فاشيّة تهدف إلى تكريس شكل تيوقراطي فاشيّ للحكم الرأسمالي – الإمبريالي في الولايات المتّحدة و الهيمنة على هذا الأساس على العالم .** و كما جرى تفحّص ذلك هنا ، هذه الحركة المسيحيّة الفاشيّة ليست بقوّة مبنيّة فحسب حول و لها

محرّك كبير هو إعادة التأكيد بقوّة نوع مطلق من البطرياركيّة و كذلك تفوّق البيض ببعد إبادة جماعيّة ممكنة . و تدافع هذه الحركة دفاعا متحمّسا عن عسكرة و غزوات إمبرياليّة الولايات المتّحدة عبر العالم .

تخوض هذه الحركة معركة متزمّتة ضد الإعتراف – ليس من طرف الأشخاص فحسب بل من طرف المجتمع و مؤسّساته التعليميّة – للواقع العلمي للتطوّر . لماذا ؟ لأنّه من الضروري أكثر لنشر برنامجها أن تروّج أبستيمولوجيا تجعل الناس يبتعدون عن التفكير العقلاني وينبذون و يسخرون من المنهج العلميّ و يصبحوا عبيدا لإيديولوجيا مناهضة للعقلانيّة تشجّع و تركّد على الطاعة العمياء و دون تفكير للقوى و العلاقات المهيمنة في المجتمع و للسلطة المطلقة للوجوه ذات النفوذ الكبير التي تلبس لبوس اليمين الديني و تدّعى علاقة خاصة تعاقديّة مع القدير .

المعركة حول نظريّة التطوّر هامة في حدّ ذاتها **و** لها صلة وثيقة جدّا بالمعركة من أجل **الثورة** . قبل كلّ شيء ، هي معركة في مجال الأبستيمولوجيا – حول مسائل ما هي الحقيقة و ما إذا و كيف يمكن للبشر أن يحصلوا على فهم حقيقي للواقع . هل سننطلق من مقاربة علميّة – بحث الواقع و مراكمة التجارب و الأدلّة بشأن الواقع و تاليا إستخلاص الإستنتاجات العقلانيّة ؟ أن سنتبنّى عن عمى طريقة فات أوانها من فهم كيف يسير العالم و ما هي القوى المحرّكة و التأكيد على **فرض ذلك بالقوّة على الواقع** و على تدمير أي شيء يتنازع مع هذه المقاربة اللاعقلانيّة ؟ هل سنؤكّد على المفاهيم **الماقبليّة** للحقيقة – الفرضيّات الدغمائيّة التي ليست مستخلصة من الواقع و لا يمكن أن تختبر في الواقع – و محو الأشياء التي **إستخلصت** من الواقع و قد إختبرت و تبيّنت في الواقع أنّها صحيحة ؟

و هذه المعركة حول الأبستيمولوجيا معركة عميقة و لها تحدّيات و تبعات هائلة جدّا . ففي الولايات المتّحدة ، هناك بوجه خاص ، صراع سياسي شرس مخاض بصدد نظريّة التطوّر لكن هذه المعركة السياسيّة التي لا تعنى فحسب المسألة الخاصة بنظريّة التطوّر ، على أهمّيتها ، و إنّما تركّز النزاع بين الأبستيمولوجيّتين المتعارضتين جوهريّا . و طبعا ، هناك أكثر من تحليل أجراه ناس ذوى معتقدات دينيّة إلاّ أنّهم يقبلون بالواقع العلميّ لنظريّة التطوّر و يحاولون التوفيق بين واقع نظريّة التطوّر و النظرة الدينيّة إلى العالم . و في نهاية التحليل ، ليست قابلة للتوفيق لكن في أيّ زمن معطى عديد الناس قادرون على معانقة على الأقلّ الوقائع الأساسيّة مركّزة في النظريّة العلميّة للتطوّر حتّى بينما يتمسّكون بالمعتقدات الدينيّة . لكنّنا نتكلّم عن شيء مختلف راديكاليّا عن ذلك ، مع النظرة و المقاربة المسيحيّة الفاشيّة نتكلّم عن شيء يحدّد الحقيقة **بصفة ما قبليّة** – مقدّما وهو في إنفصال عن بحث الواقع و تلخيص ما يتمّ تعلّمه من الواقع . و ليس هذا مجرّد **ما قبليّة** بالمعنى العام بل هو **ما قبليّة** تخدم برنامج سياسي رجعيّ شامل يهدف إلى فرض دكتاتوريّة رأسماليّة تيوقراطيّة – فاشيّة في الولايات المتّحدة ، معا مع خوض حرب صليبيّة لفرض – حتّى على نطاق أوسع و بالقوّة و بلا رحمة – الهيمنة الأمريكيّة عبر العالم على أنّها هيمنة أمّة الإلاه المختارة .

في هذا الإطار ، أضحت نظريّة التطوّر محورا لمثل هذا الصراع الحاد . نظريّة التطوّر كأمر واقع علميّ – و المنهج العلمي الذى يؤدّى إلى إستنتاج واضح و صلب للغاية بأنّ نظريّة التطوّر أمر علميّ وهو يبيّن هذه الحقيقة بشمول حتّى أكبر – و كلّ هذا عائق كبير أمام تعبئة الناس خلف نوع النظرة إلى عالم مكتف ذاتيّا لا يمكن أن ينفذ إليها الواقع إلاّ و إلى أن يُصبح تأكيد الواقع شديدا بحيث تنفجر هذه النظرة إلى العالم بطريقة أو أخرى . لكن ، بينما يظلّ من المهمّ " خوض صراع هجومي " ضد هذه النظرة إلى العالم معتمدين حججا عقلانيّة و منطقيّة متّصلة بالواقع ، فإنّ مثل هذه الحجج ببساطة في حدّ ذاتها لن تنفذ حقّا إلى هذه النظرة إلى العالم . و يمكن أن نشاهد كيف يتمّ تشجيع مثل هذه النظرة إلى العالم إذ هي في غاية الأهميّة بخاصة لنواة الطبقة الحاكمة في الولايات المتّحدة الآن (و التي تجمّعت حول نظام بوش) في سياق ما يخطّطون إلى القيام به في العالم و كيفيّة القيام به و إلى ذلك هم مصمّمون على إعادة التشكيل الراديكالي للولايات المتّحدة نفسها في إتّجاه فاشيّ . إنّهم يأملون في إمكانية أن تعمل الأصوليّة الدينيّة المتزمّتة العمياء كنوع من الفرقة الفولاذيّة لتثبيت قويّ للأشياء في مكانها في وضع حيث ما دفعوا به إلى الحركة في العالم و داخل الولايات المتّحدة ذاتها – كلّ هذا بعيد عن أن يكون تحت سيطرتهم – قد يجعل الأمور تنفجر في إتّجاهات متعارضة شديد التعارض.

على ضوء هذا يمكن لمحاولات فرض " عالم مكتف ذاتيّا " – و كيف و لماذا أصبحت نظريّة التطوّر نقطة تبئير كبرى كهذه في النضال في علاقة بذلك – أن تُفهم بصورة أتمّ . و حسب ما عليه الأشياء الآن ، أحد العناصر المفاتيح في القبول بشيء بأنّه نظريّة علميّة صالحة هو ما يسمّى ب " مراجعة نظير " حيث العمل الذى أُنجز و الإستنتاجات التي إستُخلصت يعرّضان إلى المراجعة النقديّة من أناس ذوى معرفة بالمجال العلمي (المجالات العلميّة) المعنيّ لرؤية ما إذا أمكن بالفعل إحداث ثقوب فيه جرّاء اللكمات. و بالرغم من كون هذا لا يحدّد و لا يمكن أن يُحدّد صلوحيّة (أو عدم صلوحيّة) النظريّة

العلميّة ، فإنّه **جزء حيويّ** في أيّة سيرورة علميّة شرعيّة و سيرورة إن كان أم لا شيء مقبول على أنّه صالح علميّا . حسنا، علاوة على الإستخدام المستمرّ لمناهجهم غير العلميّة – و في الواقع **المناهضة للعلم** – لمهاجمة النظريّات العلميّة كنظريّة التطوّر (مثلا ، رغم أنّ البون في السجلاّت الإحاثيّة يجعل نظريّة التطوّر غير صالحة ثمّ في كلّ مرّة يتمّ فيها تـاكيد أنّه ما من " بون" بإكتشاف إحاثيّ جديد ، يجرى التحوّل و زعم أنّ هذا لم يفعل سوى إيجاد المزيد من " البون " ! (36)) .

(36- من أجل عرض وتحليل هامين ليس فقط لهذا التكتيك الخاص لأنصار فكر الخلق(في علاقة بالتسجيلات الإحاثيّة) و لكن أيضا بهجوم أنصار فكر الخلق على نظريّة التطوّر بما في ذلك التجسيد الحديث لفكر الخلق ك " مصمّم ذكيّ " – و التبعات الأشمل إيديولوجيّا و سياسيّا لهذا – أنظروا كتاب **" علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق- معرفة ما هو واقعي و لماذا هو مهمّ "** لأرديا سكايبراك ، إنسايت براس 2006).

و يسعى المسيحيّون الفاشيّون الآن إلى كلّ من تركيز مؤسّساتهم التعليميّة الخاصة المزوّرة حتّى على الصعيد الجامعي (على غرار جامعة بات روبرتسن المؤسّسة الوصيّة التي تخرّجت منها أعداد كبيرة جدّا جلبتها إليها إدارة بوش) و كذلك إلى جعل الناس يحصلون على شهادات متقدّمة منها شهادات في مجالات كالبيولوجيا من جامعات أكثر شرعيّة و حتّى من جامعات رفيعة المستوى لكي يتمكّنوا بالتالى من توظيف هذه الشهائد كأوراق إعتماد للحصول على المصداقيّة في هجماتهم على نظريّة التطوّر (و حقائق علميّة راسخة جدّا تصطدم مع الدوغما الأصولي الديني).

في كلّ هذا ، يواجه المسيحيّون الفاشيّون بعض التناقضات الحادة حين يتعلّق الأمر بمجال التعليم . فهناك حركة لها دلالتها في صفوفهم نحو تعليم أبنائهم في المنازل لكي " يعزلوهم عزلا صحّيا " أو " يلقّحوهم " ضد أشياء كانوا سيتعلّمونها في المدارس العموميّة و تتعارض مع الدوغما الأصولي و قراءة أكثر حرفيّة للكتاب المقدّس . و في الوقت نفسه ، بالتعاون مع الأفراد الأثرياء و المؤسّسات الثريّة (جمعيّات يمينيّة إلخ) ، يبنون و يموّلون مدارسا و معاهدا أصوليّة مسيحيّة كبديل عن المدارس و المعاهد العموميّة . لكنّهم يواجهون مشكلا فحينما يُنهى الطلبة الدراسات العليا ، لا يريد الأولياء أن يعلق أبناءهم و بناتهم في الصفّ الأدنى من المجتمع ، يريدون لهم أن يحصلوا على أعمال ناجحة و أن يكون لديهم تعليم كافى و شهائد تعليميّة تخوّل لهم الحصول على هذه الأعمال . و بهذا الصدد و رغم سعيها لتغيير هذا الوضع ، فإنّ الجامعات الأصوليّة المسيحيّة لا تزال سمعتها و " ختمها " غير كافيين في المجتمع الأوسع . و في الوقت نفسه ، إذا نظرنا في السائد ، نلاحظ أنّ الجامعات غير الأصوليّة عبر البلاد عامة يقع فيها ، في البيولوجيا على سبيل المثال ، تدريس نظريّة التطوّر كواقع ... لسبب بسيط ألا وهو أنّه من غير الممكن دراسة البيولوجيا دون دراسة نظريّة التطوّر كنظريّة جرى إثباتها جيّدا – إنّها أمر أساسي في البيولوجيا ككلّ . و هنا يظهر التناقض بين الشباب الذين يحصلون على " تعليم " وفق التقاليد الأصوليّة الفاشيّة و تُزرع فيهم تلك النظرة إلى العالم ، ثمّ يمضون إلى الجامعات السائدة و يواجهون واقع أنّ نظريّة التطوّر تقدّم لهم كنظريّة تامة الرسوخ و مدلّل على صحّتها . لهذا يطوّر المسيحيّون الفاشيّون طُرقا لمحاولة معالجة هذا . فهم ينظّمون مخيّمات صيفيّة إليها يرسلون المتخرّجين من المعاهد لإعدادهم إلى الجامعة : " كلّ هذه الدعاية العلمانيّة التي ستستمعون إليها حينما تلتحقون بالجامعة – كلّ تلك الأشياء العلمانيّة الإنسانويّة و كلّ تلك الأكاذيب عن نظريّة التطوّر . [ضحك] لذا هذا ما تحتاجون إلى تعلّم قوله لأجل تخطّى جميع أكاذيب و ترّهات الواقعيّة و الإطلاقيّة و بقيّة ذلك . تمضون إلى ذلك المعرض في المتحف في نيويورك عن داروين و نظريّة التطوّر – كلّ ذلك أكاذيب " . و علاوة على هذا ، تنظّم المجموعات الأصوليّة رحلات و ينقلون الناس إلى متاحف فكر الخلق (و قد فتح حديثا متحف في ولاية كنتوكى ، على سبيل المثال ، أيت يتعلّمون أشياء من مثل : تشكّل الكانيون الكبير / الغران كانيون نتيجة فيضان كبير له صلة بنوح.

و مرّة أخرى ، نقطة كلّ هذا هي أنّ مدى إمكانيّة إيجاد عالم مكتف ذاتيّا سيكون مطبوعا إيديولوجيّا و غير نافذ و غير قابل لإختراق العالم الأوسع و فهم الواقع فهما عقلانيّا و علميّا إعتمادا على الوقائع .

و بالنسبة للذين هم ضمن الطبقة الحاكمة و يساندون و يشجّعون هذه الحركة المسيحيّة الفاشيّة – و أساسا بالنسبة إلى الطبقة الحاكمة ككلّ – هناك أيضا تناقض حاد في كونهم يحتاجون بعض العلم للقيام بما يبحثون القيم به في العالم – إقتصاديّا و عسكريّا . لكن في المجتمع اواسع ، يحتاجون بصفة متزايدة إلى أناس مدرّبين على عدم التفكير تفكيرا نقديّا و على القبول بنظرة مطلقة إلى العالم لا تستند إلى الخوض في الواقع و فهمه عمليّا . إذا تمّ تدريبها و تعويدها على أفعتقاد في أنّ هناك حقيقة أعلى من الحقيقة العلميّة المؤسّسة ى الواقع ، حينئذ يمكن أن نقول كما يفعل البعض : " لا يهمّ عدم وجود أسلحة دمار شامل في العراق . بوش لم يكذب لأنّه يكرّس إرادة الإلاه في العالم . و هذه حقيقة أعلى و أعظم من أيّة وقائع يمكن أن

تذكروها بشأن الموقف الذى يمكن أن يكون بوش قد إتّخذه في مناسبة ما . هذا لا يهمّ . الأمر يتضمّن حقيقة أعلى ." و حين نكوّن أناسا يفكّرون بهذه الطريقة ، عندئذ – في غياب إنفجار كبير في حياتهم و في المجتمع الأوسع و العالم الذين هم جزء منه – يكون هذا نسبيّا (ليس مطلقا بل نسبيّا) منيعا إزاء الوقائع و التحليل العلمي و الخطاب العقلانيّ.

و يمضى هذا اليد في اليد مع كامل البعد الآخر للهجوم على الفكر النقديّ و المعارضة وهو مركّز بوجه خاص على الجامعات في هذه اللحظة و مقاد من قبل أشخاص و منظمات لها علاقات بأعلى مستويات الحكم في الولايات المتّحدة ، هناك توجّه منسّق لإستهداف و إسكات و / أو طرد من الأكاديميا برمّتها الأساتذة الذين يمضى عملهم و تعليمهم ضد أو حتّى يثيرون مسائلا هامة حول سياسات الحكم و أعمالهم – و بوجه خاص الذين يتحدّون " الرواية الرسميّة " عن طبيعة هذه البلاد و تاريخها و دورها في العالم اليوم . و هذا رأس حربة حركة أوسع لتسحب من الحياة العامة أيّ أساس لنضع موضع السؤال الطاغوت الكامل للحرب و القمع المطلقين من نظام بوش و لإيجاد عالم مكتف ذاتيّا و تعزيز الذات دون امجتمع عموما . و مثلما يضع ذلك مقال حديث في جريدة " **الثورة** " :

" من جهة ، تستعدّ قوى اليمين لإنشاء إدارات جامعة كأدوات فرض و مراقبة بالقوّة للجامعة و للطلبة – بثّ الخوف و التهديد و " تنظيف المنزل " من المفكّرين المعارضين فحينما ينادون بالقيام بهذا ن يتركون الأكاديميين تحت رحمة هجوم المحافظين عليهم .

و من الجهة الأخرى ، يستعدّون إلى تحويل الجامعة إلى **مجال تلقين لا نزاع فيه** حيث الحدود الصارمة ستوضع تحت خطاب تسامحي - و ما يتّصل بالأساتذة الذين يتحدّثون و يكتبون أو يشجّعون التفاعل مع المواضيع الخلافيّة في الفصل إلخ؛ و في ما يتّصل بتحديد و قطع برامج كالدراسات الأمريكيّة الأفريقيّة و دراسات النساء إلخ ، التي تتحدّى و تدحض الروايات و التفسيرات الرسميّة لتاريخ الولايات المتّحدة و اللامساواة في يومنا هذا و عدم التوازن العالمي .

و على مستوى أساسي جدّا ، إنّهم يستعدّون إلى **كسر إلتزام الجامعة بالخطاب العقلانيّ و العلمي** و تقويض قدرتها على التأثير في المجتمع في ذلك الإتّجاه . إنّ محاولة القوى المسيحيّة الفاشيّة أن تحقن الجامعات ب " التصميم الذكيّ " و بتشويه و حجب الحدود بين العلم و الدين ،و تدريبها و تعبأة جيل من " علم الخلق " تدافع عن تطوّر يمثّل علامة شؤم ." (" **تحذير : تحويل الجامعة الأمريكيّة إلى جامعة نازيّة** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 99 ، 26 أوت 2007 ، التشديد في النصّ الأصليّ ؛ و المقال متوفّر على موقع أنترنت revcom.us).

هذا تجسيد دقيق للعلاقات و الوحدة الجوهريّتين بين النزوع غلأى قمع المعارضة و الفكر النقديّ في الكاديميّة و دور المسيحيّين الفاشيّين و أهدافهم ، و المصالح الأوسع للطبقة الحاكمة التي يرتبط بها و التي يخدمها في نهاية المطاف .

و إضافة إلى أهمّيتها العامة السبب الذى توّغلت في تحليله بشيء من الإسهاب هنا في إطار نقاش " **اليد اليسرى للإلاه** " هو أنّ أبستيمولوجيا لورنار تتضمّن في بعض المظاهر الهامة – وهو يقدّم تنازلات هامة – طرقا للتفكير ليست في نهاية المطاف عقلانيّة . و لهذا صلة بكيف يفهم لورنار – أو يخفق في الفهم التام و الصحيح – ما يمثّله المسيحيّون الفاشيّون و مدى العمق و الخطر الذين يمثّلانهم . و قد أخفق لورنار حتّى في نسبه الكثير من نموّ القوّة الأصوليّة الرجعيّة ليس فحسب إلى الأخطاء و إنّما إلى تكبّر " اليسار " كما يرتئيه – والذى يدمج فيه الحزب الديمقراطي بالمعنى العام . و وفق لورنار ، الواقع هو انّ " اليسار " لم يترك مجالا للدين و قد اكّدت العلمانيّة و ساهمت في و شجّعت على أجواء دفعت الناس الذين يبحثبون عن حياة روحيّة و معنى أعلى نحو اليمين. و هذا في جزء كبير منه (على أنّه ليس كلّيا) تفسير لورنار لنموّ " اليمين الدينيّ ".

في الواقع ، هذه الحركة المسيحيّة الفاشيّة ، إلى درجة كبيرة ، هي ردّ فعل إيديولوجي و سياسي رجعيّ على التحدّيات التي تواجهها بعض الإمتيازات و الطرق التقليديّة المتجذّرة التي تشكّلت وفقها العلاقات الإضطهادية و الإستغلاليّة لهذا النظام و توطّدت في المجتمع الأمريكي و كذلك في الدور الأمريكي في العالم . و مرّة أخرى ، يتركّز هذا إلى مدى هام جدّا في البطرياركيّة . فالتغيّرات في دور النساء في المجتمع – و الآن " يا إلاهي ! كلّ هؤلاء المثليّين الجنسيّين الذين يطالبون بالإعتراف القانوني و بالمساواة ! " – و الطرق التي كانت بها القيم التقليديّة المتناسبة مع و إلى درجة هامة المتركّزة في البطرياركيّة يقع تحدّيها و تقويضها حتّى و إن ظلّت في آخر المطاف داخل إطار و حدود النظام الرأسمالي – هذا أمر تجاوز الحدّ بالنسبة إلى الذين ينجذبون إلى المسيحيّة الفاشيّة . و إلى جانب هذا ، استثناء الأمريكي (للعودة إلى صيغة

إستخدمها كيفين فيليبس) أي مفهوم أنّ أمريكا تمثّل الخير بصفة فريدة ، و القائم على علاقتها الخاصة مع الإلاه و مصيها البيّن و مهمّتها الإلاهيّة في العالم – هذا جزء جوهريّ و أساسي من نظام عقائد المسيحيّة الفاشيّة . و هذا أيضا يجرى تحدّيه في المجال العملي و في الصراع عبر العالم كما إيديولوجيّا و سياسيّا تنبذه قطاعات لها دلالتها في المجتمع الأمريكي ذاته – أعداد لا بأس بها لأسباب متنوّعة و منحدرين من وجهات نظر متباينة لا يقبلون بهذه النظرة لأمريكا و علاقاتها ببقيّة العالم . ضمن أعداد كبيرة من الناس في الولايات المتّحدة الذين عارضوا الغزو الأمريكي للعراق و إحتلاله ، جرى التعبير على نطاق واسع عن إحساس أنّ حياة الأمريكيين ليست أهمّ من حياة غيرهم ، و حتّى و إن لم يمثّل ذلك في الجزء الأعظم منه بعدُ قطيعة تامة و راديكاليّة مع الإمبرياليّة الأمريكيّة و من ثمّ' ليس وجهة نظر ثوريّة فإنّه مع ذلك غريب و في تناقض عدائيّ تماما مع النظرة التقليديّة الأصوليّة المسيحيّة الفاشيّة الإطلاقية إلى العالم و الذين تجمّعوا حولها .

يقع تجييش هؤلاء الناس حول برنامج إمبريالي – فاشيّ – و هذا شيء لا يخوض فيه حقّا لورنار أو لا يعترف به تماما – كتوجّه يحدّد بشكل مطلق انّ السبيل الوحيد الشرعي و العادل لنظام الأشياء في المجتمع الأمريكي و للدور الأمريكي في العالم ، يمكن أن يعاد التأكيد عليه و يعاد تركيزه عبر فرض الشكل التيوقراطي للحكم في الولايات المتّحدة نفسها : " هذه أمّة مسيحيّة . أولئك العلمانيّون هم الذين أخرجوا الإلاه و الصلاة من المدارس و المعاهد و الذين شدّدوا على تدريس نظريّة التطوّر في المدارس و المعاهد و الذين أبعدونا عن كلمة الإلاه - لهذا نحن واقعون في المشاكل التي نحن فيها اليوم ، و لهذا يهاجمنا الناس و يفجّرون المباني في مدينة نيويورك ، و لهذا علينا أن نهاجمهم عبر العالم قبل أن يهاجمونا ".

و فيما يمكن للمرء أن يُشير إلى أخطاء و نقائص حقيقيّة لدى " اليسار " بشكل عام – بما في ذلك تأثير باعث للشلل للنسبيّة المستشرية و المرتبطة بسياسة الهويّة – من المضلّل أساسا و من النازع للسلاح إيديولوجيا و سياسيّا أن ينسب صعود هذه الحركة المسيحيّة الفاشيّة و علاقاتها القويّة و تلقّيها الدعم من أعلى مستويات الحكم إلى أخطاء أو " تكبّر " " اليسار ". و الآن هناك طريقة بها رغم إنتشار المشاعر و الأجواء الثوريّة في صفوف فئات عريضة من المجتمع الأمريكي ظهرت بجلاء في أواخر ستّينات القرن العشرين ، واقع أنّه لم تحدث ثورة وقتها تحوّل عمليّا إلى عامل ساهم في صعود البعض من هذه الأصوليّة الدينيّة . و من خلال نهوض ستّينات القرن العشرين ، وُضعت عدّة أشياء موضع سؤال – ليس فقط في مجال الأفكار رغم أنّ ذلك كان في منتهى الأهمّية و لكن أيضا عمليّا ، في مجال الصراع السياسي – أشياء مركزيّة بالنسبة لهذا المجتمع . و كانت الكثير من التغيّرات الحاصلة في جزء منها نتيجة الصراع السياسي الجماهيري و في جزء آخر منها نتيجة تغيّر ظواهر من الاقتصاد و حاجياته . و مرّة أخرى ، من أهمّ أبعاد هذا توجد العلاقة بدور النساء لا سيما ضمن أصحاب الحرف و القطاعات الأخرى من الطبقة الوسطى أين صار في آن معا ممكنا و ضروريّا بالنسبة للنساء الإشتغال لوقت كامل في مسعى للحفاظ على مستوى عيش الطبقة الوسطى . و حين نمزج ذلك بالتعبيرات السياسيّة و الإيديولوجيّة للحركة النسويّة و حركات أخرى تقدّمت في ستّينات القرن العشرين ، أثار الأمر تحدّيا مباشرا جدّا للأشكال المؤسّساتيّة التقليديّة للإضطهاد في هذا المجتمع .

لكن هذا لم يمض إلى نهايته – لم تقع الإطاحة بالهياكل السياسيّة و السلطات التي تفرض هذا الإضطهاد و الإستغلال – و بالتالى لم يقدر على بلوغ جذور و أسس هذه العلاقات . و مع تراجع الحركة و في إطار حصول إعادة تجميع للقوى في صفوف الطبقة الحاكمة و شنّها هجوما على عدد من الأشياء التي ميّزت الحركة السياسيّة و " الثقافة المعارضة " الناشئة في ستّينات القرن الماضي ، إنسحب الكثيرون خاصة من الفئات الوسطى من الذين شاركوا في تلك الحركة . و بالنظر إلى عدّة مجالات من المجتمع التي إتّخذت فيها حركة ستّينات القرن العشرين (و بدايات سبعيناته) تعبيرا راديكاليّا ، أضحت توجّهات و أهداف جزء هام " اليسار " بصفة متزايدة منحصرة و ضيّقة و إصلاحيّة أكثر فأكثر . فإلى درجة لها دلالتها ، إنتقل هذا نحو و تقلّص إلى سياسات الهويّة و أحيانا جدّ ذلك بأشكال ضيّقة و تافهة لا تبلغ جوهر و أساس ما يتجذّر فيه إضطهاد مختلف القوى و بدلا من ذلك تحوّلت إلى شكل من التنافس السلعيّ الضيّق (" إضطهاد مجموعة أ تماثل معها كمقاطعة خاصة – و بالفعل كملكيّة – أناس مثلى و لا حقّ لأي شخص آخر أن يقول أيّ شيء عن ذلك و لا أن يتقدّم أيّ مطالب أو أن يتفاوض من أجل أيّة تنازلات في علاقة بهذا . ")

لذا ن بطريقة ثانويّة جدّا ، ساهم **هذا** في توجيه سوط خلفي ضد حركات المعارضة الشرعيّة و الضروريّة جدّا للأشكال المتنوّعة من الإضطهاد و الإستغلال الذين يمثّلان جزءا لا يتجزّأ من النظام الرأسمالي - الإمبريالي ؛ و بهذا المعنى ، ساهمت في – مرّة أخرى ، ثانويّا – في نموّ المسيحيّة الفاشيّة بوجه خاص . لكن هذا ليس بأي شكل من الأشكال السبب الأساسي أو المحدّد للماذا نمت هذه الحركة الرجعيّة . هذه حركة تقع قيادتها من أعلى – و هنا أحيل على ليس إلاه ما غير

موجود و إنّما على فئات ذات نفوذ قويّ ضمن الطبقة الحاكمة حدّدت أنّ شكل مثل هذه الحركة و حتّى من الممكن تماما أن يكون شكلا تيوقراطيّا أصوليّا مسيحيّا ن الدكتاتوريّة الرأسماليّة ضروريّا نظرا لما تعدّ إلى إنجازه الولايات المتّحدة . و لا تكفّ هذه الوقى المسيحيّة الفاشيّة مطلقا عن البحث عن تحقيق أهدافها . و الجنود المشاة التابعين لهذه الحركة سواء كانوا " من الناس الجيّدين " أم لا يتمّ تدريبهم بروح متزمّتة على أن يكونوا من الجنود المسيحيّين من هنا فصاعدا و تماما الآن على نطاق واسع بمعنى سياسي و إيديولوجي لكن بعدُ كقوّة عسكريّة ممكنة ، إذا إعتبر الذين يقفون على رأس هذه القوى ذلك ضروريّا في لحظة معيّنة .

ربّما لسخرية القدر ، يمكن أن نقول إنّ للحبر رودين (مؤلّف " **تعميد أمريكا : مخطّطات اليمين الديني لبقيّتنا** ") فهم أفضل لهذا مقارنة بالحبر لورنار حتّى و إن كانت وجهات نظر لورنار بالمعنى العام أكثر إغترابا و في تعارض مع الكثير من طبيعة المجتمع الأمريكي و العلاقة الأمريكيّة مع بقيّة العالم ، و كلّ التوجّه الذى تتّخذه الآن . لكن رودين (وهو أكثر " ليبرالي من الفكر السائد ") قد أدرك بوضوح كبير حتّى مع حدوده أنّ " اليمين الديني "حركة لا تتوقّف في تصميمها على تغيير طبيعة المجتمع الأمريكي و كيف يجرى حكمه – بطرق هامة على تغيير بعض أشكال و بعض الأدوات الخاصة تكرّس عبرها الطبيعة الإضطهاديّة للنظام و تفرض . في كتاب " **تعميد أمريكا** " يوضّح رودين بجلاء كبير – و صراحة من المنعش تماما أن نقرأ هذا في كتاب مؤلّفه له نظرة رودين – أنّ محاولة المساومة مع هؤلاء المسيحيّين الفاشيّين لن تعطي ثمارا جيّدة و لن تؤدّي إلاّ إلى أن يغدوا أكثر عدوانيّة .(37)

(37- بخصوص النقطة الأساسيّة بشأن الحاجة إلى المواجهة بلا مساومة و معارضة ما تمثّله الحركة المسيحيّة الفاشيّة كذلك يحاجج كريس هايدجس بقوّة ، من وجهة نظره الخاصة ، في خاتمة " **الفاشيّون الأمريكيّون** " : " كافة الأمريكيّين – و ليس فقط من ذوى الإيمان - مهتمّون بأنّه يجب على مجتمعنا المنفتح أن يتعلّم الحديث عن هذه الحركة بمفردات جديدة و أن يتخلّى عن الموقف السلبيّ و يتحدّى الإستيلاء العدواني لهذه الحركة على المسيحيّة ، و أن يقوم بكلّ ما في وسعه دفاعا عن التسامح ... التسامح قيمة أخلاقيّة لكن التسامح مرفوقا بموقف سلبيّ رذيلة " ، صفحة 207 . عموما لحجج هايدجس هنا و عبر الكتاب إيّاه قيمة و أهمّية معتبرتين ، على هناته جرّاء نظرته الخاصة التي تشتمل على تأويل تقدّميّ للمسيحيّة لكنّه لسوء الحظّ يتأثّر بدرجة لها أهمّيتها بالنظرات الخاطئة و المعادية للشيوعيّة لدي فيلسوف من القرن العشرين ،كارل بوبر ، كما تجسّدت في عمله " **المجتمع المنفتح و أعداؤه** " و كذلك يتأثّر بهانا آرندت و نظريّاتها غير العلميّة عن " الشموليّة ".)

على سبيل المثال ، بشأن المسألة الحيويّة و المحوريّة للإجهاض ، عديد الليبراليّين – و فى هذا " يقودهم " أمثال كلينتن – يروّجون لفكرة البحث عن " أرضيّة مشتركة " مع المسيحيّين الفاشيّين بحجج مثل : " يمكن أن نتّفق جميعا على أنّه من المرغوب فيه تحديد عدد الإجهاضات و جعل الإجهاض نادرا فنتّحد معا لنضمن أن يكون التحكّم في الولادات متوفّرا على نطاق واسع و في المتناول ". مع ذلك ، بعدُ بيّنت التجربة أنّ المسيحيّين الفاشيّين مصمّمين على إلغاء ليس الإجهاض فحسب بل أيضا التحكّم في الولادات و أنّ مثل هذا الإلتماس ل" الأرضيّة المشتركة " لا يجعلهم إلاّ أكثر تزمّتا في البحث عن التخلّص من الإثنين . و مثلما يؤكّد رودن تماما بوضوح و تصميم نادرين ضمن الليبراليّين و التقدّميّين في هذه الأيّام :

" بالنسبة إلى المسيحيّين التيوقراطيّين ، معركة منع الإجهاض في الولايات المتّحدة هي غاتييردهم أو ستالينغرادهم أي المنعرج في الحرب التي يخوضونها لكسب السيطرة على المجتمع . و الإجهاض عشقهم المسيطر و بالنسبة لهم هو قتال ينبغي المضيّ فيه إلى النهاية .

و لئن نجحوا في جعل الإجهاض ممنوعا قانونيّا في أمريكا ، سيكسب قادة المسيحيّين التيوقراطيّين و أنتابعهم المزيد من الطاقة و النفوذ ليدفعوا قدما حملة تعميد أمريكا ". (" **تعميد أمريكا** " ، ص 205-206)

و هذا شيء هام يُدركه الحِبر رودين بصورة أتمّ بكثير و أصحّ من الحِبر لورنار .

و كما يوضّح تصميمهم على إلغاء مراقبة الولادات إلى جانب إلغاء الإجهاض ، ما يكمن في موقع القلب من مسألة الإجهاض و المحاولة التي لا تتوقّف للمسيحيّين الفاشيّين لجعله غير قانونيّ ، ليس قتل الأطفال (و هذا خاطئ في المقام الأوّل) لكن وضع النساء في أغلال العلاقات الإضطهادية التي فيها يقلّص دورهنّ الأساسي إلى أن تكنّ ملكيّة للرجال ومربّيات أطفالهم، وفق " مخطّط الإلاه " و إملاءات المؤوّلين التيوقراطيّين لإرادة الإلاه ".

و الواقع هو أنّه لن نلحق الهزيمة بهذه القوّة المسيحيّة الفاشيّة – و كلّ ما تمثّله و ترتبط به – و لن نكسب أعدادا هامة من الناس لإبعادهم عنها ، دون مواجهتها مواجهة مباشرة جدّا و قويّة جدّا - أجل إزعاج أناس . و بالمعنى الأتمّ ، من الضروريّ تحدّى هذه الحركة و الذين هم الآن جزءا منها جوهريّا و تأسيسيّا في إطار بناء حركة ليست مناهضة للمسيحيّة الفاشيّة فحسب بل هي بصفة متصاعدة تكسب إلى هدف قلب المجتمع و تغييره ككلّ و إجتثاث كافة العلاقات التي فات أوانها و العلاقات الإستغلاليّة التي تبحث الحركة المسيحيّة الفاشيّة عن تعزيزها بأشكال في منتهى الإضطهاد و القمع .

و قد تبيّن أنّه في مسار تحدّى – و أجل حتّى إزعاج – الناس ، يمكن لهم أن يتغيّروا . و لا يتعلّق الأمر بأفراد بل بجماهير شعبيّة . و قد جرت تجربة هذا على نطاق واسع في ستّينات القرن العشرين . فأنا شخصيّا أعرف عديد الناس الذين كانوا في خضمّ معركة الستّينات " جمهوريّين من المياه الذهبيّة " لكنّهم قطعوا مع ذلك و باتوا راديكاليّين جدّا على نحو إيجابي حينها . هذا الضرب من التغيير " من رجعي إلى ثوريّ " حصل على نطاق واسع جدّا في مسار ذلك النهوض الشامل . صحيح و من المهمّ الإقرار بأنّ هناك خصوصيّة لهذه الأصوليّة الدينيّة و أبستيمولوجيّتها التي لها قبضة أقوى على الناس أكثر ممّا للسياسات " المحافظة " الأكثر علمانية لكن هذا أيضا بطرق عميقة يصطدم بالطريقة التي يوجد علها العالم حقّا . و هذا يوفّر قاعدة ماديّة هامة لإنتزاع الناس من هذا المستنقع .

لكن هذا ما سيتطلّبه الأمر – إنتزاعهم من ذلك المستنقع . و في بناء مثل هذا النوع من النضال الذى نحتاج أن نطوّره ضد الجرائم و الفظائع التي إقترفها نظام بوش – و كامل النظام الذى هو جزء مفتاح منه وهو الآن قوّة قياديّة – كسب الذين هم حاليّا واقعين في أحابيل الحركة المسيحيّة الفاشيّة ليس و لا يجب أن يكون بؤرة التركيز و الهدف الأساسي و إنّما ينبغي أن يكون هدفا يُكسب إليه أكبر عدد ممكن من الناس كجزء من جهد أشمل لإعادة إستقطاب المجتمع ، سياسيّا و إيديولوجيّا في إتّجاه أكثر إيجابيّة و في نهاية المطاف بطريقة تكون اكثر مواتاة للثورة التي يمكن في الواقع أن تغيّر المجتمع ككلّ لإجتثاث علاقات الإستغلال و الإضطهاد.

و بدلا من ذلك و في تعارض معه ، نشاهد أنّ موقف لورنار يتداخل إيديولوجيّا مع و يجد تعبيرا له في سياسة في سياسة هي في نهاية الأمر و أساسا إصلاحيّة . عبر " **اليد اليسرى للإلاه** " يردّد لورنار كيف أنّ " اليسار " يمكن أن يعود إلى السلطة – كما لو أنّ المسألة مسألة ما إذا كان " اليمين " أو " اليسار " ببعض المعنى اللاطبقي هو الماسك بالسلطة – عوضا عن إدراك أنّ ما يوجد هو **نظام تحكمه طبقة** ، نظام طبيعته **متجذّرة في علاقات الإنتاج الكامنة** و يتّخذ تعبيره في البنية الفوقيّة بمعنى الحكم السياسي كشكل أو آخر من **دكتاتوريّة البرجوازيّة** . و في علاقة بهذا ، الجمل الثلاث - التي توجد ، ضمن مواقع أخرى ، في " **التقدّم بطريقة أخرى** " - مفيدة للغاية وهي تقتنص بعض الواقع الأساسي بصفة مكثّفة :

" فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن **الطبيعة الطبقية** لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات ، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي : **ما هي الطبقة** التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم **تواصل** أو فى النهاية **القضاء** على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ." (أنظروا " **التقدّم بطريقة أخرى** " على موقع أنترنت revcom.us) (38)

(38- نقاش أوسع للمسائل المتّصلة بمضمون هذه الجمل الثلاث أعلاه و بالديمقراطيّة و الحكم الطبقي و بالإنتقال من كافة أنظمة الحكم الطبقيّة إلى مجتمع شيوعيّ – دون إختلافات طبقيّة و مستغِلّين و مستغَلّين و دون دكتاتوريّة من أيّ صنف كانت – موجود في أعمال أخرى للكاتب و منها " **الديمقراطيّة : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** " و " **ماتت الشيوعيّة الزائفة ... عاشت الشيوعيّة الحقيقيّة** " (الطبعة الثانية ، 2004) و كرّاس " **الدكتاتوريّة و الديمقراطيّة ، و الإنتقال الإشتراكي إلى الشيوعيّة** ".)

و كما جرت الإشارة إلى ذلك أعلاه ، عادة ما يماثل لورنار " اليسار " مع الحزب الديمقراطي وهو موضوعيّا **حزب الطبقة الحاكمة** . و بينما ينجز نقدا صائبا و أحيانا حادا لسياسات و حتّى لتوجّه الحزب الديمقراطي، من الجليّ أن لورنار يعتقد عمليّا أنّه من الممكن التأثير في قسم من الطبقة الحاكمة كما يمثّله الحزب الديمقراطي لتبنّى البرنامج الذى يدافع هو عنه . إنّه يُقرّ بأنّ الناس سيتهمونه بأنّه غير واقعي – وهي تهمة يردّ عليها بأنّ الأشياء كما هي الآن ليست لا إيجابيّة و لاواقعيّة بمعنى إنشاء عالم أفضل . غير أنّه لا وجود لإعتراف للورنار بأنّ الحزب الديمقراطي – و بالمناسبة ، " اليسار " كما

يشخّصه هو ، " يسار" يوجد حقيقة في إطار حدود النظام الرأسمالي حتّى في حين يعارض بعض لامساواته الأمرّ- تعبير في البنية الفوقيّة للإنتاج و العلاقات الإجتماعيّة الكامنة و لديناميكيّة المراكمة الرأسماليّة التى تحدث عبر علاقات الإنتاج هذه و أنّ علاقات الإنتاج هذه و سيرورة المراكمة هذه جوهريّا و في آخر المطاف تعيّن الإطار و الحدود الذين داخلهما تجرى الصراعات في المال السياسي داخل هذا النظام . **لهذه الأسباب الأساسيّة** ، ليس ممكنا كسب الحزب الديمقراطي لنوع النظة و البرنامج الذين يحاجج من اجلهما لورنار و بحماس . و لنأخذ برنامج لورنار كما يعرضه هو نفسه – و لنترك جابا للحظة واقع أنّه من وجهة نظر الإلغاء التام لعلاقات الإستغلال و الإضطهاد ، يخفق برنامج لورنار في المضيّ بعيدا و حتّى في مظاهر هامة يعمل ضد هذا الهدف – الحقيقة هي أنّه على ضوء و طالما تظلّ الأشياء في حدود العلاقات و السيرورات الأساسيّة للرأسماليّة ، برنامج لورنار هذا غير واقعيّ و غير قابل للتحقيق تماما .

إنّ الحدود الشديدة لوجهة نظر لورنار الإيديولوجيّة و كذلك لبرنامجه السياسي تبرز بحدّة في علاقة بإضطهاد النساء . و الآن، عليّ أن أعترف بأنه هنا يغريني قول : لا تصدّقوا أبدا أي شخص ديني حين يتعلّق الأمر بالبطرياركيّة [ضحك]، لا تصدّقوهم أبدا ، على الأقلّ ، أنّ لهم موقفا متماسكا في معارضة هذا الإضطهاد و مساندة التحرّر التام للنساء . ربّما من غير العادل القيام بهذا التعميم الشامل – لكن ليس عرضا أنّ حدود لورنار الإيديولوجيّة و السياسيّة تتّخذ أبعادا قويّة و تعبيرا مكثّفا في مسألة الإجهاض حيث يتقدّم – بنزاهة حقّا – بمواقف رهيبة كلّيا تعكس بدورها بطريقة مكثّفة بعض نقاط الضعف الجوهريّة لنظرته و مقاربته العامتين .

في الفصل المعنون بدلالة ، " الأسرة و الجنسانيّة و المسؤوليّة الفرديّة " ، من كتاب " **اليد اليسرى للإلاه** " ينطلق لورنار مباشرة في قسم حول الإجهاض بصيغة صرنا الآن معتادين عليها بشكل كبير : " إجعلوه آمنا و قانونيّا و نادرا " (الصفحة 267) . و من هذا و بصورة عامة يمكن رؤية كيف أنّ موقف لورنار بشأن هذه المسألة على الخطّ بصفة وثيقة مع رؤية سياسيّين برجوازيّين كبيل كلينتن و هيلارى كلينتن و ألغولر و قيادة الحزب الديمقاطي بشكل عام . و الآن ، يشدّد لورنار على قول : " التقدّميّون الروحيّون ينبغي أن لا يشكّوا أبدا في معارضة أيّة محاولات لجعل الإجهاض غير قانونيّ " . و يضيف مباشرة : " لكن يجب أن لا نشكّ كذلك في الإعتراف بالإجهاض كخسارة تراجيديّة ". و مذّاك يسترسل على هذا النحو .

و يزعم لورنار أنّ " معظم النساء اللاتى عرفن الإجهاضات ستقول لك إنّه من المؤلم شعوريّا المرور بهذه الخسارة للحياة ". (ص 267) هناك شيئان أساسيّان خاطئان بهذا الصدد . بادئ ذي بدء ، هذا ليس صحيحا . إنّه بعيد جدّا عن حقيقة أنّ " معظم النساء " اللاتى عرفن الإجهاضات ستتّفق مع لورنار بهذا الشأن . و ثانيا ، إلى درجة أنّ هناك أيّة حقيقة في هذا – إلى درجة إنطباق هذا على بضعة نساء عرفن الإجهاضات – لا يمكن أن نفصل ذلك عن الإطار الاجتماعي الأوسع الذى فيه كان الهجوم الشامل لليمين على الإجهاض سياسيّا و إيديولوجيّا هجوما تخلّى أثناءه ليبراليّون و تقدّميّون – بمن فيهم أمثال لورنار و كذلك سياسيّي الطبقة الحاكمة أمثال بيل كلينتن و هيلارى كلينتن و ألغور – عن أرضيّة أخلاقيّة و إلتحقوا بكورال يصرّح بأنّ الإجهاض تراجيديا حتّى و إن كان أمثال لورنار لا يؤمنون أنّه يتعيّن جعله جريمة .

أنصتوا إلى لغة لورنار هذه و لا تنسوا أنّه يتحدّث هنا عن الإجهاض : " معجزة الحياة التي تسرى فينا تستحقّ أن تعامل بتقديس و عناية ؛ و لمّا تبدّد الحياة ، تكون النتيجة تعاسة جماعيّة و حداد ." (ص 267).

لاحظوا : ليست حتّى " تعاسة و حداد " شخصيّين بل جماعيّين . عند هذا الحدّ أشعر بالرغبة في إستحضار مُزحة قديمة عن لون رنجر و تنتو حيث خرج لون رنجر بصحبة تنتو و فجأة حاصرهما الهنود الحمر فجعلوهما يترجّلان و هدفا لإطلاق النار ؛ و مع تفاقم سوء الوضع ، في النهاية وجّه لون رنجر نظره إلى تنتو قائلا: " حسنا ، يبدو أنّنا في وضع سيّء يا تنتو". فكانت إجابة تنتو : " **ماذا تقصد ب " نحن " أيّها الرجل الأبيض** ؟ " [ضحك] . لذا هنا و بالروح نفسها أتوجّه للورنال بالكلام التالى : " **ماذا تقصد ب " معجزة الحياة التي تسرى فينا " ، أيّها الرجل الأبيض** " ؟ [ضحك]

و لننظر عن كثب أكثر في هذا الموقف الذى يبدأ ب : " معجزة الحياة التي تسرى فينا تستحقّ أن تعامل بتقديس و عناية ". لاحظوا إختيار الكلمات " لمّا **تبدّد** الحياة " للإحالة على الإجهاض : هذا يشبه إلى درجة كبيرة وصفا طائشا يعتبر أخذ حياة إنسانيّة – شيئا مشابها و ليس متطابقا تماما – بمثابة جريمة قتل . و حتّى الأكثر لطفا ، أو ما يفترض أنّه كلمة لها صدى بهيجا ، كلمة " معجزة " تسرّبت إلى هذا النقاش تعبيرا عن شعور بالروحانيّة في سيرورة التوالد . تربية الأطفال – إذا كان مرغوبا فيها و يتمّ السعي إليها و التخطيط لها – قد تجلب فعلا سعادة كبرى لكن لا وجود لشيء "روحاني " بهذا المضمار.

و مماثلتها مع مفاهيم " المعجزة " – و خاصة حين تستخدم جملا من مثل " معجزة الحياة التي تسرى فينا " – تحفّز على معنى أنّ تربية الأطفال نوعا ما **واجب** – واجب مغمور بمعنى الفريضة **الدينيّة** . و لاحظوا كذلك كيف يجعل لورنار من الإجهاض " تراجيديا " لا تشمل المرأة فحسب بل أيضا المجتمع بأسره ؛ و في إنسجام مع النظرة إلى هذا كنوع من التجربة الجماعيّة ، لاحظوا مجدّدا كيف يتكلّم لورنار بلغة منتقاة عمدا ، لغة " معجزة الحياة التي تسرى **فينا** " . و كما سنرى ، ليس هذا تركيبا عرضيّا للجمل .

للحظة فقط قبل الآن ، حينما إقتطفت ما يقوله لورنار متحدّثا عن الإجهاض على أنّه " " خساارة تراجيديّة " ، لم أذكر عمدا موقفه بأكمله هناك و إنّما إحتفظت بجزء منه فقط . و المضمون الكامل لما يقوله لورنار في تشخيص الإجهاض ك " خسارة تراجيديّة " هو أنّ الأمر كذلك " ليس فحسب للمرأة كفرد إختارت أن تجري الإجهاض لكن بالنسبة **للمجتمع ككلّ** ". (ص267 ، التشديد مضاف) . و يصبح هذا حتّى أسوأ مع مواصلة لورنار خطابه بهذا المضمار : بعد قليل ، يمضى بعيدا إلى حدّ المحاججة بأنّه مع إجراء إجهاض " ، لا تؤثّر " هذه الخسارة للحياة في المرأة و حسب بل أيضا في الرجل الذى شارك في تشكيل الحمل و في المجموعة التي تعيش ضمنها المرأة و في كامل المجتمع عامة ". (ص 268، التشديد مضاف هنا) (39)

(39- على سبيل المثال ، جدّت تحرّكات حديثة في ولاية أوهايو لفرض قوانين تمنح عمليّا " الرجل الذى شارك في تشكيل الحمل " **سلطة الفيتو** على حقّ المرأة في الإجهاض و هذا المثال يقدّم بصفة حادة مدى الفظاعة الحقيقيّة لموقف لورنار بشأن الإجهاض).

نظرة لورنار هي أنّ الموقف الذى يدافع عنه " لا يخفّف من عبء المسؤوليّة الأخلاقيّة للقيام بهذه الخيارات " و يضيف بعناية : " و كذلك لا يمكّن المجموعة من التدخّل لتقوم بالإختيار لنا " وهو " يحذّر من أن يسعى أيّ شخص للضغط على امرأة لتكون جزءا من السيرورة الجماعيّة هذه ". (ص 268-269) لكن لورنار يحاجج بأنّ مثل هذه السيرورة الإجتماعيّة إيجابيّة لأنّها " تضعنا جوهريّا في إرتباط الواحد بالآخر و كأشخاص يتحمّلون بعض المسؤوليّة في المراقبة مع الآخرين لتأثير أفعالنا عليهم " (ص 268).و الآن يقول إنّ هذا ليس مراقبة يمكن أو يتعيّن أن تفرض قانونيّا . و يسترسل : " تكلّمت أعلاه عن بناء حركة أنشأت أخلاقيّات في الثقافة الليبراليّة و التقدّميّة التي كانت لا تحبّذ تقويض الجنسانيّة . لذا كذلك ، يتعيّن أن نبحث عن إنشاء أخلاقيّات تشعر فيها النساء بأنّهنّ مدعوّات للفحص الطبّي و للحصول على مساندة الآخرين المتأثّرين بقرارهنّ الإجهاض ، و بالمقابل بالنسبة للذين ينخرطون في توفير الدعم و الرفاه إذا كان هكذا قرار متّخذا من أمرأة حامل . **في كلّ مرحلة من مراحل هذه السيرورة ، تحتاج المجموعة المناسبة أن تنخرط بطريقة تبدى بها العناية و المساندة** " .(ص 269 ، التشديد مضاف هنا)

و من الأشكال الأساسيّة ل " المساندة و العناية " اللذين يدافع عنهما لورنار أنّ، كما يضع ذلك : " مجموعة روحيّة ينبغي أن توجد هناك لتوفّر الدعم العاطفي و الروحي و لتجعل من الممكن للمرأة أن تعبّر حقّا عن حزنها للخسارة [في حال الإجهاض] و لتؤكّد نظرة مشتركة لتقديس الحياة ". و يمضى لورنار حتّى بعيدا إلى حدّ المناداة بإقامة إحتفالات للتعبير الرسميّ عن هذا الحزب الفرديّ و الجماعيّ ،كما يدعو – لاحظوا هذا جيّدا – إلى " طقوس حداد و التطهّر عارفين أنّه في غياب هذه الطقوس تعاش التراجيديا عادة فقط فرديّا " (أنظوا الصفحتين 267 و 268)

و ينبغي أن نقول مبارة إنّ – بالرغم من لغة العناية و المجموعة و الرعاية و الدعم و بالرغم من التنازلات بشأن عدم محاولة الضغط على المرأة لتشارك في هذه السيرورات الجماعيّة – وجهات نظر لورنار هذه و تبعات ما يدافع عنه ستتسبّب بصفة مباشرة جدّا في إضطرابات في صفوف الناس ذوى الفهم العميق (و حتّى الفهم ألساسي) لكيف أنّه لآلاف السنين لم تستخدم فحسب قوّة الدولة و إنّما أيضا العادات و التقاليد الإجتماعيّة – و أجل ، ضغط المجموعة الإجتماعيّة – للحفاظ على النساء في وضع إضطهاد و لعقابهنّ غالبا بالطرق الأقسى و الأكثر وحشيّة متى إعتُبر أنّهن تتجاوز الحدود الإضطهاديّة .

هنا ، أتذكّر ملاحظات ريتشارد برايور عن كيف أنّه لم يرغب في سماع الأشخاص البيض يستخدمون كلمة " زنجيّ " . قال إنّ ذلك جعله يردّ بالطريقة نفسها عندما سمع أطفالا جيدّين يصرخون وسط الليل : " يايا ... هايا ! ! " ، سرت قشعريرة أسفل عموده الفقريّ – و ليس بطريقة جيّدة .

مهما كان ما يسعى إليه لورنار ، الواقع هو أنّ ما ينادى به بخصوص الإجهاض سيساوى في الواقع لا شيء أقلّ من تأبيد الإضطهاد البطرياركي - و حتّى أسوأ الفظائع المرتبطة به - و مأسسة الفرض الجماعي للتقاليد و القيم و العلاقات البطرياركيّة و يُفرض بتغطية النساء في كفن ثقيل من الذنوب . و يجب أن يقال إنّ ما يتقدّم به هنا ليس يختلف كثيرا عن الخرقة القماشيّة الملطّخة بالدم ليلة الزفاف . [تصفيق] و من غير المفاجئ أنّ هناك صلة وثيقة جدّا بين وجهات النظر الفظيعة حقّا هذه للورنار و جانبه العاطفي المتّصل بالعائلة فقد كتب :" لا يهمّ ما يعيشه طفلنا الخاص ، لا يهمّ كم علينا أن نناضل لاحقا في الحياة لإصلاح بعض الأذى الذى يتسبّبت فيه أولياء أقلّ من أن يكونوا مثاليّين ، تقريبا جميعنا يعترف بأنّ العائلة هي المؤسّسة الوحيدة في مجتمعنا التي يقوم هدفها الصريح على توفير الحبّ و العناية ." (" **اليد اليسرى للإله** " ، ص 241).

و هنا مرّة أخرى ، على المرء التساؤل : على وجه الضبط عن أي عالم يتحدّث لورنار ؟ " و هذا ليس لقول إنّه لا يوجد أولياء يحبّون أطفالهم و يتنون بهم ؛ لكن ماذا أفرزت التجربة الفعليّة عبر آلاف السنوات وصولا إلى الوقت الحاضر ، خاصة بالنسبة إلى النساء في إطار العائلة و حدودها ؟ ما أفرزته التجربة بعيد عن هذه النظرة العاطفيّة و الرومنسيّة للعائلة. إلى يومنا هذا ، و في ما يسمّى ب " المجتمع الحيث " ، إقتُرفت أهوال في إطار العائلة . و لنتذكّر (كما أشرت في " **الوعظ من منابر العظمة** ") أنّ فقط إلى بضعة العقود الأخيرة مفهوم الإغتصاب صلب الزواج كان يُعتبر و يتعاطى معه إجتماعيّا و قانونيّا كتناقض بمعنى أنّه " حسنا ، إلى ثمانينات القرن العشرين ، في معظم الولايات في الولايات المتّحدة إستطاع الرجال أن يغتصبوا **قانونيّا** نساءهم " ؛ و أنّ إلى تقريبا نهاية القرن العشرين لم يُعلن ذلك جريمة في كافة الولايات ، و قد انت شمال كارولينا آخر ولاية للقيام بذلك في أواخر 1993. (أنظروا " **الوعظ من منابر العظمة** "، ص 20 ، التشديد في النص الأصليّ).

و دعونا لا ننسى ما أشرت إليه أيضا في " **الوعظ..**" وهو لا يزال صالحا بدرجة كبيرة اليوم :

" من المرجّح أنّ معظم النساء يقع هنّ من قبل أزواجهنّ – و من المرجّح أنّ الأطفال يتعرّضون للهرسلة و الهجمات الجنسيّة من قبل آبائهم – و من غرباء عنهم . و فقط في السنوات الحديثة – و على نطاق واسع نتيجة للنهوض الاجتماعي ل " ستّينات القرن العشرين " (و الذى تواصل عمليّا إلى سبعينات القرن العشرين) و بالخصوص بفضل الحركة النسائيّة التي نجمع عن ذلك النهوض – جرى تسليط الكثير من الضوء على **هذا** العنف " الأسريّ " الرهيب . و قبل ذلك ، كان هذا إلى درجة معتبرة مدسوسا في الظلام ، خلف الأبواب الموصدة (" المنزل" ، تحت حماية " تقدسي "" الأسرة التقليديّة " ". (ص 19 ، التشديد في النصّ الأصليّ)

لذا ، أن نقول على الأقلّ – و في الواقع أن نقلّل من وحشيّة هذه الأشياء – إنّ لورنار الذى ذكرت هنا حول كيف أنّ العائلة هي " العائلة هي المؤسّسة الوحيدة في مجتمعنا التي يقوم هدفها الصريح على توفير الحبّ و العناية " تمثّل صورة عالية الرومنسيّة و التشويه للعائلة و للعلاقات التقدّميّة التي لا تزال في الساس وجوهريّا تحدّد العائلة كمؤسّسة بطرياركية و كجزء لا يتجزّأ من العلاقات الإضطهاديّة العامة للمجتمع الرأسمالي – مقاومة بوضوح نوايا و مساعى عدّة أولياء (بمن فيهم بعض الآباء) لبناء صنف آخر من العلاقات الأسريّة .

و الآن ، ليس لورنار جاهلا تماما و لا هو يجهل كلّيا واقع و تاريخ الإضطهاد المتّصل بالعائلة . لكن في إنسجام مع وجهات نظره العامة ، لا يقدّم هذا كشيء مرتبط إرتباطا لا تنفصم عراه بإنقسام المجتمع إلى طبقات متعادية – شيئا ينزع نحو الوجود كجزء تام و أساسي من أيّ مجتمع تحكمه طبقة إستغلاليّة و بأكثر تحديد في ذلك المجتمع الرأسمالي المعاصر .

مقاربة لورنار لهذا تبعا لذلك هي مقاربة إصلاحيّة ليس بوسعها و لن توفّر وسائل بلوغ الجذور – و في نهاية المطاف إلغاء – البطرياركيّة و إضطهاد النساء . فهو يضع المر على النحو التالى : " طبعا ، لا ترتقى كافة العائلات إلى المثال الأعلى للوجود في موقع حيث تقدّم عناية و مساعدة حقيقيّتين " . لن يبدو إلاّ عادلا أن نعطي لورنار نوعا من الجائزة لإستهانته بالأمر هنا . [ضحك] و يواصل " و كذلك ، لم تكن العائلة تمثّل دائما قيمنا العليا ". في مناسبتين بالتناسب ينبغي أن يحصل على جائزة . [ضحك] و يسترسل " من المكاسب العظيمة للقرن العشرين كان إدراكنا أنّ الأسرة البطرياركيّة كانت تضطهد النساء و الأطفال و تدعم الإنقسامات الطبقيّة في المجتمع الأوسع ، صانعة الشرعيّة لمفهوم أنّ اللامساواة في القوّة " أمر طبيعي ". و يقول إنّ " التقدّميّين روحيّا يبحثون عن تشجيع تطوّر العائلات من هيكلة تقوم على الهيمنة إلى هيمنة مؤسّسة على التشارك الروحيّ ". (" **اليد اليسرى للإله** " ، ص 242)

لاحظوا أوّلا : تطوّر – ليس ثورة – في حين أنّ الثورة هي اللازمة حقّا . و إلى جانب الحدود الأخرى و التناقضات في موقف لورنار هنا ، الواقع الذى لا يمكن تجنّبه هو أنّه كما قد ناقشت هنا و في مواقع أخرى ، التقاليد الروحيّة و الدينيّة و ما يرتبط بها من قيم يريد أن يؤسّس عليها الأشياء هي ذاتها قوى ذات نفوذ في خدمة تبرير البطرياركيّة و إضطهاد النساء . و يتداخل الإخفاق في القطيعة مع هذه التقاليد و القيم تمام التداخل بالتمام نحو إقتلاع الجذور – هذا الإضطهاد و بالفعل كافة الإضطهاد .

لهذا ليس مفاجأ مرّة أخرى كما هو الحال مع الإجهاض ، أن يُخفق لورنار في فهم جوهر ما يجرى مع التأكيد العدوانيّ للمواقف الرجعيّة ، البطرياركيّة ، للمسيحيّين الفاشيّين ؛ و يرتبط هذا بواقع أنّ وجهات النظر الخاصة بلورنار بهذا المضمار تتقاسم بعض المقدّمات الأساسيّة مع الأصوليّين الدّينيّين . إنّه يُخفق في فهم أو في الموافقة على أنّه **لا يوجد أساس جيّد مطلقا** – و أنّه من الخاطئ تماما و مبدئيّا – البحث عن أيّ قاسم مشترك أبدا مع هؤلاء المصمّمين ليس على جعل الإجهاض غير قانونيّ فحسب بل كذلك على التأكيد القويّ للسلطة و الإضطهاد البطريكيّين المطلقين .

للحصول على معنى أتمّ ، يجدر بنا أن نستشهد بمقال لروسال شورتو في قسم من " **مجلّة الصانداي** " التابعة ل " **النيويورك تايمز** " بتاريخ 7 ماي 2006 و عنوانه " ضد وسائل منع الحمل " . و ضمن أهوال أخرى مشار إليها في المقال إيّاه ، يصف شورتو ما يسمّيه الأصوليّون المسيحيّون ب " الحفلات الراقصة للنقاوة " . و يقتطف شورتو ليسلى أنروه مموّل هذه " الحفلات الراقصة للنقاوة " حيث يحضر **الآباء** مع بناتهنّ المراهقات ، وهو يقول : " نعتقد أنّ العلاقة بين الآباء و بناتهم هي المفتاح " ، و يعيد شورتو رواية كيف أنّه في مثل هذه " الحفلات الراقصة للنقاوة " ، " يقدّم الأب " خاتم نقاوة " لإبنته - رمزا للوعد الذى تطلقه بالحفاظ على عذريّتها لزوجها المستقبليّ . ثمّ أثناء حفل زفافها ، تقدّم الفتاة الخاتم لزوجها الجديد ".

و ضمن أشياء أخرى ، الكلمة المناسبة لهذا هي : " مريض **!** " [ضحك] و مثلما علّقت على ذلك رفيقة عندما قرأت عليها الوصف أعلاه : إنّه يستحضر وجهات نظر العلاقات الجنسيّة المحرّمة والحذر تجاه كلّ مزاد من المزادات العلنيّة للماشية. و مجدّدا ، إلى أي مدى هذا بعيد عن الخرقة القماش الملطّخة بالدم ليلة الزفاف . و عقاب القتل إذا لم تكن خرقة القماش ملطّخة بالدماء ؟

و إلى جانب هذا ، بالرغم من أنّ لورنار يبحث عن الدفاع عن حقوق المثليّين الجنسيّين و عن معارضة الهجمات عليها من قبل " الحقّ المسيحي " ، هو مضطرّ إلى بعض أكثر الإلتواءات المدهشة و السخيفة في محاولة تسوية هذا الموقف مع التقاليد الدينيّة التي يتماثل معها و التي يرغب في التشجيع عليها . و على سبيل المثال ، عديد الناس الذين شاركوا في النقاش حول العلاقات بين نفس الجنس و زواج المثليّين معتادين على الموقف السيّئ الصيت في سفر الاويّين 18:22 لرجل لا يقيم علاقات جنسيّة مع رجل آخر : " وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ .إِنَّهُ رِجْسٌ ." حسنا ، يزعم لورنار بأنّ هذه الكلمات " تسمح بتأويل أنّ الرجال يجب أن يطوّروا تصرّفات جنسيّة خاصة للعلاقات المثليّة التي لا تبحث عن مماهاة التصرّفات الخاصة للعلاقات بن الجنسين " . (" **اليد اليسرى للإلاه** " ، ص 264) لست بصدد المزح – هذا ما يقوله لورنار فعلا. [ضحك] من العسير صراحة أن نعتقد أنّ أي شخص بما في ذلك لورنار ، معتاد أبدا على هذا المقطع و عامة على الكتابات المقدّسة الذى هو جزءا منها ، يمكن جدّيا أن يصدّق ما يتفوّه به لورنار هنا . لكن لورنار بالمعنى العام يراوح مكانه و لا يمكن أن يساعد في المضيّ عبر هذه الإلتواءات الفكريّة لأنّه مصمّم على التشجيع على " الحياة الروحيّة التقدّميّة المتجذّرة في هذه الكتابات المقدّسة و التقاليد الدينيّة المرتبطة بها ،و مع ذلك يجرّه فهمه للعدالة إلى معارضة إدانة االعلاقات المثليّة . و تصبح الأشياء أكثر توتّرا لأنّ ليس فقط أي تأويل عقلانيّ للآية المعنيّة من سفر لاويّين يوضّح أن الجنس بين الرجال مُدان بأقوى العبارات " إنّه رجس ") لكن بعد قليل في سفر لاويّين يتمّ إعلان عقوبة العلاقات بين الرجال وبكلمات جليّة : " وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطِجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلاَ كِلاَهُمَا رِجْسًا .إِنَّهُمَا يُقْتَلاَنِ . دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. سفر لآيين 13: 20).

و أنا آسف لكن سفر لاّيين يعنى ما يقول و هذا بالأحرى بديهيّ – هذا يعنى أنّ رجلا لا يمكن أن يقيم علاقات جنسيّة مع رجل آخر ة يفترض أن لا تكون له عدا علاقات جنسيّة مع امرأة ضمن الحدود الخاصة لعلاقات الملكيّة – أي ضمن زواج تقدّه السلطات الدينيّة و السياسيّة . لا وجود لتأويل **عقلاني** آخر لهذا . لا أؤمن بوجود أيّ سبيل يمكّننا من أن نقول حقيقة إنّ الكتاب المقدّس ، في سفر لأويّين يؤكّد ببساطة : " حين تضطجع مع امرأة ، إفعل ذلك في وضع زرع ، لكن حين تضطجع مع رجل ن لن تستطيع فعل ذلك ، لذا بطبيعة الحال عليك فعل ذلك في وضع آخر " .[ضحك]

تاليا ، أودّ الحديث عن وجهات نظر لورنار للرهبة و الدهشة . و هذا موضوع متكرّر في كتابه : حاجة البشر إلى الرهبة و الدهشة . الآن ، أجد مناطق هامة من الإتّفاق مع لورنار في هذا – و هذا أمر أبرزته في عدد ن الكتابات و الخطابات بما فيها " **الوعظ من منابر العظمة** ". لكن هناك مشكلتين جدّيتين في وجهات نظر لورنار بهذا الشأن .

قبل كلّ شيء ، بينما لا يفعل سوى الإحالة على الرهبة و الدهشة بصورة متكرّرة سيصوغ ذلك ك " هبة و دهشة لدي الخلق " . لذا، مباشرة جلب عنصرا دينيّا أو إقتراح تجربة دينيّة بهذا الشأن . و إذا فهمنا وجهة النظر و المنهج العلميّن نتوصّل إلى أنّه لا خلق بالمعنى الديني – أي ، لا وجود لخالق ، لا كائن ما فوق الطبيعة و إنّما فقط مادة في حركة لا نهاية لها وهي تشهد تغييرا مستمرّا – ثمّ سنفهم أنّه بينما الرهبة الدهشة هامتين ، لا توجد و لا يمكن أن توجد رهبة و دهشة " في الخلق " لكن بالأحرى رهبة و دهشة ما هو في الواقع اشكال تفرّع الطبيعة و تغيّرها و الطريقة التي يمثّل بها هذا نفسه بأشكال متنوّعة عدّة و عادة غير منتظرة .

ثانيا ، لورنا يتّخذ موقفا وحيد الجانب بصدد الرهبة و الدهشة فنظرا لتأثير وجهات نظره الدينيّة - فلسفته المثاليّة و ميتافيزيقيّته – لم يستوعب العلاقة الجدليّة بين ، كما ستقولون ، المادية و الرومنسيّة ؛ بين تجربة الرهبة و الدهشة من جهة و معالجة أمور غامضة من الجهة الأخرى ،و هذه سيرورة متواصلة لا تنتهى البتّة طالما وُجد البشر. و لوضع هذا بطريقة أخرى ، إنّنا نحتاج الرهبة و الدهشة – لكن ليس رهبة و دهشة تطيّريّتين .

في كتاب " **ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة** " ، تحدّثت عن كلا جانبي الصورة ، كلا مظهري التناقض المعنيّ . و كما وضعت ذلك هناك : " يحتاج البشر للدهشة . لا نحتاج إلى الدين لتحقيق ذلك أو تقديره . في حركة العالم الماديّ و تفاعل البشر مع بقيّة الواقع ، الأمور الغامضة تعالج وتظهر أمور غامضة جديدة " (" مسمّم بالحقيقة " ، ضمن كتاب " **ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة** " ، ص 69).

و قد شدّدت كذلك مثلا في " **الوعظ من منابر العظمة** " :

" الشيوعيّة – الشيوعيّة الحقيقيّة ، الحيويّة لماركس و لينين و ماو و ليست " الشيوعيّة " الزائفة التي تفتقد الحياة لخروتشوف و بريجناف و دنك سياو بينغ – تُغرق بل تعطى أتمّ تعبير هارب ل " الروح الإنسانيّة " ، للخيال و التأمّل المستمرّ للأشياء التي هي عند نقطة معيّنة مصدر الغموض و الرهبة . ترفض الشيوعيّة مفهوم أنّ الغموض و الرهبة يجب أن يتماثلا فقط مع الأشياء التي يمكن معرفتها أو فهمها ؛ كما ترفض أن يكون أعلى تعبير عن هذا الغموض و هذه الرهبة الإعتقاد في بعض المصمّمين الذين لا نعرف و هم فائقي الوصف و يتجاوزون الواقع الماديّ ؛ و ترفض أن نلغي التمييز بين الخيال و الواقع الموضوعي عبر إدّعاء أنّ قوى و كائنات ما فوق الطبيعة التي خلقها البشر في خيالهم ليست واقعيّة بل هي القوى الحاكمة و المتحكّمة في الوجود ." (" **الوعظ من منابر العظمة** " ، ص 87 . و يتمّ الحديث عن هذا كذلك في " **الماديّة و الرومنسيّة : أيمكننا الحياة دون أسطورة** " ، المضمّن أيضا في كتاب " **ملاحظات...** ").

و طريقة أخرى لوضع هذا هو أنّ الماديّة و الأمور الغامضة يمثّلان تناقضا (ب " مصطلحات ماويّة " ، يمثّلان وحدة أضداد). و يخوّل لنا منهج ماديّ و جدليّ أن نقدّر و نكتشف الأمور الغامضة و أن نعالجها أحيانا ؛ إنّه يخوّل لنا أن نقدّرها حتّى قبل معالجتها ، و أن نقدّرها بعد أن نكون قد عالجناها ، و أن نقرّ بأنّ الأمور الغامضة الجديدة ستظهر بإستمرار بما في ذلك في علاقة بالتى نعالجها .

النظرة الشيوعيّة إلى العالم نظرة **ماديّة** . و الآن ، ليس لهذا المعنى نفسه الذى تستخدم فيه " الماديّة " بصفة شائعة : " الماديّة " بالمعنى الشائع : " الماديّة " بالمعنى الشعبيّ مرتبطة بالحصول على الممتلكات الماديّة (المضيّ إلى مركز تجاري و إقتناء الكثير من السلع الإستهلاكيّة التي نرغب فيها) . و من الأشياء التي تجعل عديد الناس يشعرون بالقرف و التمرّد ضدّها – عادة بالتحوّل إلى الدين نتيجة لذلك- هو البحث الذى لا نهاية له عن المزيد و المزيد من الأشياء الماديّة. و هذا ليس أبدا في آخر المطاف مرضي . هناك حاجة إلى المزيد . لكن هذا ليس ما تعنيه الماديّة علميّا ، شيوعيّا . بهذا المعنى ، تحيل الماديّة على الفهم الأساسي بأنّ الواقع بأكمله متكوّن من مادة في حركة – و يتكوّن الواقع فقط من أشياء ماديّة موجودة عمليّا ، بعدّة أشكال متنوّعة وهي تعرف بإستمرار تغييرا- و كلّ ما هو غير ماديّ غير موجو. الشمس ماديّة و النجوم ماديّة و الطاقة ماديّة و نحن البشر مادة و السيرورات داخل الدماغ مادة – جميعها أشياء ماديّة واقعيّة تتحرّك و تتغيّر . هذا كلّ ما يتكوّن منه الواقع و لا وجود لواقع آخر مخالف لذلك.

و على خلاف مزاعم العكثيرين – بمن فيهم فلاسفة القرن العشرين و منهم كارل بوبر و برتراند روسل - الماركسيّة علم، مقاربة علميّة لفهم الواقع و تغييره . ليست دينا .(40)

(40- أنظروا على سبيل المثال ، كارل بوبر ، " **المجتمع المفتوح و أعداؤه** " و خاصة المجلّد الثاني ، " **التيّار العالى للنبوءة : هيغل و ماركس و بعدهما** " ، صحفاة جامعة برنستين ، 1971 ؛ و برتراند روسل ، " **لماذا لست مسيحيّا و بحوث أخرى حول الدين و المواضيع المتّصلة به** "، شركة سايمن و شستار 1957. و في عمل آخر من أعمالى ، " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " (متوفّر على موقع أنترنت revcom.us) ، أتحدّث ن بعض محاولات بوبر تكذيب الماركسيّة و التشويهات بذلك الصدد) .

هنا ، أودّ أن أقتطف التالى من " **علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق – معرفة ما هو واقعي و لماذا هو مهمّ** " لأرديا سكايبراك ، بما أنّه يوفّر ردّا قويّا على لورنار و الذين يتبنّون وجهات نظر شبيهة في ما يتعلّق بالمسألة الأساسيّة لكيف نقدّم الوجود الإنسانيّ و علاقته بالعالم الأوسع ببقيّة الواقع الماديّ :

" نعلم الآن أن تطوّرنا الإنساني الخاص و كذلك تطوّر كافة الكائنات الحيّة يمكن أن يفسّر تماما **بسيرورات طبيعيّة** و لا يتطلّب تفسيرات ما فوق الطبيعة . لكن هل ستتركنا قدرتنا المتنامية على فهم الحياة دون إلاه نحيا بشكل ما غائم و فارغ ؟ لماذا ينبغي أن يحصل ذلك ! لا يزال بوسعنا و ينبغي أن ننذهل كما يجب و حتّى نتحمّل و نتواضع بالإقرار بالدهشة لتنوّع و تعقيد تطوّر الحياة تطوّرا طبيعيّا و ما يمكن أن يحدثه ذلك و بكلّ من الحدود و الإمكانيّات المستمرّة لإنسانيّتنا الخاصة ... بعيدا عن أن يكون وصفة من أجل نظرة و ماديّة باردة و لا حماس فيها ، فإنّ منهجا ماديّا **علميّا** حقيقة مطبّقا بصفة منهجيّة لكشف الدهشة الحقيقيّة الفعليّة للعلم الطبيعي و الاجتماعي ، يمكن أن يجعل الخيال يزدهر هو و معنى الهدف و الوعي التغييريّ و مبادرة البشر بطرق لا يمكن أن تحيل أبدا على قوّة عليا مفترضة . أليست هذه نظرة تستحقّ النضال من أجلها ؟ "

(أنظروا الصفحة الأخيرة لقسم اصورة الغلاف الأخير لكتاب " **علم التطوّر ...** " ، التشديد في النصّ الأصليّ).

و قبل المرور إلى القسم التالى من هذا الكتاب ، أودّ أن أتفحّص اكثر و إن قليلا وجهات نظر لورنار في ما يتّصل بمسالة الأبستيمولوجيا – و بالأخصّ ما هو و ما ليس هو التفكير العقلانيّ . ينقد لورنار " مذهب العلميّة / سَينتيزم " لكن نقده هذا يشتمل على خلط و تداخل بين العلم و المنهج العلمي الفعليّين من ناحية ، و بين الفلسفة الواقعية / البوزيتيفزم من ناحية ثانية – نزعة تقليص الأشياء لأسبابها الماديّة المباشرة (أو إلى الأدلّة التجريبيّة بذاتها و في حدّ ذاتها أو كشيء في حدّ ذاته) و للمحاججة بأنّه ليس هناك شيء آخر ، لا عوامل و سيرورات أشمل معنيّة او تتفاعل مع الظواهر المباشرة و الآنيّة ، و لا قفزات من وضع للمادة إلى وضع آخر بفعل مثل هذه السيرورات المعقّدة عادة و تفاعلاتها. (41)

(41 – هذه الفلسفة الواقعية / البوزيتيفيزم هي تعبير عن **الحتميّة** بما أنّها تجسّد و تتضمّن الإستنتاج (أو النتيجة) أنّ ما عليه الشيء مهما كان يجب أن يكون كذلك **ضروريّا**).

أحيانا ، يتعاطى لورنار مع العلم كإختزال لكلّ ما ،كما وضعه هو نفسه ، يمكن " ملاحظته و قياسه " ؛ و أحيانا أخرى ، يُحيل على " أدوات العلم – الملاحظة و التجربة و الفكر العقلانيّ " (" **اليد اليسرى للإلاه** " ، ص 131 و 133) لكن نزعته العامة تخلط أو تسوّى بين التجريبيّة و الإختزاليّة من جهة بالنظرة و المنهج العلميّين الفعليّين من الجهة الأخرى ، ما يفضى إلى فوضى و بالتالى يستخدم في تكذيب العلم. في الواقع ، النظرة و المنهج العلميّين يعنيان ليس الدليل التجريبي فحسب بل كذلك قفزات نوعيّة نحو النظريّة و المفاهيم و تلخيص الوقائع و الملاحظات في مستوى أعلى من فهم الواقع ؛ و هذا يعنى إختبار الفرضيّات و النظريّات في الممارسة العمليّة و التعاطى مع العالم الموضوعي الأشمل . و هذا صحيح بالأخصّ بشأن النظرة و المنهج الشيوعيّن إلى العالم و هما خلاصة المادية الجدليّة و يوفّران مقاربة كلّ الواقع بأكثر صراحة و منهجيّة و شموليّة .

و هذا مختلف نوعيّا و راديكاليّا عن مذهب العلميّة / سينتيزم و عن الفلسفة الواقعية / البوزيتيفزم و عن الإختزاليّة و أشياء أخرى تتميّز بمفهوم الربط الخطّي و الإمتداد المباشر تقريبا بين التجربة و المفاهيم بدلا عن ما يحدث عمليّا في الواقع – حيث كما أشار ماو تسى تونغ ، هناك بصفة متكرّرة قفزات نوعيّة من التجربة و المعرفة الحسّية إلى المعرفة الفكريّة أو

العقلانيّة . و المعرفة العقلانيّة مفهومة بصفة صحيحة هي ... حسنا معرفة عقلانيّة تلخّص ما تمّ تعلّمه من خلال التجارب المتنوّعة – بما في ذلك البحث و التجريب العلميّين – إلى تجريد يعكس الواقع بطريقة أكثر تكثيف و أرقى .

يرغب لورنار أن يحاجج بأنّ الدين ليس نمط تفكير عقلانيّ أدنى من العلم . لكن الحقيقة هي أنّ الدين تفكير **لا**عقلاني. إنّه يعنى و يعتمد على قفزات في الإيمان هي في تعارض مع – و تمثّل قطيعة مع – التفكير العقلانيّ و لا يعنى و لا يمكن أن يعني قفزات للتلخيص الصحيح لما يتمّ تعلّمه من خلال تجربة العالم القائم موضوعيّا . و الدين يقدّم كحقائق – و حتّى كحقائق أساسيّة و محدّدة – أشياء ليست منحدرة من و لا يمكن بدورها أن تختبر في العالم المادي الموضوعي الموجود. و تشخيص طبيعة الدين اللاعقلانيّة ليس مسألة قذف بالشتائم بل مسألة حديث عن واقع أساسي و عن طبيع التفكير الدينيّ . و في الواقع ، هذه الطريقة اللاعقلانيّة للتفكير التي تميّز الدين ليس بوسعها سى أن تنحو بطريقة أو أخرى نحو التفكير ال**لا**عقلاني .

من كلّ هذا ، يمكن بطريقة أشمل من جهة رؤية أنّ هناك نظرات ثاقبة هامة في كتاب **" اليد اليسرى للإله "** و هناك مجال هام لبناء وحدة مع لورنار و الذين يتبنّون وجهات نظر مماثلة ؛ لكن في الوقت نفسه ، نظرة لورنار إلى العالم و توجّهه و أهدافه السياسيّة التي تنسجم مع ذلك لا يمكن أن تقود الأشياء إلى حيث تحتاج الذهاب إليه حتّى بمعنى التغيير التام و الشامل و إجتثاث الأمراض في العالم و في العلاقات بين الناس الذين يشير إليهم لورنار – أحيانا بشكل حاد تماما – و نهائيّا بمعنى إجتثاث كافة علاقات الإستغلال و الهيمنة و الإضطهاد والثقافة و طرق التفكير التي تتناسب معها و تعزّزها، و تجاوزها .

أسطوريّة صدق الأسطورة الدينيّة و دورها الإيجابيّ

تاليا ، أودّ أن أناقش بإقتضاب الأطروحة الأساسيّة لكارن أرمسترونغ حول الأسطورة و دورها الاجتماعي كما وضعت ذلك في كتابها ، " **تاريخ مختصر للأسطورة** " و خاصة الفصل الأوّل منه المعنون " ما هي الأسطورة ". كتبت :

" ليس الفكر الأسطوري محاولة أوّليّة للتأريخ و لا يدّعى أنّ قصصه وقائع موضوعيّة . النيندرتال [إنسان العصر الحجريّ الأوّل في أوروبا – المترجم] الذين كانوا يُعدّون أصحابهم الأموات لحياة جديدة ربّما ينخرطون في ذات اللعبة ، لعبة صنع - إيمان روحيّة شائعة لدي كافة كلّ صنّاع الأسطورة : " ماذا لو أنّ العالم ليس كلّ ما هو موجود هنا ؟ كيف سيؤثّر هذا على حياتنا - نفسيّا و عمليّا أو إجتماعيّا ؟ هل سنصبح مختلفين ؟ هل سنصبح أكمل ؟ و إن وجدنا أنّنا تغيّرنا كثيرا ، ألن يبيّن ذلك أنّ إيماننا الأسطوريّ كان صحيحا نوعا ما و أنّه يقول لنا شيئا هاما عن إنسانيّتنا ، حتّى إن لم نستطع أن ندلّل على هذا تدليلا عقلانيّا ؟ " (" **تاريخ مختصر للأسطورة** " ، ص 8-9).

و تسترسل :

" بالتالى ، الأسطورة صحيحة إذا كانت فعّالة و ليس لأنّها تقدّم لنا معلومة واقعيّة . و مع ذلك ، إذا لم تقدّم لنا رؤية ثاقبة جديدة للمعنى الأعمق للحياة ، فإنّها قد أخفقت . و إذا نجحت أي إذا أجبرتنا على تغيير أفكارنا و قلوبنا و وفّرت لنا أملا جديدا و دفعتنا إلى الحياة حياة أتمّ ، فهي أسطورة صالحة " . (ص 10 ، و التشديد فى النص"الأصليّ)

و مرّة أخرى ، نعد إلى مسألة الإختلاف – الإختلاف النوعيّ – بين الفنّ بما في ذلك الأسطورة من ناحية و الواقع من ناحية أخرى و كذلك الإختلاف بين الفنّ و العلم . في نهاية " **الوعظ من منابر العظمة** " ، تحدّثت عن هذه المسائل و سجّلت نقطة أنّ الفنّ بما **هو متباين مع العلم** ن بصورة عامة لا يتطلّب منّا أن نعتقد في أنّ ما يمثّله صحيح عمليّا و تماما بل بالأحرى يمثّل الفنّ ، و هذه ميزته الخاصة ، أشياء عن الحياة ليست تجسيدات أو مجرّد إعادة إنتاج للحياة كما هي . و الدين كذلك يمثّل أشياء متباينة مع الكيفيّة التي توجد عليها في الواقع عمليّا . هذا هو المشترك بين الفنّ و الدين – و أيضا هما يختلفان عن العلم . أين **يكمن الإختلاف** بين الفنّ و الدين – وهو إختلاف أساسيّ – إنّه يكمن في أنّ الدين يطالبنا بالإيمان بأنّ ما يمثّله **هو** عمليّا صحيح و ليس فقط حقيقة بل الحقيقة المحدّدة و الأساسيّة للواقع و أسبابه و قواه المحرّكة . و مثلما وضعت ذلك في " **الوعظ ...**" :

" إذا كان الدين ليمثّل نفسه بالطريقة نفسها و بالتوقّعات و المتطلّبات ذاتها التي يفعل بها ذلك الفنّ نموذجيّا – إذا كان ليسمح للناس و يشجّعهم على الحصول على الإقرار في نهاية المطاف بأنّ غبداعاته الخياليّة ليست واقعيّة – و من هنا لن يكون بعدُ ضارّا و من العراقيل أمام التطوّر الشامل للإنسانيّة كما هو عليه الآن . غير انّه كذلك لن يظلّ حينها **دينا** . في هذا العصر من التغيير التاريخي – العالمي و في المستقبل الآتيّ ، لن تقدر الإنسانيّة على الحياة دون خيال و دون فنّ بيد أنّه يجب عليها و ستقدر على الحياة دون دين – و عن هذا سينجرّ ما هو أفضل بكثير . " (التشديد في النصّ الأصليّ، ص 88)

و للتطرّق إل بُعد آخر من هذا ، يمكن أن نناقش ما هو مشترك لكن أيضا ما هو مختلف بين الجمال و الحقيقة . كلاهما هامان في حدّ ذاتهما . و بطرق هامة، هما مترابطان : يمكن أن يوجد ، و هذا عادة مظهر من ، الجمال في الحقيقة وفي إكتشاف الحقيقة ، و مظهر من الحقيقة في الجمال – الجمال أو الفنّ بالمعن الأشمل ، يمكن أن يكشف حقائقا هامة عادة من زوايا جديدة . لكن الجمال أو مفاهيم الجمال و ما هو و ما ليس هو الجمال – هو على خلاف الحقيقة ، **مشروط إجتماعيّا** و له مضمون إجتماعي و بالمعنى العام يتناسب مع وهو جزء من نظرة إلى العالم أو أخرى . وجهات نظر مختلفة تتناسب في مجتمع طبقيّ **في نهاية المطاف** مع وجهات نظر طبقيّة مختلفة (و من المهمّ تسطير " **في نهاية المطاف** " كي لا نسقط في الإختزاليّة) لها أفكار مختلفة عن ما هو الجمال و ما ليس هو . لا وجود لطريقة علميّة لبلوغ توافق عالمي حول ما هو جميل و ما ليس كذلك. و بالعكس ، **هناك** طريقة علميّة لبلغ تحديد ما هو صحيح و ما ليس صحيحا " . (42)

(42 – من أجل نقاش مستفيض لوجهات النظر التي لها نقاط مشتركة بل كذلك بعض الإختلافات بشأن مسألة الجمال و الحقيقة ، أنظروا كتاب بوب أفاكيان و بيل مارتن ، " **الماركسيّة و نداء المستقبل ، احاديث في الأخلاق و التاريخ و السياسة** " ، منشورات أوبن كورت - منشورات كاروس ، 2005 ، الفصل الثالث ، " الأخلاق و مسألة الحقيقة ".)

الحقائق هامة لتغيير العالم – لكن ليس مرّة أخرى بالمعنى الضيّق و النفعيّ . إنّها هامة بذاتها و في حدّ ذاتها ، بمعنى أنّه من المهمّ معرفة ما هو حقيقة و ما ليس حقيقة ، بغضّ النظر عن ما إذا كانت لهذا تبعات خاصة على أي نشاط خاص أو

مجال خاص من مجالات النشاط في وقت معيّن (و ، في ما يتعلّق بالشيوعيّين ، سواء إرتبط ذلك أم لم يرتبط مباشرة بأهدافنا السياسيّة في زمن معطى). و مع ذلك ، للحقيقة طابع عالميّ ليس للجمال ؛ الحقيقة **ليست** مشروطة إجتماعيّا . أو لنضع ذلك بطريقة أخرى : ليست للحقيقة طبيعة طبقيّة . و كما شدّدت على ذلك آنفا (43) ،

(43- أنظروا ، **" ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة "** و خاصة **" بوب أفاكيان في نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره " .**)

طالما هناك طبقات ، الحقيقة (ما هو معروف بأنّه حقيقة و الحقائق المكتشفة بإستمرار) ستدخل بشكل أو آخر في الصراع العام بين الطبقات لكن الحقيقة ليست قابلة للإختزال إلى و ليست محدّدة ب – و ليس بوسعنا أن نحدّدها – بكيفيّة إرتباطها بالصراع الطبقيّ . الحقيقة موضوعيّة : الحقيقة هي تقريب صحيح – أو تقريبا صحيح – للواقع الموضوعيّ ، و لا ترتبط بالمواقع الطبقيّة للشخص أو الشخاص الذين يكتشفون هذه الحقيقة أو تلك ؛ و كذلك لا ترتبط حقيقة شيء بتأثيره الاجتماعي.

و كلّ هذا يتعارض مباشرة و جوهريّا مع ما تقدّم به أرمسترونغ بشأن الحقيقة ، لا سيما في ما يتعلّق بالعلاقة بين الأسطورة و الحقيقة . و إلى جانب مظاهر أخرى لما هو خاطئ في نظرتها ، هي مخطئة في تأكيدها الأساسي على أنّ أساطير الدين لا تقدّم نفسها كما لو أنّه يجب إعتبارها حقيقة بالمعنى الواقعيّ أو التاريخي . بالتأكيد هذه الأساطير تفعل ذلك و بالتأكيد قد فعلت ذلك . ما مغزى المعركة حول نظريّة التطوّر ؟ لا يمكن لنظريّة التطوّر أن تكون حقيقة ، حاجج الأصوليّون المسيحيّون، و أكّدوا أنّ ذلك يعود إلى أنّ أسطورة الخلق في الكتاب المقدّس [في سفر التكوين] صحيحة – و قد كانت هذه الأسطورة عبر التاريخ تحديدا تُقدّم كشيء يجب إعتباره حقيقة تامة و تاريخيّة . يقول الكتاب المقدّس إنّ الإلاه خلق السماوات و الأرض و كلّ ما يوجد فيهما في أيّام ستّة و في اليوم السابع نال قسطا من الراحة . و هذا يُقدّم كواقع تاريخيّ ، لا يقدّم كأسطورة " صحيحة " لمجرّد أنّها " فعّالة " . ليست مقدّمة لتعتبر مثل الفنّ الذى لا يمثّل الواقع (في هذه الحال ، الواقع التاريخي) كما هو (أو كما كان) عمليّا . ليست شيئا من المفترض مقاربته كنوع من " التجربة المنظّمة " (44)

(44 - صيغة " الحقيقة كتجربة منظّمة " إستخدمها لينين في عمله الفلسفيّ الأعظم ، **" الماديّة و مذهب النقد التجريبيّ "** كجزء من نقده لوجهات النظر الفلسفيّة المتنوّعة التي تعاطت مع الحقيقة على أنّها ذاتيّة بدلا من أن تكون من الظواهر الموضوعيّة . و " الحقيقة كتجربة منظّمة " صيغة تعبّر عن وجهة نظر سنصفها اليوم عموما بأنّها " أداتيّة " بمعنى جعلها الواقع " أداة " للرغبات و الأهداف الذاتيّة – و محاولة قولبة الواقع لجعله ينسجم مع هذه الرغبات و الأهداف .)

التي يمكن أن يكون لها دور في جعل الناس يتصرّفون بطرق معيّنة لكن لا تتماشى مع ما حدث حقّا في التاريخ و في الواقع. على العكس تماما . و بصفة أعمّ عبر التاريخ ، عديد الأساطير الدينيّة وقع تقديمها على أنّها حقائق و وقائع تاريخيّة - و وقع القتال من أجلها على أنّها كذلك . و هذا ليس لقول إنّه لم يقع أبدا تقديم أساطير ، بما في ذلك في الدين ، لم يكن تهدف لإعتبارها حقائق تامة . لكن التقدّم بموقف عام و توصيف عام للأساطير لا سيما في إطار الدين أنّها ليست تدف إلى إعتبارها حقائق تامة و تاريخيّة – فهذا غالط كلّيا .

ما تتقدّم به أرمسترنغ هو كذلك تعبير عن البراغماتيّة و الأداتيّة كما تبيّن ذلك في مفهومها لما يجعل الأسطورة صالحة . و هذا تعبير آخر لما سمّاه لينين ب " الحقيقة كتجربة منظّمة ". أو بطريقة أخرى ، لصياغة هذا بصورة أكثر فظاظة – و ينسجم هذا مع النظرة البراغماتيّة التي يجرى نشرها و بثّها على نطاق واسع في صفوف الناس في المجتمع الأمريكي بوجه خاص – هي أنّه إذا كان شيء مفيدا و يساعد على بلوغ هدف مرغوب فيه ، بالتالى يمثّل حقيقة – أنّ هذا تحديد له دلالته و معيار للحقيقة . هذا ما تحاج به أرمسترنغ عندما تقول إنّ الأسطورة حقيقة لأنّها " فعّالة و ليس لأنّها تقدّم لنا معلومة واقعيّة ". و هكذا تعرض مفهوما ذاتيّا للحقيقة : على الأقلّ كما رجى تطبيقها على الأسطورة وفق أرمسترنغ ، الحقيقة تحدّد بما إذا " نجحت " أم لا – و ما " ينجح " هو بدوره محدّد بما إذا " أجبرتنا على تغيير أفكارنا و قلوبنا و وفّرت لنا أملا جديدا و دفعتنا إلى الحياة حياة أتمّ " .

لتأكيد ما هو خاطئ مع هذه النظرة و الأبستيمولوجيا التي تجسّدها ، لا نحتاج سوى إلى قول إنّ أكثر من بعض الناس كانوا يقولون في ألمانيا النازيّة –و بالفعل تصرّفوا كما لو أنّ – الفكر الأسطوريّ الذى روّج له النازيّون قد إستجاب إلى كامل المعايير التي أشارت إليها أرمسترنغ هنا بالنظر إلى صحّة الأسطورة – بمعنى فائدتها . و كذلك يطرح السؤال نفسه : : يوافق أحد على معيار من هذا الصنف في ما يتعلّق بالأسطورة فما هو الأساس لرفض تطبيق المعيار ذاته على أيّ شيء يقع تأكيده من قبل أيّ شخص ، على أنّه صحيح ؟ و إلى ماذا سيقود ذلك ؟

و لنتفحّص مظهرا آخر من كيف تبحث أرمسترنغ عن تركيز معيار صلوحيّة الأسطورة : إذا " وفّرت لنا أملا جديدا و دفعتنا إلى الحياة حياة أتمّ " أم لا . قبل كلّ شيء ، وجبت الإشارة إلى أنّ هذا جوهريّا حجّة سفسطائيّة إستنتاجها مؤكّد

حقًا في مقدّمتها الأولى . ما معنى " الحياة حياة أتمّ " سوى أنّه محدّد بذات المفاهيم **الماقبليّة** التي تقارب بها أرمسترنغ المسألة من البداية ؟ من يقول ما هي " الحياة حياة أتمّ " إن كان ذلك **منفصلا عن معيار التناسب مع الحياة الواقعيّة ، مع الواقع** ؟ إذا إستطاع أيّ شخص أن يحدّد ، بإستخدام معيار ذاتيّ ، ما إذا كان شيئا يوفّر نظرة ثاقبة أكثر عن المعنى الأعمق للحياة ، بغضّ النظر عن ما إذا كان أم لم يكن ذلك الشيء يتناسب مع الحياة الواقعيّة ، ومع الواقع الموضوعيّ ، بالتالى تكون " الحياة حياة أتمّ " قد خسر في الواقع كلّ معنى عدا معنى أنّه جزء من تفكير **ما قبليّ** و سفسطة .و طبعا ، يتركّز هذا بالأحرى بفظاظة في التأكيد البراغماتيّ و الأداتيّ : " إذا نجح " فهو عندئذ صالح .

هذه أبستيمولوجيا مثاليّة ذاتيّة دون تزويق (مفهوم ما إذا كان شيء صحيحا أم لا مسألة تحدّدها الذات ، يحدّدها شخص معيّن بقطع النظر عن ما إذا كانت تتناسب أم لا مع الواقع الأشمل ، الواقع الموضوعيّ). (45)

(45 – خطّ جوهريّ فاصل في الفلسفة كما أشار إلى ذلك إنجلز (أنظروا مثلا ، **" ضد دوهرينغ "**) هو ما إذا كنّا نفهم أنّ الواقع موجود موضوعيّا و بإستقلال عن إدراك حسّي (أو معتقدات) أيّ كان (أي ذات) ، و أنّ في الواقع الناس (و كذلك الكائنات الواعية الأخرى) و سيروراتهم الفكريّة عينها تتكوّن من مادة و لا شيء غير المادّة – **أنّ كلّ الواقع يتكوّن من مادة في حركة** – او إذا ،من الجهة الأخرى ، يُعتقد أنّ الأفكار توجد بإستقلاليّة عن المادة ، و أنّ الأفكار و المادة صنفين منفصلين (أنّ الأفكار و الوعي يتكوّنان من شيء آخر مغاير للمادة في حركة) و أنّ الواقع المرتأى من قبل شخص إمتداد لعقله أو أفكاره وهو بالتالى ذاتيّ (و في هذه الحال يمكن أن توجد وقائع مختلفة لمختلف الأشخاص أو الذواتات) أو هو إمتداد لذهن كائن **متعالى و كونيّ** ، و هذه طبعا طريقة لقول (أو إفتراض شيء مساوى ل) إلاه . النظرة الأولى (الإعتراف بأنّ كلّ الواقع يتكوّن من مادة في حركة و أنّ الواقع يوجد بإستقلاليّة عن الذهن أو عن أفكار أيّ كائن خاص) يتناسب مع الفهم **الماديّ** للواقع ؛ و النظرة الثانية هي الفلسفة **المثاليّة** ، بشكل أو آخر (بصفة عامة ، مثاليّة " ذاتيّة " أم " موضوعيّة ")).

لكن هذه مثاليّة ذاتيّة في خدمة المثاليّة **الموضوعيّة** – أيّ دين و إيمان بما وراء الطبيعة كحقيقة موضوعيّة (أو عمليّا كذات الشيء و الحقيقية الموضوعيّة). و نعرف أين وجهة النظر بأنّه لا يهمّ إن كان شيء حقيقيّ واقعيّا أم لا – يمكن أن يكون وهما في علاقة بالواقع لكن إن لعب دورا كما يحدّد بشخص في مكان ما ، ما قبليّا ، بالتالى هذا جيّد بقدر ما هي جيّدة الحقيقة و إن لم تكن الحقيقة التامة – نعلم إلى إين يمكن أن يؤدّى مثل هذا النوع من الأشياء ، إلى أين قد أدّى و إلى أين سيؤدّى . ليس فحسب إلى كافة أنواع الأخطاء و إنّما أيضا إلى كافة أنواع الفظائع . إن كان كلّ شخص حرّ في إختيار ما هو صالح و صحيح وفق ما إذا كان يتناسب معه ، نعود إلى جميع مشاكل النسبيّة – بما فيها في نهاية المطاف ، بخاصة عندما تدخل الأساطير في نزاع مع بعضها البعض ، تقليص الأشياء إلى نزاع على علاقات السلطة لرؤية أيّة أسطورة يمكن فرضها على الأساطير الأخرى . بإختصار ، " القوّة تصنع الحقّ " – إلى هذا يمكن للأشياء أن تمضي و عادة قد مضت حين لا يوجد معيار موضوعيّ لتحديد ما إذا كان شيء حقيقيّ و صالح أم لا .

و يجرّنى هذا إلى مسألة أشمل ، مسألة اليقين ، اليقين العلمي و الأخلاقيّ – ما المشترك و ما المختلف بينهما . في العلم ، و من خلال تطبيق المنهج العلميّ ، يمكن أن نبلغ اليقين . أو لنستحضر ما يبدو ربّما كجمع أمرين مختلفين ، يمكن أ نبلغ اليقين ، نسبيّا : نسبيّا بمعنى أنّ الواقع في تبدّل مستمرّ و أنّ أفضل مقاربتنا له تجرى في هذا الإطار ؛ و نسبيّا بمعنى أنّه مهما كان جزء الواقع الذى نفهم مترابط مع أجزاء أخرى من الواقع ، و كذلك مع تبدّل الواقع . لكن مذع ذلك ، بينما هو نسبيّ ، هذا اليقين (المستند إلى العلم) **واقعيّ** . و هذه طريقة أخرى لصياغة مبدأ فلسفيّ جوهريّ أكّد عليه لينين . فقد أشار لينين إلى أنّ الماركسيّة تنبذ النسبيّة فلسفيّا – إنّها تقرّ و تشدّد على أفقرار بأنّ هناك بالفعل واقع موضوعيّ و أنّ الأشياء التي تمثّل موضوعيّا الحقيقة لها نوع من الإطلاقيّة في وجودها الحقيقيّ . لكن لينين أضاف أنّه بينما تنبذ النسبيّة ، تعترف الماركسيّة بأنّ هناك عنصر من النسبيّ في المطلق . و على سبيل المثال ، يولد البشر ثمّ يموتون حقيقة موضوعيّة و لهذه الحقيقة صفة الحقيقة المطلقة (إنّها نهائيّا حقيقة و ليست حقيقة إلاّ بالمعنى النسبيّ – ليس فقط في علاقة ب و كما يتحدّد بالمعايير الذاتيّة ، من مثل ما إذا كان شخص يؤمن أم لا بقطع النظر عن ما إذا كان لها أساس موضوعيّ ، أي ، إذا كانت أم لا تتناسب مع الواقع الموضوعيّ). لكن ، لأنّ الحدود في الطبيعة و المجتمع كما أكّد على ذلك لينين ، بينما هي واقعيّة هي أيضا مشروطة و نسبيّة (أو ، كما وضع ذلك ماو تسى تونغ ، مروحة الأشياء عريضة و هناك ترابط بين الأشياء)؛ لأنّ مرّة أخرى أي مظهر خاص من الواقع جزء من و يتداخل مع واقع أشمل و لأنّ جميع الواقع يشهد تغيّرا مستمرّا ؛ لهذه الأسباب ، مهما فهمنا فهما جيّدا أنّ جزءا من الواقع صحيح موضوعيّا – يتناسب مع الواقع الموضوعيّ و له طابع الحقيقة المطلقة – لكن في الوقت نفسه يتضمّن مظهرا من النسبيّة . الفهم الماركسي الأساسي حيويّ في الحفاظ على التمييز الموضوعيّ و الجوهريّ بين النظرة و المقاربة العلميّة و الماديّة (و الجدليّة) من جهة و النظرة و المقاربة النسبيّة (و المثاليّة فلسفيّا) من الجهة الأخرى .

إذن أجل ، من الممكن أن نكون ، بناءا على قاعدة صحيحة ، **على يقين** بشأن بعض الأشياء و منها نظريّة التطوّر – يمكن أن نكون على يقين منها . لقد نجحت في إمتحان ليس الزمن في المطلق و إنّما أيضا في إمتحان المحاولات المتكرّرة لتخطئتها ، و بالفعل تعزّزت بالأحرى بدلا من أن يتمّ تقويضها بفعل المراكمة المستمرّة للدلائل و القفزة من أدلّة إلى خلاصة المزيد من المعرفة . لذا يمكن أن نقول **عن يقين** أنّ نظريّة التطوّر أمر راسخ علميّا . أو بكلمات بسيطة و أساسيّة : إنّها صحيحة . و يمكن أن نقول **عن يقين** إنّ قصّة الخلق في سفر التكوين **ليست صحيحة** .

و الآن عندما نبلغ مسألة الأخلاق ، تصبح الأشياء أكثر تعقيدا . بلوغ الحقيقة عبر الوسائل العلميّة يمكن أن يكون عادة أمرا معقّدا لكن في ما يتّصل بمسائل الأخلاق ، الأشياء معقّدة على نحو مغاير . فالعلم يتعاطى مع ما **هو** – و كذلك ما كان موجودا و ما سيأتى إلى الوجود. غير أنّ العلم في حدّ ذاته لا يمكن أن يقدّم إجابات عن كلّ مسائل " ما يجب " . يمكن أن يقول لنا ما هو لكن لا يمكن في حدّ ذاته أن يقدّم إجابة عن سؤال " يا يجب أن يكون " . هل يعنى ذلك من ثمّة أنّه ليس بإمكاننا أن نملك أيّ يقين أخلاقيّ ؟ لا ، يمكن أن يكون لدينا يقين أخلاقيّ – نسبيّا . و لنضرب مثالا حيويّا ، يمكننا أن نحدّد علميّا ما تهدف إليه الثورة الشيوعيّة و ما الذى ستبلغه و التغيّرات التي ستحدثها هذه الثورة في المجتمع الإنسانيّ و في العلاقات الإجتماعيّة الإنسانيّة و في تفكير الناس . يمكن أن نقيم ذلك علميّا عن يقين (لكن بمظهر نسبيّ داخل هذا اليقين كما تكلّمنا عن ذلك هنا). يمكن أن نقول إنّ تقدّم الشيوعيّة يُمثّل تحريرا و إنشاءا لعالم أفضل بالنسبة إلى الغالبيّة العظمى من الناس و في نهاية المطاف بالنسبة للإنسانيّة ككلّ . و يمكن أن نقول بالتالى إنّ في إنجاز هذه القفزة نتحرّك في تناغم مع مصالح الغالبيّة العظمى من الإنسانيّة و في نهاية المطاف الإنسانيّة ككلّ . و بهذا الشأن ، يمكن أن تكون لدينا قناعة أخلاقيّة.

طبعا ، يمكن لممثّلين للبرجوازيّة أن يقولوا و سيقولون : " لا يجب أن يحدث هذا " [ضحك] سيحاججون بأنّ ذلك ليس فعلا جيّدا بالنبة للإنسانيّة . و عليه ، لنفكّ: هذا أكثر . و هل يمكن أن لا يوجد تحديد موضوعيّ لما إذا كان هذا صحيحا ؟ لا. يمكننا موضوعيّا تحديد ذلك. بيد أنّه لإحداث القفزة و قول يجب أن يحدث يتطلّب شيئا أبعد من مجرّد العلم – إنّه يتطلّب و يشمل موقفا متحزّبا . و كلّ هذا مرتبط بالنقاط التي ناقشت آنفا حول عالميّة الشيوعيّة – عالميّة بمعنى إمكانيّة قول إنّ الشيوعيّة كنظرة إلى العالم و كمنهج تشمل كافة الحقول المتنوّعة لمعرفة البشر و نشاطهم في حين أنّها لا تعوّض هذه الحقول ، و بمعنى أنّ الشيوعيّة كهدف سياسي تشمل مصالح الغالبيّة العظمى للإنسانيّة .(46)

(46- أثيرت هذه المسألة في سبيل المثال في " **الوعظ من منابر العظمة** " ؛ " و هكذا ، بينما ليست الأخلاق الشيوعيّة ، شأنها في ذلك شأن كافة الأخلاق الأخرى ، متعالية أي مستقلّة عن أيّة قاعدة تاريخيّة و إجتماعيّة و تنطبق في كلّ عصر ، و إنّما **تنطبق** صفة العالميّة بالذات على هذا العصر ، إنّها تتناسب مع القفزة التي يجب على الإنسانيّة تحديدا في هذا العصر أن تنجزها و مع وسائل إنجاز هذه القفزة ". (ص 80 ، التشديد في النصّ الأصليّ)

و " عالميّة الشيوعيّة " يقع نقاشاها أيضا في " **الأهداف الكبرى و الإستراتيجيا الكبرى** " . بشأن مبدأ أنّ الماركسيّة تشمل لكن لا تعوّض ، عديد المجالات المتباينة للمعرفة و النشاط الإنسانيّين ، أنظروا كتاب ، " **ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة** ".)

و مجدّدا طبعا سيحاجج المدافعون عن النظام القائم الذين يعارضون بحماس التقدّم نحو الشيوعيّة بأنّ ما يجرى في المجتمع الرأسماليّ و في ظلّ الحكم الإمبرياليّ لا يمثّل إستغلالا و إضطهادا و هيمنة بل هو بالفعل يخدم أفضل مصالح الذين هم عرضة لذلك ؛ و سيؤكّدون أنّ كلّ هذا ليس لا إستغلالا و لا إضطهادا و لا هيمنة . إلاّ أنّ ما يحدث للناس في ظلّ هذا النظام يمثّل **واقعا موضوعيّا** تعكسه بدقّة مفاهيم " الإستغلال " و " الإضطهاد " و " الهيمنة " – و تسمية هذا شيئا آخر (حتّى تسمية لاإستغلال و لاإضطهادو لاهيمنة) لن غيّر من جوهر هذا الواقع الموضوعيّ (لن يعني سوى إستخدام الكلمات و المصطلحات بطريقة مختلفة جدّا عن و بالفعل يبلغ عكس ما تطوّر كشيء متّفق إجتماعيّا على أنّه معنى هذه الكلمات و المصطلحات). و الشيء ذاته صحيح في ما يتعلّق بمفاهيم مثل " مصالح الجماهير الشعبيّة و في نهاية المطاف الإنسانيّة ككلّ " و " التحرّر " من الإستغلال و الإضطهاد : هذه أيضا تتناسب مع واقع يوجد موضوعيّا . و بينما من الممكن المحاججة بأنّ التقدّم صوب الشيوعيّة لا يمثّل هذه المصالح (و أنّها لا تمثّل " تقدّما " أو " تحريرا ") ، و التقدّم بهذه الحجّة لا ينفى الواقع الموضوعيّ الذى صدرت بصدده هذه المواقف . يخدم التقدّم نحو الشيوعيّة مصالح الجماهير الشعبيّة و في نهاية المطاف الإنسانيّة ككلّ . و هذا سيمثّل تحريرا من الإستغلال و الإضطهاد .

و يرتبط هذا بالمبدأ الأساسي و الحقيقة الجوهريّة القائلة بأنّ الشيوعيّة كنظرة إلى العالم و كمنهج **في آن معا** موضوعيّة و متحزّبة . إنّها في الوقت نفسه نظرة و منهج علميّين تماما و منهجيّين و شاملين لمقاربة الواقع – لفهم الواقع و تغييره – وهي تتناسب بالمعنى الأشمل مع مصالح طبقة هي البروليتاريا في قيادة النضال من أجل تغيير المجتمع كلّه و بلوغ " الكلّ الأربعة " التي تحدّث عنها ماركس ،و إيجاد عصر الشيوعيّة عبر العالم قاطبة . (47)

(47 – " الكلّ الأربعة " تشخيص لموقف ماركس جرى نشره شعبيّا أثناء الثورة الثقافيّة في الصين . و قد تمّت الإشارة إلى هذا آنفا في هذا النصّ حيث جرى الحديث عن " إلغاء كلّ الإختلافات الطبقيّة و كلّ علاقات الإنتاج التي تقوم عليها هذه الإختلافات الطبقيّة ، و كلّ العلاقات الإجتماعيّة الى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و تثوير كلّ الأفكار المتناسبة مع هذه العلاقات الإجتماعيّة " . و الموقف الأصليّ لماركس الذى منه إستخلص هذا هو التالى :

" هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ".

(كارل ماركس : **" صراع الطبقات فى فرنسا من 1848 إلى 1850 "** ، ذكر فى الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، المجلّد 2 ، الصفحة 282 من النسخة العربيّة لدار التقدّم ، موسكو).

و كما أكّدت كذلك حديثا :

" على عكس الطريقة التي عادة و حتّى عامة تقدّم بها في هذا المجتمع ، لا تعنى الإيديولوجيا بالضرورة مقاربة أداتيّة " لتنظيم الواقع " بحثا عن أهداف مرغوب فيها ، و هذا ينطوى على صلة صغيرة أو لا صلة بكيف هو الواقع عمليّا . و الإيديولوجيا الشيوعيّة نهائيّا نظرة إلى العالم و جملة من المبادئ للعيش وفقها ، من ناحية ، و في الوقت نفسه ، هي بالمعنى الجوهريّ ، منسجمة مع الواقع و تغيّره و تطوّره ، وهي وسيلة للتعاطى العلمي مع الواقع . لهذا نقول إنّ الإيديولوجيا الشيوعيّة في آن معا **متحزّبة** – تقف إلى جانب و من أجل جانب محدّد ضمن القوى الإجتماعيّة المتنازعة في العالم ، جانب الثورة البروليتاريّة و التقدّم نحو الشيوعيّة – وهي **موضوعيّة** : تبحث عن فهم موضوعيّ و علميّ للواقع لأجل تغييره مع التقدّم صوب الشيوعيّة ، و بما أنّ هذا التقدّم ممكن موضوعيّا و إمكانيّته يجرى التعبير عنها بالطريقة التي تنحو بها التناقضات الجوهريّة في المجتمع الإنسانيّ ، على نطاق عالمي ، لا حاجة هناك للشيوعيّين أن يشوّهوا الواقع أو يمسخوه لجعله يتماشى مع أهدافهم و غاياتهم – و بالعكس ، أي تشويه أو مسخ من هذا القبيل سيمضى عمليّا **ضد** التقدّم نحو الشيوعيّة. و طبعا ، لم يكن الحال دائما أنّ الشيوعيّين قد تصرّفوا في إنسجام مع هذه الحقيقة الجوهريّة – فقد وُجدت نزعات بارزة في تاريخ الحركة الشيوعيّة العالميّة للسقوط في تبنّى أشكال متنوّعة من " الحقيقة السياسيّة " – بكلمات أخرى ، إعتبار أشياء في الواقع على أنّها حقائق فيما هي **ليست** كذلك بل هي تبدو مناسبة وقتها (مقاربة شخّصها لينين فلسفيّا و نقدها على أنّها " الحقيقة كمبدأ منظّم " أو " تجربة منظّمة "). لكن الواقع يظلّ كمسألة مبدأ أساسي أنّ الشيوعيّة كنظرة إلى العالم و كمنهج تنبذ مثل هذه المقاربات الأداتيّة و تقرّ بالمبدأ الأبستيمولوجيّ الجوهريّ أنّه كما وضعت ذلك في نقاش آخر :

" كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا ، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية . "

(هامش للمؤلّف في **" التقدّم بطريقة أخرى "** و التشديد في النصّ الأصليّ ؛ و الموقف الأخير المذكور هنا ورد في **" بوب أفاكيان أثناء نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره "** ضمن كتاب ، **" ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة "**).

العقل لم " يخيّب أملنا " – العقل مطلق الضرورة – و لو أنّه فى حدّ ذاته غير كافى

ويجرّنا هذا إلى النقطة الموالية من النقاش ، قبل المضيّ إلى خلاصة وهي مسألة ما هو ذو أهمّية كبرى على وجه العموم و على وجه الخصوص بمعنى العلاقة أو المقارنة بين العلم و الدين ، وهي عادة ما تطرح فى عالم اليوم : هل خيّب العقل أملنا ؟

بداية للغوص فى هذا ، يمكننا قول إنّ الحقيقة ، بذاتها و فى حدّ ذاتها ، لن تجعلنا أحرارا ، لكننا لن نصبح أحرارا دون الحقيقة . و هذا وثيق الإرتباط بموقف أنّ " كلّ شيء يمثّل فعلا الحقيقة جيّد بالنسبة للبروليتاريا ، كلّ الحقائق يمكن أن تساعدنا على بلوغ الشيوعية " .

و الواقع هو أنّ التفكير و العلم و نتائج العلم يمكن فى بعض مظاهرها و بعض أبعادها أن تستعملها ليس البروليتاريا فحسب، بل أيضا البرجوازية و الرجعيون الآخرون – يمكن أن تستعمل بغايات و أهداف متباينة جذريّا . شأنه شأن الحقيقة ، العقل – أو سيرورة التفكير العقلي- لن تؤدّي لوحدها و بذاتها و فى حدّ ذاتها ، بالضرورة إلى عالم مختلفا و أفضل جذريّا . لكنّه ليس بوسعنا أبدا أن نبلغ تحرير الإنسانية دون العقل و سيرورة التفكير العقلي – و فوق كلّ شيء ، العقل و التفكير العقلي كما هو مطبّق كجزء من النظرة و المنهج العلميين الأشمل و الأكثر نظامية ودقّة ، نظرة الشيوعية و منهجها .

و فى إرتباط بهذا هناك مسألة النوعين المتباينين جذريّا من القفزات : القفزة من المحسوس إلى المعرفة المفهومية (أو العقلية) للواقع ، من جهة ، و من جهة أخرى ، " قفزة فى الإيمان " . فى هذا الإرتباط يساعدنا أن نذكر بعض المقاطع من مقال كتبته فى السنوات الأخيرة معالجا هذا الموضوع :

" مثلما أشار ماو تسي تونغ فى أعماله الفلسفية الهامة ، مثل " فى الممارسة العملية " ، فى كسب الناس للمعرفة (أو مراكمتها) هناك مرحلتان أساسيتان : الأولى هي مرحلة المعرفة **الحسّية** و المرحلة الثانية هي المعرفة **العقلية** . و بلوغ المرحلة الثانية من المعرفة العقلية لا يعنى و يتطلّب البناء على ما تمّت معرفته من خلال المرحلة الأولى (الحسّية) فقط بل كذلك إجراء **قفزة** فى تنسيق ما تمّ إدراكه : تحديد " معايير " ما جرى إدراكه و الطابع الأساسي و الهويّة الجوهرية للأشياء التى توجد أبعد من المظاهر الخارجية للأشياء ...

و مثلما أشار ماو كذلك ، عندما يعترضنا أي شيء لا نراه سوى بطريقة جزئية و متفرقة ملاحظين بعض مظاهره و ليس " ما يربطها معا " – ما هو الطابع الأساسي لشيء ، ما يعطيه جوهره كجوهر- و كيف أنّه على حدّ السواء مختلف و فى نفس الوقت مرتبط بأشياء **أخرى** . هذه مرحلة مجرّد إدراك شيء ما ، مرحلة المعرفة **الحسّية** ...

و فهم الواقع المكتسب عبر القفزة من المعرفة الحسّية إلى المعرفة العقلية ، يصبح بدوره ، الأساس ، والقاعدة التى منها تحلّل المزيد من المعرفة الحسّية المراكمة و تلخّص للقيام **بمزيد من القفزات** من هذا الصنف (من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية مرّة أخرى ثم أخرى ...) . لذا كسب المعرفة من قبل الأفراد و المجتمع و الإنسانية بكاملها – ليس شيئا يحصل " بضربة واحدة " ،و إنّما هو سيرورة مستمرّة . و هذا ينطبق على ط الحياة اليومية " و ينطبق بطريقة مكثّفة فى علاقة بالتطبيق الواعي و النظامي للمنهج العلمي. ولهذا صلة بنقطة أخرى شدّد عليها ماو : ما بعد القفزة من المعرفة الحسّية إلى المعرفة العقلية ، هناك قفزة أعمق – من المعرفة العقلية إلى الممارسة ، فى مسارها يتغيّر الواقع المادي و يجري كسب معرفة حسّية أعمق ما يرسي أسس قفزة أعمق فى المعرفة العقلية ... و هكذا دواليك " (**" قفزة فى الإيمان " و قفزة فى المعرفة العقلية : نوعان مختلفان جدّا من القفزات . نظرتان للعالم و منهجان متباينان جذريّا** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 10 ، 31 جويلية 2005 ، التسطير فى الأصل ؛ متوفّر على www.revcom.us).

و حسب ما يشدد عليه المقال (و عنوانه) ، إنّ " القفزة فى الإيمان " هي نقيض القفزة من المعرفة الحسّية إلى المعرفة **العقليّة** للواقع : " قفزة فى الإيمان " قفزة **بعيدا عن الواقع** و إلى إستنتاجات أو إستدلالات فى **تضارب مع الواقع** .

و ذكر المقال عديد الأمثلة التى تسجّل الإختلاف الجوهري بين الصنفين من القفزات : مشاهدة لعبة كرة القدم ؛ الترّوى فى الأدلّة كجزء من هيئة حكم ؛ و طفل يتعلّم متى يكون و متى لا يكون آمنا قطع الطريق . و فى كلّ هذه الحالات – و عديد

الحالات الأخرى من الحياة اليومية التى يمكن تفحصها ، الفرق يمكن و يجب إستخلاصه بين من جهة التعلّم أكثر عن واقع شيء ما و ثمّ تنسيق ذلك إلى مستوى أرقى من الفهم **يركّز** ما هو أساسي فى هذا الواقع (تحديد " المظاهر " فى ما يحسّ و الطابع الأساسي و جوهر الأشياء التى يقع ما بعد المظاهر الخارجية للأشياء ") وهو ما يحدث فى القفزة من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية ؛ و من جهة أخرى ، قفزة فى " الإيمان " تعنى القطيعة مع سيرورة معرفة الواقع و تنسيق ما يقع تعلّمه ، تبنّى عوض ذلك مقاربة التعويل على الإيمان الذى لا يستخلص بل بالأحرى يفرض فرضا بقوّة على الواقع و أحداثه (مثلا : أن نقول لطفل صغير : " لا تخشى حركة المرور ، الله سيرعاك " أو أن نأكّد على " أعلم أن المتهم مذنب لأنّ الإلاه أوحى إلى بذلك "). بإختصار ، نظرة و منهج علميين يعنيان و يتطلّبان فكرا عقليّا ، بينما النظرة الدينية ب " قفزاتها فى الإيمان " تعنى و تجسّد فكرا لاعقليّا . و مثلما أشرت فى نقاش وجهة نظر مايكل لورنار ، و أبستيمولوجيته بصورة خاصة ، مثل هذا الفكر اللاعقليّ مدفوعا دفعا إلى الطرق **اللاعقليّة** فى مقاربة الأشياء .

والآن ، متحدّثين عن الفكر العقلي ، عنصر هام منه هو المنطق الشكلي . (48) على سبيل المثال ، يمكن أن يتحدّد بوضوح أنّه إذا حدث شيء بعد شيء آخر ، فإنّ الشيء الثاني **لم** و لا يكون **سبب** الشيء الذى حصل قبله . (و من الصحيح أنّه عندما تصلون إلى مستويات معيّنة من المادة التى يبحث فيها المنظّرون الفيزيائيون ، تصبح الأشياء أكثر تعقيدا فى ما يتصل بالزمن و السببية . لكن بالمعنى الأكثر حصرية لمجال الواقع الذى نتعاطى معه عادة فى الحياة اليومية ، فإنّ المنطق الشكلي يمكن أن يؤدّي و يؤدّى إلى الإستنتاج الالح بأنّ شيئا يحدث بعد شيء آخر لا يمكن أن يكون سبب الشيء السابق) غير أنّه حتى علاوة على المسائل التى يطرحها المنظّرون الفيزيائيون ، للمنطق الشكلي حدوده و هذا مهمّ للفهم كذلك . مشيرا إلى هذه الحدود لاحظ ماو – بطريقته ط الماوية " الخاصة – أنّ فى ما يتعلّق بالقياسات المنطقية ، كل تأكيد هو كذلك إستنتاج. (هذا مثال آخر عن الترابط الداخلي الجدلي للأشياء الذى شدّد عليه ماو أيضا). بيد أنّ هل ما يعنيه هذا هو أنّ فى القياسات المنطقية كلّ تأكيد هو كذلك إستنتاج ؟

حسنا ، القياس المنطقي هو ضرب من البناء المنطقي ينطلق من مقدّمة أوّلية أو تـاكيد ثمّ يعيّن مقدّمة ثانية فى علاقة بالأولى و بعد ذلك يستخلص إستنتاجا. مثلا : كلّ شخص فى التكساس لامع؛ كلّ الناس فى لوببوك يوجدون فى التكساس، بالتالي كلّ من يوجد فى لوببوك لامعون .

هذا تتابع منطقي . لدينا تأكيد أو مقدّمة كبرى متبوعة بمقدّمة ثانوية ثم بإستنتاج – و **كلّ هذا متناسق منطقيّا** . والسؤال هو: هل أنّ **المقدمات (أو التأكيدات) دقيقة و صحيحة ؟** للإجابة على ذلك ، من الضروري الخروج من القياس الخاص و المنطق الشكلي المعني هنا . كانت تلك وجهة نظر ماو حول كيف أنّه بعدُ فى المقدّمة الأولى أو التأكيد هناك إستنتاج . و الإستنتاج فى هذا المثال هو أنّ كلّ شخص فى تكساس لامع .

لكن من أين تأتّي ذلك الإستنتاج ، كيف تمّ التوصّل إليه ؟ لتحديد ذلك ، و لتحديد إن كان الإستنتاج صالحا ، علينا أن نخطو خطوة إلى الوراء و نجري تحليلا و إستنتاجا بتطبيق المناهج العلمية التى هي اشمل كلّيا من المنطق الشكلي . هل تمّ التوصّل إلى هذه المقدّمة الأولى (الكبرى) أو هذا التأكيد بالمناهج العلمية و هل يمكن التثبّت منها و من مدى صحّتها بالمناهج العلمية ؟ لا ، فى هذه الحال (متحدّثين عن التكساس و مدينة لوببوك) .

أو لنضرب مثالا آخر ، لرتشارد برابر أغنية يقول فيها : " ليس كلّ الإيطاليين فى المافيا ، لكن غالبيتهم يعملون من أجل المافيا " [ضحك]. حسنا ، فى الواقع هذا غير صحيح . لكن لنتفحّص هذا عن كثب أكثر . و لنجعل من موقفه الثاني " أشمل " ليصبح : " كلّ الإيطاليّين يعملون من أجل المافيا " . ولنجعل ذلك هو المقدّمة الكبرى لقياسنا . ثمّ يمكن أن نمضي لنقول : جيوزيبي إيطالي ، بالتالي جيوزيبي يعمل من أجل المافيا . حسنا لمعرفة إن كان هذا فعلا صحيحا ، علينا أن نحدّد إذا ما كان التأكيد الأوّل ، المقدّمة الأولى صحيحة أو لا ؟ هل أنّ كلّ الإيطاليين يعملون فعلا من أجل المافيا ؟ (مرّة أخرى، فى الواقع هذا غير صحيح) . و بعد ذلك سنحتاج أيضا إلى معرفة إن كانت المقدّمة الثانوية – أنّ جيوزيبي إيطالي – فعلا صحيحة ، قبل أن نتمكّن من تحديد إن كان الإستنتاج صالحا . لذا ليس فقط التأكيد الأوّل بل أيضا المقدّمة الثانية يجب التثبّت من صحتهما فى الإطار الأوسع للإنخراط ، و إستخلاص إستنتاجات عقليّة حول الواقع . بإمكان المنطق الشكلي – و فى الواقع يجب عليه – أن يكون جزءا من هذا لكن بذاته و فى حدّ ذاته ليس بوسعه أن يقول لنا ما هو الصحيح و ما هو غير الصحيح . من المهمّ إستيعاب هذا فى علاقة بالمنطق الشكليّ : لما يصلح المنطق الشكلي و ما هي حدوده ؟

و يمكن أن نواصل هذا إلى ما لا نهاية فنتلاعب بالأمثلة : " كلّ السود جيّدون فى كرة السلّة ؛ جيميس أسود و بالتالي جيّد فى كرة السلّة ". حسنا ، علينا أن نتثبّت من مدى صحّة المقدّمتين الأولتين . هل أنّ كلّ السود جيدون فى كرة السلّة ؟ فى الواقع ليس الأمر كذلك . هل أن جيمس فعلا أسود ؟ لا أدرى ، علينا أن نذهب للبحث عن من هو جيمس و نكتشف ما هي خلفيته وما هو " عرقه "(أو قوميّته). [ضحك]، و مع ذلك رغم حدوده – و بفهم لحدوده – المنطق الشكلي مهمّ فى إطار مقاربة علمية و عامة و شاملة و على أساسها (و هذا مرّة أخرى ، تعبّر عنه أتمّ التعبير نظرة الشيوعية و منهجها : المادية الجدلية).

المنطق الشكلي ، مثل التفكير العقلي (أو العقل) بشكل أعمّ ، ضروري لكنّه بذاته ليس كافيا.

" الإيمان " الدينى – لنسمّيه كما هو : لا عقلي

و لنتحدّث أكثر بعض الشيء عن الإيمان كنقيض للمنطق و العقل . فى الإنجيل ، بكلمات بول (أو كلمات بأي حال تسند لبول) نجد التالي :" الآن الإيمان ضمان للأشياء المأمولة ، قناعة بالأشياء غير المرئية ". و" لا تنظر إلى ما يمكن رؤيته بل إلى ما لا يمكن رؤيته ؛ لأنّ ما يمكن رؤيته مؤقّت ، لكن ما لا يمكن رؤيته أبدي ". (أنظروا **الرسالة إلى العبرانيّين** 11:1 و **رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوسَ** 4: 18).

صراحة هذا مشابه جدّا للتفكير (اللاعقلي) لكاران آرمسترونغ حول الأسطورة . ما تتمّ المحاججة من أجله هو أنّ للإيمان معاييره الخاصة للصلوحية ، و هي ليست المعايير التى يرسيها العلم . و بالفعل ، إدعاء أنّ للإيمان صلوحية مستبعد بصراحة من مجال العلم ذلك أنّ العلم قناعة – بماذا ؟ بأشياء غير مرئية – أشياء ليست **غير** مرئية و حسب بل **لا يمكن** رؤيتها فى الأصل و ما أهمية هذا ؟ مثلما رأينا فى كورانثيان الثاني " ما يمكن رؤيته مؤقّت "- إنّه من هذا العالم ، و بكلمات أخرى ، " ما لا يمكن رؤيته أبدي ".

هنا نعثر على حشو آخر فى الكلام . لقد وقع إختراع مجال ،ما بعد العالم الفعلي – و فى الأصل الأشياء المنتمية إلى هذا المجال لا يمكن التثبّت منها – و ثمّ وقع التصريح بأنّه نظرا لأنّ نوع هذا المجال " العالم الآخر " الذى لا يمكن التثبّت منه، أهمّ من العالم الذى يمكن تجربته و التثبّت منه ، و من ثمّة وقع إستخلاص إستنتاجات عقلية. و هذا منطقيّا لا يختلف عن المحاججة التالية : أ أكبر من ب لأنّ ب أصغر من أ .

هذا الإيمان بطبيعته ذاتها هو إعتقاد بعيد عن مجال التفكير العقلي . إنّه لا يعنى حتى بالضرورة منطقا شكليّا متناسقا لكن و أكثر جوهرية من ذلك ، و حتى حيث يمكن أن توجد تعبيرات للإيمان الديني تتناسق مع المنطق الشكلي – فإنّ مقدّمات الإيمان لا تتطابق مع الواقع و مع المقاربة العقلية للواقع: يمكن بالمناهج العلمية إثبات عدم صحّتها ، أو يمكن إثبات أنّه لا أساس لها فى أي شيء يمكن حتى إثبات و تحديد أنّه صحيح . لذا لنستبعد الإيمان من المكانة الرفيعة التى يبدو أنّها أسندت له من طرف المصالح الحاكمة و المؤسسات المهيمنة للمجتمع الرأسمالي المعاصر (و المجتمعات السابقة) ، و نعطي للإيمان نعته الصحيح : الإيمان ليس شيئا آخر سوى **لاعقلانيّة** .

لا يوجد إلاه – و لا وجود لسبب وجيه للإعتقاد فى إلاه

و نصل إلى المسألة العامة لواجب إقامة الدليل على صدق الدعوى . عادة ما نسمع المتدينين يحاججون : " رغم ما تقولونه، لم تدحضوا و ليس بوسعكم دحض وجود الله " . حسنا يمكنكم أن تواصلوا لعب هذه اللعبة إلى الأزل . لا يمكنكم أن تدحضوا أنّه بالضبط الآن هناك ديناصور غير مرئي يحوّم فى السماء فوقنا . [ضحك] إذا أعلنت " بالإيمان " أنّ هناك مثل هذا الديناصور لكنّكم ببساطة لا تستطيعون رؤيته – هل يمكنكم دحض ذلك ؟ فى الصل ليس وبسعكم لأننى لست بصدد تقديم أية مميزات لهذا الديناصور المدعى بنقدوركم التثبّت منها فى العالم الواقعي .

أو ، إن كنت لأخبركم بأنّ صديقي جايمس (غير المرئي) هنا – وهو بالمناسبة موجود – سيقوم بسرقتكم و قتلكم لاحقا اليوم ، ستطلبون منّى بعض الدلائل على هذا . [ضحك] و إن لم أستطع أن أوفّر أي دليل آخر سوى تأكيدى على هذا – أو بالإستشهاد ببعض " الجمل المقدّسة " التى كتبتها لدعم هذا (" و ظهر جيمس فى سترة عظيمة من الضوء و الضوء بيّن كلّ شيء عنه ، حتىّ أنّ الآخرين لم يستطيعوا رؤيته : لكن جيمس كان شيطانا ومصمّما على سرقة الجميع و قتلهم ") – إذا كان هذا ما قدّمته كدليل ، ستقولون إنّنى ربّما أحتاج إلى بعض المساعدة من قبل أخصّائي فى الأمراض الذهنية . [ضحك] فى تلك الحالة ، ستشدّدون عن حقّ تماما : " إذا كنت ستقول إنّ شيئا موجودا لا يراه أحد ، و لا وجود لواقع مادي يبيّن وجوده ، **عليك** أن تعطينا دليلا على ذلك . "

إذا حدّثتكم عن إلاه مختلف عن الإلاه الذى صرتم تعتقدون فيه و قلت إنّ هذا الإلاه أقوى من إلاهكم و إنّ أشياء فظيعة ستحصل لكم لو لم تتبعوا هذا الإلاه و إنّ إلاهكم ليس بوسعه أن يوفّر لكم أية حماية من هذا الإلاه الأقوى و الفظيع – ستقولون لى : " هات حجّتك " ؟

فى مثل هذه الأوضاع يمكن على الفور رؤية ، و الناس سيوافقون على الفور على أن المسؤولية تقع عن حقّ على كاهلي أن أدلّل على شيء لا دليل عليه فى العالم المادي الحقيقيّ . و سبب إجابة الناس بهذه الطريقة فى هذه الظروف هو أنّهم لم **يكيّفوا إجتماعيا** للإعتقاد فى هذا الإلاه الخاص الغريب عنهم – الحال مع هذا الإلاه الخاص ليس كما لو أنّ العلاقات و الهياكل و المؤسسات و الأفكار و الثقافة المهيمنة فى المجتمع الذى يعيشون فيه قد إشتغلت لتجعلهم يشعرون كما لو أنّ الإيمان بهذا الإلاه مجرّد " أمر طبيعي " و سيجعل منك نوعا ما " غريب الأطوار " **عدم** الإيمان بهذا الإلاه ، لكن حينما يتعلّق الأمر بإلاه **تعلّم** الناس و تكيفوا للإيمان به ، فجأة يريدون المحاججة بأنّه على الذين **لا** يؤمنون بوجود هذا الإلاه أن يدلّلوا على أنّه لا يوجد ، حتى و لو أنّه لا وجود لأدلّة أكثر فى العالم المادي الواقعي على وجود ذلك الإلاه نسبة لأيّة آلهة أخرى . وهذا يذكّرنا بملاحظة سقتها قبل بضعة سنوات : " كلّ دين فى العالم يعتقد أنّ كلّ دين سواه تطيّر . و جميعهم على حقّ ".

أحيانا سيحاجج الناس : " لعلّ الإلاه لا يوجد بالنسبة لك لكن الإلاه يوجد نهائيّا بالنسبة لي " [ضحك] . حسنا ، عندئذ هو ببساطة إلاه من إختراعك. [مزيد من الضحك] ذلك أنّه إن كان إلاه موجود حقّا فهو موجود بالنسبة للجميع – بما فى ذلك بالنسبة لى أنا – حتى و إن كنت لا أؤمن بإلاه . فى الواقع ، لأسباب تحدّثنا عنها سابقا ، بفعل الإيمان بآلهة متنوّعة قد جرت مأسسته – بفعل تأكيد المؤسسات المهيمنة لمجتمع معيّن على أنّ هذا الإلاه أو ذاك موجود – بفعل هذا و حسب يؤمن العديد من الناس بهذا الإلاه أو ذاك و يشدّدون على : " إن كنت تنكر وجود هذا الإلاه، عليك أن تثبت عدم وجوده ". و هذا قلب للواقع رأسا على عقب . ليس على الذين لا يؤمنون بإلاه أن يثبتوا عدم وجود شيء لا يوجد – و لم يقع تقديم أي دليل على وجوده . [ضحك]

و بالنسبة للذين يواصلون التأكيد رغم كافة الأدلّة على العكس بأنّ الآلهة الخياليّة التى إخترعها الناس **موجودة** حقّا ، من الضروري أن نقول لهم : " عليكم **أنتم** أن تقدّموا الدليل على ذلك . وهذا الدليل يجب أن يكون شيئا آخر غير الحجج فى دائرة فارغة مثل : " يقول الإنجيل إنّ الإلاه موجود ؛ والإنجيل حقيقة؛ بالتالي الإلاه موجود " . قدّم أدلة عملية عن هذا الإلاه فى العالم الواقعي – كيف أنّ هذا الإلاه (و ليس فقط مجرّد **إعتقاد** فى هذا الإلاه) قد تمظهر فى العالم الواقعي و كان له تأثير على الأشياء فى العالم الواقعي . قدّم حججا و براهينا عن وجود هذا الإلاه يمكن **التثبّت منها " فى العالم الواقعي** .

و من الضروري التأكيد على أنّ المقاييس و المعايير ذاتها التى تطبّق على الشياء الأخرى تنطبق أيضا على تأكيدات عن وجود إلاه : إذا إفترض أحد شيئا فعليه هو أن يقدّم الدليل على ما إفترض . إن كنت أتوقّع أنّ إعصارا سيضرب مدينة ، فى مكان ما ألف ميل عن أي محيط ، وسط فصل الشتاء ، فعلي أنا أن أقدّم الدليل على هذا الإدعاء . أو إن كنت أدعى أن فى السنة القادمة سيولد إنسان سيكون قادرا بمفرده على الطيران حول خطّ إستواء الكرة الأرضية فى عشر دقائق ، علي أنا أن أقدّم الدليل على هذا. و إن إفترض أي كان وجود إلاه يمكن معرفة وجوده فقط عبر " الإيمان " عندئذ على هذا الشخص أن يقدّم الدليل – غير حجج الحشو فى الكلام عن الإيمان – عن وجود ذلك الإلاه. فمجرّد قول " إخترت أن أعتقد فى أنّ الأمر كذلك ، كمسألة إيمان " لا يجعل من هذا شيئا آخر سوى فهم ذاتي من جانبك – وهو شيء لا وجود لسبب وجيه لمعانقته و الإيمان به إذا لم تستطع أن تقدّم أي دليل عليه فى العالم الواقعي . و قول " حسنا أؤمن بذلك و هذا صحيح لأنّه مهمّ بالنسبة إليّ " ليس دليلا على وجوده الفعلي . إنّه دليل فحسب على حاجتك النفسية للإعتقاد فى ذلك . لم يقع تركيز اي شيء أبعد من تلك الحاجة النفسية بإدعائك أنّ هذا الشيء يوجد لأنّ الإيمان به يجعلك تشعر بحال أفضل ، أو أنّك تعلم أنّها مسألة إيمان . هذا يعرّفنا فحسب بشيء عنك و ليس عن وجود هذا الشيء الذى تسميه إلاها .

لذا ، "جوهر الأشياء غير المرئية " يعنى الإيمان **لا** جوهر له . و هذا ليس تفكيرا عقليّا . إنّه تفكير لاعقلي بطريق الحتم يميل إلى و يعير نفسه إلى التفكير **اللاعقليّ** و يؤدى إلى النشاط **اللاعقليّ** – نشاط هو نوعيّا و أساسا خارج إطار الواقع .

و مثلما تمّ التشديد عليه سابقا ، تسمية ذلك بأنّه **لاعقليّ** ليس مسألة شتيمة بل مسألة تحليل علمي . و بينما ليس هناك أساس علمي او عقلي للإعتقاد فى أي إلاه أو أية كائنات ما وراء الطبيعة من أي نوع كانت ، **هناك** أساس عقلي و علمي لإدراك التأثيرات الضارة جدّا **للإيمان** بالآلهة و ما وراء الطبيعة ، و الدور السلبي للدين فى تاريخ المجتمع الإنساني و فى هذا العصر من تاريخ الإنسانية خاصة .

هنا ، المقتطف التالي من " **علم التطوّر و أسطورة الخلق – معرفة ما هو حقيقي و لماذا هو مهمّ** " الذى يردّ على إدّعاء أنّ الدين خارج إطار البحث العلمي ، مفيد للغاية :

" **برأيى لاعلمي جدّا إدّعاء أنّه " ليس للعلم أيّ شيء يقوله عن الدين "** . طبعا صحيح أنّ العلم ليس بوسعه إثبات وجود أية قوّة ما وراء الطبيعة هي فى الأصل (و المؤمنون يقبلون بهذا) ما لها وجود محسوس فى العالم المادي الطبيعي . لكن ماذا عن أفكار البشر عن الآلهة و قوى أخرى ما وراء الطبيعة؟ أليس للعلم ما يقوله عن **هذا** ؟ ألا يمكن تطبيق المناهج العلمية لكشف من أين تتأتى مثل هذه الأفكار و كيف أعطاها الإنسان تعبيرا ماديّا ؟ و ماذا عن **التاريخ الإجتماعي** الذى يجّل بالملموس متى و كيف أنّ الإنسان فى مختلف أنحاء العالم شرع فى رواية أو كتابة حكايات عن مجالات ما وراء الطبيعة متنوّعة (الجذور الإجتماعية لأنواع عديدة مختلفة من أساطير الخلق و الكتابات الدينية من جميع أنحاء العالم)؟ و ماذا عن الأدوار التى لعبها الإيمان و لعبتها التقاليد و الممارسات الدينية ، و **الأهداف** التى قد خدمتها فى كلّ شيء من المستوى الفردي الشخصي إلى المستوى الإجتماعي (و العالمي) الأوسع ؟ وماذا عن **تاريخ** كيف أنّ العقائد الدينية قد غيّرت عبر الزمن (مهما حدث مثلا لالهة مصر و اليونان وروما القديمين ، التى إعتاد الناس على الإيمان بها بصلابة مثلما يؤمن فى أيآمنا المعاصرة هذه أناس بإلاه الكتب اليهودية و المسيحية و الإسلامية) ؟

أليس بوسع ذات نوع المناهج العلمية المستعملة للبحث فى مسائل فى أي **علم تاريخ** آخر (التطوّر ، علم الكون ، الأركيولوجيا، اللسانيات المقارنة و ما إلى ذلك) أن تطبّق للبحث فى تاريخ الإيمان الإنساني بقوى ما وراء الطبيعة ؟ وأليس بوسع المناهج العلمية أن تطبّق لكسب فهم أفضل لكيف أنّ بعض المعتقدات الدينية قد جرى أحيانا التشجيع عليها و الترويج لها رسميّا أو بالعكس جرت محاصرتها بقسوة أو حتى كانت هدفا للسحق ؟ كلّ هذه الظواهر – و المعتقدات الإنسانية المتنوّعة ذاتها فى مجال ما وراء الطبيعة – لها بما لا يدع مجالا للشكّ وجود واقعي ملموس و مادي حتى و لو أنّ مواد مثل هذه المعتقدات (آلهة او قوى ما وراء الطبيعة أخرى) فى الأصل ليس لها مثل هذا الوجود المادي الملموس ...

بإختصار ، سأحاجج بأنّ تطبيق منهج علمي – و بصورة خاصة نظرة و منهج المادية الجدلية و التاريخية – لبلوغ فهم ما يمثّله الدين ، و كيف أنّه يؤدّى عمليّا إلى الفهم المرتّب للواقع و تغييره ، وهو على حدّ السواء **ممكن و ضروريّ** . (آرديا سكايبراك ، " **علم التطوّر و أسطورة الخلق – معرفة العالم الواقعي و لماذا هو مهمّ** " ؛ الصفحات 291-292 ، التسطير فى النسخة الأصلية) .

الدين أفيون الشعوب – و حاجز أمام التحرّر

و يفضى بنا هذا إلى مسالة : ما هو دور الدين – و هل هو ضار حقّا ؟ يقول العديد من الناس " " حسنا ربّما هو غير صحيح لكن ما الضرر فى ذلك ؟ إنّه يجعل الناس يشعرون بأنّهم على أحسن حال – يتوفّى إنسان محبوب ويريدون أن يعتقدوا انّ هذا الإنسان يذهب إلى الجنّة ، و عندما يموتون سيلتقون به . أو يحدث شيء فظيع فى حياة إنسانة و تريد أن تتلقى عزاءا و سلوانا فى الإعتقاد فى أنّه هناك غاية أكبر يوجّهها إلاه ما ، تجعل لهذا معنى بشكل ما . كيف لهذا أن يتسبّب فى أيّ ضرر ؟ ".

حسنا لنستعير كلمات أغنية ستيفى ووندار " التطيّر " : " عندما تعتقدون فى أشياء وهي غير موجودة و تواجهون معاناة، التطيّر فى طريقه إليكم " [ضحك] (عمليّا يقول " عندما تعتقدون فى أشياء لا تفهمونها ..." – لكن الأمر سيّان) . إنّكم تعانون حينما تعتقدون فى أشياء أنتم لا تفهمونها فحسب بل إنّ ذلك فى الأصل لا **تستطيعون** فهمه . و سواء كان ستيفى ووندار يفكّر أم لا فى الدين لمّا قال ذلك ، فإن الأمر ينسحب على الدين قطعا .

الآن قد يحاجج البعض " لست ستيفى ووندار لذا من أنت لتقول إنّ ذلك ينسحب على الدين ؟ "[ضحك] كيف يمكّننى قول ذلك ؟ حسنا ، إنّه بسيط و أساسي : أنا إنسان يرى بكثير من الوضوح أنّه إن كنت تعتقد فى أشياء لا تفهمها و أنت تواجه معاناة ، عندئذ التطيّر بالفعل فى طريقه إليك . و هذا أصحّ حتى أكثر لمّا تعتقد فى أشياء لا تفهمها **و ما هي بموجودة حتّى.**

حينما تبنى حياتك و تحدّد مسارها أو تحاول القيام بذلك عن طريق الإيمان بهذه الأشياء ، ستواجه المعاناة . يمكن أن تبحث و حتى أن تبلغ بالمعنى القريب المدى بعض العزاء المؤقّت إلاّ أنّك ستمرّ عبر الحياة بطريق هي جوهريّا بعيدة عن المسك بالواقع ، إلى درجة أنّ هذا الإيمان يقود كيفيّة نشاطك و كيف تنظر إلى الأشياء . لن يكون العزاء طويلا أبدا لأنّ الحياة لن تفتأ تأكّد ذاتها . و فى ظلّ نظام من هذا القبيل ، بالنسبة لغالبية الناس فى العالم ، بإستمرار سيفرز الفظائع .

و مثلما قد ناقشت ، بعض الناس – ذوى القلوب الطيّبة و النوايا الطيبة – يحاولون إستعمال الإنجيل ، خاصة العهد الجديد و بصورة خاصة أكثر كلمات المسيح عينه ،كأساس للترويج للتسامح و التنوّع ، و الوقوف ضد التمييز و اللامساواة و النضال ضد الإضطهاد و الترويج للسلام ، و حتى كطريقة لمحاولة تقديم رؤية ملهمة لعالم أفضل . لكن الواقع هو : هذا لن يجدي نفعا ، لن ينجح .

و الآن من المهمّ أن تفهم لماذا عديد الناس ، لا سيما الناس المضطهَدين فى العالم يبدون بهذا الجنون و غير متسامحين ، عادة يتوجهون إلى الدين آملين أن يجدوا فيه شيئا صلبا يمكن أن يجعل الأمور تتماسك وسط كلذ هذا الجنون . لقد تحدّث ماركس عن الدين بإعتباره " أفيونا للشعوب " إلاّ أنّ ماركس لم يقارب هذا على نحو بسيط ذهنيّا . لقد قال أيضا إنّه " قلب عالم لا قلب له " . هذا العالم الرأسمالي لا قلب له . إنّه يعامل الناس كأشياء تستعمل ثمّ يرمى بها فى سقط المتاع – و يفعل هذا حتى مع الأطفال نعلى نطاق واسع وبأكثر الطرق فظاعة . و هذا ، عفويّا يعزّز دفع الكثير من الناس نحو الدين ، نحوالبحث عن طريق **وهميّة** للخروج من العالم الذى لا قلب له .

و فى ما يتّصل بالدور المخدّر (" أفيون ") للدين أودّ أن أستخدم المثال التالي . يتوجه كثرة من الناس إلى الدين و خاصة إلى نوع إطلاقيّ من الأصولية الدينية كطريقة للتعاطي مع كافة أسى الوضع الذى يجد المرء نفسه فيه غارقا فى الديون – إنّهم مدانون حيثما ولّوا بوجوههم ، مدانون بهذا و مدانون بذاك – و ثمّ هناك الشركات الإشهاريّة : سوف نجمع كلّ ديونكم فى دين واحد . سنسدّد كلّ ديونكم و فقط بإمكانكم أن تدفعوا لنا (مع ربح طبعا) ، عوض محاولة تسديد كلّ هؤلاء الذين تدينون لهم " . حسنا دور الدين ، خاصة الدين الأصولي هو أخذ كلّ أسى الشخص و لوعته و تجميعها فى أسى و لوعة كبيرين . [ضحك و تصفيق] .

لكن إلى جانب عدم تقديمهم للناس أي مخرج حقيقي ، ما ينتهى إليه الأمر هو توبيخ الناس لمعاناتهم و إضطهادهم و ظروفهم الخاصة البائسة .

كثير من الناس ، وهم يشعرون بأنّ آمالهم فى حياة أفضل قد تحطّمت فى هذا العالم قد سقطوا إلى الخلف فى الأمل فى مستقبل أفضل فى وجود **آخر** ، مستقبلي ، و يبحثون عن تنظيم حياتهم حول الإعداد لهذه " الحياة المستقبلية " المفترضة. المشكل مرّة أخرى هو أنّ هذا وهم . و هذا البحث عن الفرح أو الراحة من عذاب على هذا النحو لا يمكن أن يفضي إلى رضى يسعى الناس وراءه . مثل مخدّر ، الراحة أو الهروب الذى يوفّره هذا النوع من الإيمان الديني ليس كافيا أبدا . تحتاجون دائما إلى " تصحيح " آخر و سرعان ما يتحوّل هذا بعدُ إلى قيد آخر بأيدى الناس .

و أكثر جوهرية ، المسألة هي أنّنا لا نريد – و أبعد من ذلك ، لم نعد فى حاجة إلى – أن نسجن أنفسنا فى عالم لا قلب له . نحتاج و بمستطاعنا أن نوجد عالما له قلب : عالم محرّر من إضطهاد و بؤس تفرضهما و تعزّزهما و تتحكّم فيهما طريقة هيكلة المجتمع الإنساني . عالم فيه لا يفكّر الناس كلّ فى الآخر – و لا يعاملون بعضهم بعضا – كمجرّد أشياء تستعمل و يستفاد منها . الدين ، على الأقلّ كما يمارسه الناس حقّا الأكثر رحمة و تقدّمية اليوم ، قد يهدف إلى توفير العزاء – خلاص لأناس فى وضع يشارف الموت و عذاب – لكنّه بوسعنا أن نوجد عالما لا يعود فيه الناس فى **حاجة** إلى هذا النوع من العزاء لأنّ الفقر و الإضطهاد و كلّ العذاب الذى لا حاجة له المرتبط به ، سيتمّ القضاء عليهم و إجتثاثهم إلى الأبد ، إلى جانب الأفكار و الثقافة التى تعزّزهم .

لكن من أجل القيام بهذا ، علينا أن نواجه الواقع كما هو فعلا . نحتاج أن نواجه الواقع و نغيره ، واقع المجتمع الإنساني و كذلك الطبيعة بنظرة و منهج علميين واعيين و صريحين . و المسألة هي : لأوّل مرّة فى تاريخ الإنسانية ، هناك إمكانية القيام بذلك . مقارنة بهذا ، العقيدة و التقاليد الدينية و الطريقة الدينية لرؤية الواقع تقلّص – و بالفعل تؤدّى بعيدا عن ما أصبح لأوّل مرّة ممكنا بالنسبة للإنسانية .

و فى إرتباط وثيق بهذا هناك مسألة " الخطيئة " و هذا المفهوم مكوّن هام من الدين الذى أتحدّث عنه. إنّ الخطيئة محدّدة كإنحراف عن طريق الإلاه . و لهذا المفهوم من " المعصية " وزن هائل على كاهل جماهير الشعب. إنّه مرفوق ب – و يولد و بإستمرار يعزّز- معنى العار و الذنب و الخوف و كما رأينا فهو حتى يروّج لفكرة أنّ الأشياء مثل المرض تتسبّب فيها الخطيئة أو إمتلاك الشيطان للبشر (" لدي هذا الطفل شيء خاطئ ، تملّكه الشيطان ") . و هذا يبعد الناس عن فهم و معالجة ما يحصل فعلا و ما هو المشكل فعليّا لدى الأشخاص و أكثر جوهرية ما هو مشكل المجتمع والعالم .

ومثلما أشرت فى " وضع حدّ ل " الخطيئة " (المبحث الثاني فى كتاب " التبشير من منبر العظمة...") ، هناك شيئان معنيان هنا . أحدهما هو أنه لا وجود لشيء إسمه " خطيئة " – هذا القياس المنطقي الشكلي صالح لأنّ مقدّماته صحيحة : مفهوم" الخطيئة " إنحراف عن طريق الإلاه ؛ لا وجود لإلاه ؛ بالتالي لا وجود لخطيئة . و هذا صحيح موضوعيّا و هام بديهيّا ، لكن ما هو كذلك صحيح موضوعيّا هو أنّه ثمّة مفهوم الخطيئة الذى يحطّ بثقله على كاهل الجماهير الشعبية . و من جديد ، ما هو تأثير ذلك و إلى درجة كبيرة الهدف من التبشير بمفهوم الخطيئة هذا ؟ إنّه الترويج لفكرة أنّ شخصا يعاني من العذاب و عموما جماهير الشعب المضطهَدة هي المسؤولة عن معاناتها الخاصة . يجب أن تكون **أنت** قد قمت بشيء ما خاطئ ، يجب أن تكون **أنت** من أغضب الإلاه ، يجب أن تكون **أنت** من زاغ عن الطريق القويم .

هذا ما يتمّ الترويج له بمفهوم " الخطيئة " – عوض النظر فى الأسباب الواقعيّة . و إن لم تنظر إلى الأسباب الواقعيّة ، إن لم تنظر إلى المشكل الواقعي ، كيف يمكنك أن تقضي على الأسباب الواقعية ، كيف يمكنك أن تجد الحلّ الواقعي ؟ إذا فكّرت فى أن المشكل كامن فيك ، كل ما بإستطاعتك فعله هو أن تحبط .إنّه إضافة شتيمة إلى جرح . إنّه وزر إضافي يوضع على كاهل الناس المضطهَدين . فكّر فى كم هو فظيع العذاب اليومي نتيجة سير هذا النظام ، ثمّ يسرّب إليك أن **ذلك** ليس سبب معاناتك – إنّك تعاني لأنّ لديك **أنت** شيء خاطئ و بطريقة ما **أنت** من قام بشيء خاطئ .

لا تقولوا لي لا ضرر من الدين . إنّ ضرره هائل .

لا وجود لشيء لا يتغيّر و غير قابل للتغيير، طبيعة الإنسان

فى علاقة بالمفاهيم الدينية هناك فكرة " طبيعة الإنسان " – و خاصة بعض الطبيعة الإنسانية الجوهرية غير القابلة للتغيير تتسبّب فى إقترافهم الخطأ ، فى إلحاق الضرر بالبشر الآخرين. كم مرّة سمعنا : " طبيعة الإنسان " هي بالضبط كالتالي ؛ إنّ الناس بطبيعتهم خطّاؤون " ؟ أو " الناس بطبيعتهم أنانيّون – إنّها بالضبط " طبيعة الإنسان " أن يدوس المرء على كلّ شخص آخر ". فى الحقيقة ، هذه ليست ميزات تمثّل جزءا من " طبيعة " الإنسان التى لا تتغيّر و غير القابلة للتغيير . هذه النزعات عند الناس إنعكاس و إمتداد لعلاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و الثقافة المناسبة و كذلك للحكم السياسي للنظام- نظام يشجّع على و يملي على الناس أن يعملوا بهذه الطريقة . يدفع الناس إلى المنافسة و حتى إلى عداء بعضهم لبعض على طول الوقت – على حدّ السواء بسياسات و تصرفات واعية للطبقة الحاكمة و بالديناميكية و السير الكامنين للنظام الرأسمالي – الإمبريالي . فى ظلّ هذا النظام ، حتى الحصول على عمل ، حتى الحصول على وسائل العيش ، تدفع إلى المنافسة مع أناس آخرين. و يحصل هذا عبر سير النظام الرأسمالي ، مثلما حصل فى الأنظمة الباقية المؤسسة على إستغلال الكثيرين من قبل فئة قليلة و إضطهادهم . لقد ميّز ذلك المجتمع الإنساني ليس منذ " الزمن الغابر " ، بل منذ زمن تجاوز و تعويض مجتمعات المشاعيّة الأولى بمجتمعات قائمة على إحتكار الثروة (و وسائل إنتاج الثروة) و كذلك إحتكار السلطة السياسية و الحياة الفكرية من طرف جزء صغير من المجتمع (49) .

فى **" بؤس الفلسفة "** ، أبدى ماركس ملاحظة غاية فى الأهمّية بهذا الصدد : " ليس كلّ التاريخ سوى التغيّر المستمر لطبيعة الإنسان ". و فى هذه الجملة يتكثّف قدر هائل من الحكمة ، إن أردتم . و ينبع هذا من – و يكثّف بطريقة عميقة – تحليل ماركس لكيف أنّه فى أية جملة من الظروف المعينة يدخل الناس فى مجتمع فى علاقات مع بعضهم البعض لأجل تلبية الحاجيات المادية للحياة . و **علاقات الإنتاج** هذه هي بدورها محدّدة تاريخيّا – ليست مختارة حسب مشيئة أناس يدخلون فيها ، تتحدّد جوهريّا بطابع قوى الإنتاج المعطاة (الموارد و التقنية إلخ و كذلك الناس و معرفتهم) . وتترافق علاقات الإنتاج السائدة بعلاقات إجتماعية معيّنة . و ناهضة على أساس نمط الإنتاج – مجسّدة علاقات الإنتاج السائدة – توجد بنية فوقية (أشكال حكم سياسي ومؤسسات و طرق تفكير و ثقافة) تنشأ عنها **و تعزّز** علاقات الإنتاج الكامنة و العلاقات الإجتماعيّة المتناسبة معها . و علاوة على ذلك ، و ذو أهمّية حيوية ، بيّن ماركس كيف أنّ تطوّر المجتمع الإنساني لا يتمثّل فحسب فى التغيّر التطوّري زيادة بل تدفعه بإستمرار جدلية التفاعل بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج ، و بين القاعدة الإقتصاديّة والبنية الفوقية السياسية – الإيديولوجية ؛ و أنّ هذا يشمل بصفة متكرّرة قفزات و قطيعة جذرية من شكل لآخر من المجتمع ، مجتمع مختلف نوعيّا ؛ و أنّه فى ظروف حيث علاقات الإنتاج السائدة صارت أكثر إعاقة لقوى الإنتاج منها شكلا مناسبا لمزيد تطوّرها ، فإنّ الحاجة إلى تغيير ثوري للمجتمع ، لتغيير ثوري ، فى البنية التحتيّة و البنية الفوقيّة ، سيجد التعبير عنه بشكل متنامي فى مجال البنية الفوقية – فى صياغة أفكار وبرامج تبحث عن تحقيق أو منع التغيير الثوري، و فى الصراع السياسي لتحديد إتجاه المجتمع ، ما سيتّخذ فى النهاية أكثر تعبير مركّز عنه فى الصراع العسكري لتحديد من (أيّة طبقة ممثلة أية طريقة لإنجاز الإنتاج ، عبر أي علاقات إنتاج) ستمارس السلطة فى المجتمع . لنختزل الأشياء فى جملة واحدة : حين تُعرقل علاقات الإنتاج قوى الإنتاج ، ستوجد حاجة إلى ثورة فى البنية الفوقية ، إلى إيجاد شكل جديد من الحكم السياسي ؛ و ممثلو الطبقة التى تمثّل علاقات الإنتاج الجديدة الصاعدة ، سيصوغون أفكارا وبرامجا و يحرّكون الجماهير الشعبية حولها لأجل خوض الصراع لإفتكاك السلطة و على ذلك الأساس تغيير المجتمع فى إنسجام مع مصالح ووجهة نظر تلك الطبقة ، منشئين قاعدة إقتصادية و بنية فوقية جديدين نوعيّا .

إلى درجة كبيرة ، كلّ هذا مكثّف فى صيغة ماركس المكثّفة :" ليس كلّ التاريخ سوى التغيّر المستمر لطبيعة الإنسان" . و تبعا لذلك ، **ما يبدو " طبيعيّا " فى عصر ، يبدو غير طبيع جدّا فى عصر آخر** . لقد أدلى ماركس بذلك التصريح حول مستقبل الشيوعية – أنه فى ذلك العصر المستقبلي ، سيبد سخيفا و فظيعا لشخص يمتلك جزءا من الكوكب ، كما يبدو الآن لشخص يملك شخصا آخر. لكن لآلاف السنين ، لم يبدو ذلك بالمرّة سخيفا و فظيعا ، على الأقلّ بمعنى وجهة نظر الطبقة الحاكمة و الأفكار السائدة فى المجتمع أن يملك شخص شخصا آخر. كان ذلك مُعتبرا " طبيعيّا " جدّا – كان " فى إنسجام مع طبيعة الإنسان " أن الأشياء كانت على ذلك النحو – هكذا كانت العلاقات السائدة والأفكار المناسبة لها .

فى هذا العصر حيث تحرّك المجتمع الإنساني إلى نقطة اين نمط الإنتاج الرأسمالي قد ترسّخ على نطاق واسع – أو على الأقلّ كلّما ترسّخ تقريبا بإحكام نمط الإنتاج الرأسمالي – فإنّ فكرة و ممارسة أنّ بعض البشر يملكون آخرين و يستغلّونهم ضمن عبودية سافرة و تامة ، ليس فى توافق مع مراكمة الربح من قبل الرأسماليين . فالرأسمالية تحتاج إلى طبقة تستغلّها ليست مستعبدة تماما : بسبب حركة رأس المال و الطريقة التى بها تتنافس مختلف الرساميل و تعمل عبر المنافسة إلى المزيد من مراكمة الثروة ، هناك أوقات أين من صالحهم أن يسرّحوا بعض (أو حتى الكثير من) العمّال . إذا إشتريت عبدا و لم تسترجع إستثمارك الأوّل ، إلى جانب قدر إضافي [ربح] ، ستعرف مشاكلا إقتصادية . إذا تخلّصت من ذلك العبد قبل أن تسترجع ما إستثمرته فى شرائه ، خسرت فى إستثمارك . لكن إن كنت رأسماليّا ، لن تدفع دفعة واحدة قدرا من المال لإمتلاك شخص . تدفع للعمال بالساعة أو باليوم أو الأسبوع أو شيء من هذا القبيل و بسرعة عندما لا يعود إستخدامهم مربحا لك بهذه الطريقة ، تتخلّى عنهم و لست مسؤولا عن منحهم أجورا بعد ذلك . لمَ تقدّم إستثمارا مسبّقا لشرائهم ، ما عليك إلاّ أن تعوّض الخسارة بجعلهم يعملون لديك لفترة من الزمن ز لذا من غير المربح ، عموما ، فى ظلّ نمط الإنتاج الرأسمالي – أينما قد ترسّخ تقريبا بإحتكام – شراء الناس و تملّكهم كعبيد ، جعلهم تماما ملكيتك و إستغلالهم بتلك الطريقة . من المربح أكثر القدرة على تأجيرهم و التخلّى عنهم ، و جعلهم أكثر حركيّة ، احرارا فى أن يتمّ توظيفهم أو طردهم حسب إملاءات المراكمة الرأسمالية . و بالتالي ، وفق " طبيعة الإنسان " التى تتناسب مع نمط الإنتاج الرأسمالي ، العبودية لا معنى لها وهي نقيض ما هو جيد و صحيح و طبيعي . (50)

كلّ هذه أمثلة **لعدم وجود شيء** مثل " طبيعة الإنسان " بمعنى جوهر بشري لا يتغيّر و غير قابل للتغيّر (وهو ، مع ذلك، بالضبط يتفق مع مهما كان حينها يجسّد و يخدم الأشكال السائدة من الإستغلال (و الإضطهاد) . بالضبط مثلما لا يوجد شيء إسمه خطيئة ، لا وجود لشيء إسمه " طبيعة الإنسان " بالمعنى الذى تروّج له الطبقة المهيمنة و تنشره من خلال مؤسسات حكمها و مؤسسات صياغة الرأي العام .

للبشر بعض الميزات كنوع ، محدّدة بشكل واسع ، بما فى ذلك القدرة على التفكير العقلي – مستوى عالي نسبيّا من الوعي و القدرة على تلخيص المفاهيم – وهو ما يميّز البشر عن الأنواع الأخرى .إلاّ أنّ من الأشياء التى تميّز أكثر البشر بما فيها قدرتهم على التفكير ، هي **مرونتهم** أي قدرتهم على التغير مع تغيّر الأوضاع ، **و** تغيير الأوضاع بالتأثير فيها بوعي . و لعلّ هذا ، أوفر الميزات جوهرية هو ما يميّز البشر عن الأنواع الأخرى .

مفهوم " طبيعة الإنسان غير المتغيّرة " مفهوم خاطئ تماما و فكرة أنّ الناس أنانيّون بطبيعتهم ليست سوى حشو كلامي آخر . و مثلما أشار ماركس و إنجلز فى " **بيان الحزب الشيوعي** " ، لا يساوى هذا سوى قول إنّه مع هيمنة نمط الإنتاج البرجوازي ، الفكر المهيمن و طرق النشاط ستكون فى توافق مع إملاءات نمط الإنتاج البرجوازي . و كما يضع ذلك " **بيان الحزب الشيوعي** " ، الأفكار السائدة فى أي عصر هي دائما أفكار الطبقة السائدة . و هذه الأفكار تُنشر و تأثّر تأثيرا كبيرا ليس فقط ضمن الطبقة السائدة ذاتها بل كذلك ضمن الفئات الأخرى من السكّان ، ومنها الطبقة (أو الطبقات) الأكثر عرضة للإستغلال و الإضطهاد العنيفين للطبقة الحاكمة . لكن كما تحدّثنا عن ذلك قبلا ، من عصر لعصر فى تاريخ الإنسانية ، و حتى فى حدود عصر الحكم الرأسمالي، عندما توجد تمرّدات من النضال الجماهيري ، يشهد الناس تغيّرا كبيرا فى طرق تفكيرهم و علاقتهم بعضهم ببعض . و بمعنى جوهري ، هذا و ليس بوسعه إلاّ ان يكون ، مؤقّتا و جزئيّا طالما أنّه ليست هناك ثورة مظفّرة و تغيير نوعي جذري فى المجتمع ككلّ . و مع ذلك ، خاصة فى ظروف نهوض و صراع إجتماعيّين كبيرين ضد النظام السائد ، يعرف الناس تغيّرات كبرى فى تفكيرهم و فى علاقاتهم بعضهم ببعض . إن لم يكن الأمر كذلك ، لم تكن الثورات لتستطيع أبدا أن تنجز و العلاقات الإجتماعيّة أن تتغيّر بفعل ردّ فعل الناس الواعي عليها . إلاّ أنّه بالنظر إلى تاريخ البشر و مجتمعهم قد حدث ذلك مرارا – بصفة متكرّرة حدثت تغيّرات جذرية فى المجتمع ككلّ - و هذا سيحدث مجدّدا على نطاق أوسع و أكثر جذرية مع الثورة الشيوعيّة .

على ضوء هذا ، إنّه لممكن جدّا أن نقرّ بالضرر الكبير الذى تتسبّب فيه النظرات الدينية للعالم و المفاهيم المصاحبة لها من الخطيئة و طبيعة الإنسان غير المتغيّرة و " الطبيعة الساقطة " للإنسانية : " يعود كلّ شيء إلى آدم و حوّاء . حينها بدأ كلّ الهمّ . أقنعت حوّاء آدم بأكل تلك التفاحة و لهذا نحن فى الوضع الذى نحن عليه اليوم "[ضحك] لا و ليس لهذا صلة بالواقع. لكن مفهوم أنّ ذلك كذلك يلحق ضررا كبيرا و يمنع الناس من لماذا فى الواقع نحن فى الوضع الذى نحن عليه اليوم ، و ما الذى يجب القيام به بشأنه .

و عليه ، من جهة ، من الضروري النضال بجرأة و حيوية ضد الدين بكلّ أشكاله – و خاصة ضد إطلاقيّة و ظلاميّة الأصوليّة الدينيّة و تعبيراتها السياسيّة كمسيحيّين فاشيّين فى الولايات المتّحدة الأمريكيّة . و من الحيوي ألاّ نستهين بأيّ شكل من الأشكال بأهمّية النضال فى مجال الفكر ، مجال الإيديولوجيا و خاصة النضال ضد النظرة الدينيّة و كلّ تمظهراتها ، إعتبارا لتداخل هذا مع و إبعاده الناس عن الفهم الحقيقي للواقع ، و بالتالي عن القدرة على مواجهته و تغييره وفق مصالحهم الجوهرية الخاصة . و فى نفس الوقت ، و لمدّة طويلة ، سيكون كذلك من الحيوي التوحّد مع قوى متنوّعة واسعة ، منها عديد الناس الذين يملكون رؤى دينية . وفى ما يتصل أسس الوحدة فى الصراع السياسي ، لا يجب أن يكون الخطّ الفاصل أبدا إذا كان الناس يؤمنون ام لا بإلاه وهم متدينون أم لا ، و إنّما إن كانوا ينوون الوحدة و يمكن كسبهم للوحدة بطرق هي موضوعيّا فى مصلحة جماهير الشعب. إلى درجة كونها كذلك، من الضروري بناء وحدة معها ، الصراع معها للقيام بذلك على وجه أتمّ و أكثر صراحة حتى بينما يجري الصراع معهم فى المجال الإيديولوجي حول مسألة ما هي النظرة للعالم التى تتناسب مع الواقع و ستقود إلى التحرير . من أجل تشكيل أوسع وحدة ، من المهمّ الإعتراف و التأثير فى فهم أنّه ضمن الذين قاموا و هم قادرون على القيام بالتضحية بالذات و بأعمال ملهمة فى القتال ضد اللامساواة و الإضطهاد هناك عديد الناس لديهم معتقدات دينية و هم تدفعهم بطرق هامة هذه المعتقدات الدينية . لكن الدين و نظرة دينية للعالم ليس بوسعهما أن يقودا إلى حيث نريد أن نذهب .

و بقدر ما هي مهمّة الوحدة فى النضال السياسي ، و بقدر ما هو مهمّ بناؤها كأوسع ما أمكن فى كلّ لحظة ، فإنّ بذل الجهد من أجل مثل هذه الوحدة لا ينبغى أن يعني تجنّب أو الإستهانة بأهمّية النضال العميق الذى يجب أن يخاض فى المجال الإيديولوجي بما فى ذلك حول المسألة الدينية ؛ والواقع هو أنّه ، بقدر ما يُخاض هذا الصراع الإيديولوجي أكثر و بصورة أفضل ، بقدر ما تكون أقوى و ليس أضعف قاعدة بناء وحدة واسعة فى الصراع ضد الإضطهاد و الإستغلال و فى سبيل عالم جديد .

خلاصة القول ، عبر سيرورة النضال العالم بلوغ القيادة الضرورية للمهاجمة المباشرة و الصريحة لكل أعمدة الإضطهاد الجاثمة على كاهل جماهير الشعب و فى النهاية إجتثاثها من خلال التغيير الثوري للمجتمع ، و فى النهاية العالم برمته - بلوغ القيادة الشيوعية عمليّا و إيديولوجيا – سيتطلّب العمل على تحقيق وحدة أوسع ما أمكن على قاعدة مبدئية مع العديد من الناس و القوى المختلفة و منها أناس متدينون تقدّميون ؛ لكن سيتطلّب أيضا التقدّم و النضال بصراحة و بشكل منظّم و حيوي لكسب الناس إلى البرنامج الشيوعي و إلى النظرة للعالم و المنهج الشيوعيين – لإستيعاب و تطبيق المادية و الجدلية – و بصورة خاصة كجزء مفتاح من هذا ، **الإلحاد** .

الفهم – ليس الرأي بل الفهم العلمي – بأنّه لا وجود لإلاه و أنّ الإعتقاد فى إلاه و الجهل المنظّم و التطيّر الذى يجسّده الدين ستسبّب فى ضرر كبير وهو حاجز مباشر أمام النضال من أجل عالم مختلف و أفضل جذريّا : هذا أمر حيوي يجب بنشاط و جرأة التقدّم به و النضال حوله .

و فى نفس الوقت ، ضمن الذين يبحثون عن بناء وحدة فى النضال السياسي ، يجب أن تشمل هذه السيرورة الصراع القويم و نعم مواجهة بين وجهات النظر ، حول المسائل الحيوية للسياسة و الإيديولوجيا من مثل القضيّة الأساسية للإصلاح أم الثورة ، و كذلك المبادئ الجوهرية للإبستيمولوجيا و الفلسفة . و يجب على هذا أن يشتمل على :

• ما هو المحتوى الفعلي و كذلك التأثير و الأثر التاريخيين للأديان الكبرى و التقاليد الدينية فى العالم ، و إلى ماذا يؤدّى عمليّا إتباع تعاليم هذه الأديان و تقاليدها ؟

• ما هو المحتوى الفعليّ للشيوعيّة و ما هي الطبيعة الواقعية والأساسيّة لتجربة البلدان الإشتراكية التى حكمتها البروليتاريا و قادها حزبها الطليعي (دكتاتورية البروليتاريا) ؟ ما هي الدروس التى يمكن و يتعيّن إستخلاصها من ذلك ؟

• ما هو الفهم الصحيح لما هي أمراض المجتمع ، ما هو منبعها ، و ما هو ضروري لنضع لها حدّا و لنوجد مجتمعا و عالما أفضل ؟

• ما هي الوسائل و المناهج الصحيحة لفهم تطوّر المجتمع الإنساني بما فى ذلك فى مجال الأفكار ، و كذلك بمعنى العلاقات و المؤسّسات الإقتصاديّة و الإجتماعيّة و السياسيّة ، و المسألة الأوسع لطبيعة البشر و علاقتهم ببقيّة الواقع ؟

• ما هي أفضل طريقة لفهم ، و ما هي أتمّ إنعكاسات مبدأ أنّه فى حين تتمّ تلبية الحاجيات المادية الأساسيّة للحياة لكافة الإنسانيّة أحد ركائز مجتمع و عالم عادلين ، ليس هذا كلّ ما يحتاجه البشر ، انّ الناس لا يعيشون بالخبز فحسب ؛ و كيف نفهم دور الروعة و حاجة البشر لأن يندهلوا ، فى علاقة بالعالم المادي و مجال الأفكار و الفلسفة ؟

تحرير دون آلهة

فى الختام إذن لنطرح سؤال : فى تعارض مع أن نكون عبيد الأشياء المرئية و " الأشياء غير المرئية "، ماذا سيشبه حقّا أن نكون أحرارا و ماذا سيعنى ذلك ؟

إلى درجة هامة خاصة مثلما تطرح الأشياء نفسها فى مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية (و على نحو أوسع فى العالم) اليوم ، يعنى هذا مسائل ليس فقط ما إذا كان يمكن إجتثاث المضطهِدين القساة و المتخندقين جيّدا من السلطة بل أيضا ما إذا كان بإمكان الجماهير الشعبية ذاتها أن تتغيّر من أجل خوض نضال ثوري سينتج حقّا عالما أفضل . هل يمكن أن يقود الشيوعيون هذا ، الشيوعيون الذين ينبذون الدين و الإيمان بما وراء الطبيعة و يؤكّدون على أنّ الناس ذاتهم يجب و يمكن أن يفهموا العالم و يغيّرونه بوسائل أساسية ، عبر جهودهم الواعية الخاصة و من أجل مصالحهم الأعلى الخاصة فى مصلحة الإنسانية الجمعاء ؟

هل يمكن أن نكون فى حالة جيّدة دون إلاه ؟ حسنا ، مثلما تحدّثت عن ذلك فى " التبشير من منبر العظمة ..." يمكن أن نكون – و يجب أن نكون – لسببين إثنين . أوّلا ، و جوهريّا ، لا وجود لإلاه . لذلك إن كنّا سنوجد مجتمعا جيّدا ، عالما جيّدا ، يجب أن ننجز ذلك دون إلاه . لكن أيضا ، وهو أمر غاية فى الأهمّية ، لكافة هذه الأسباب التى تحدثنا عنها هنا ، عالم جديد – مختلف و أفضل راديكاليّا – يمكن فى آخر التحليل أن يوجده **فقط** أناس يتخلّصون بصفة متصاعدة من الإيمان بإلاه (و بالماورائيات على وجه العموم) فى سيرورة و كجزء حيوي من سيرورة مزيد المواجهة أبدا بوعي للواقع كما هو فعليّا و تغييره تغييرا ثوريّا .

هل يمكن أن يكون للوجود الإنساني معنى دون إلاه ؟ جواب الشيوعية على هذا السؤال هو قطعا نعم . لكن المعنى الذى يعطى لوجود الإنسانية ما هو **سوى المعنى الذى نعطيه له نحن البشر** . بالنسبة للذين يقع بلا رحمة إستغلالهم و إضطهادهم و الهيمنة عليهم و إذلالهم فى ظلّ حكم النظام الرأسمالي و وفق إملاءاته – و بالنسبة لجميع المعنيين بعمق بمستقبل الإنسانية و يقرّون بالحاجة إلى عالم مختلف راديكاليّا و بإمكانيته – المعنى الأعظم الذى يمكن إعطاؤه للوجود هو أن نكون جزءا من النضال لإيجاد هذا العالم الجديد و لتبنّى النظرة الشيوعية للعالم و منهجها العلميين ، ما سيمكن من إنارة الطريق و توفير أساس إنشاء وسائل التقدّم عبر الصراع من خلال كافة المنعرجات و الإلتواءات لتحقيق ذلك الهدف .

و من هنا ، فى الختام : جيلا بعد جيل – ليس فى تلك الأجزاء من العالم حيث قد سيطر " التقليد اليهودي – المسيحي " فحسب ، بل ضمن مليار أو حوالي المليار من الناس الذين يعيشون فى أراضي أين يهيمن الدين الإسلامي ، و فى أماكن أين هيمنت ديانات أخرى و تقاليد و مفاهيم مشابهة للدين – لآلاف السنين على هذا النحو ، كان المجتمع الإنساني و الغالبية العظمى من الإنسانية قد ناءت ليس تحت وطأة العلاقات المادية من الإستغلال و الإضطهاد و ما رافقها من عذاب نفسي و فقر و عنف فقط ، و إنّما أيضا تحت وطأة المفاهيم الدينية و " الخطيئة " و مفاهيم مشابهة مثل " الكرما " التى إستعملت لتضليل الناس فى ما يتصل بمنبع عذابهم ، و بالفعل قد إستعملت لإقناع الناس بأنّهم هم أنفسهم مسؤولون عن هذا العذاب بما أنّهم قد يكونوا بشكل ما قد قاموا بإغضاب بعض الكائن أو الكائنات الماورائية أو قوى ماورائية أخرى تحدّد فى النهاية مصير الإنسانية .

و مثلما صغت ذلك فى " التبشير من منبر العظمة ..." مع الشيوعية ستنتهى " الخطيئة ". إن كان مفهوم " الخطيئة " هو الإنحراف عن طريق الإلاه بالتالي موضوعيّا لا وجود ولم يوجد أبدا أي شيء مثل هذا لأنّه لا يوجد و لم يوجد أبدا اي إلاه. لكن ، أبعد من ذلك ، عندما يتمّ بلوغ نقطة حيث الظروف المادية و الإيديولوجية تتوفّر للإنسانية لتغيّر نفسها و العالم طوعا و عن وعي ، عندئذ لن يُوجد أيضا أساس (ذاتي) ل " الخطيئة " لأنّه لن توجد حاجة أو أساس للإيمان بإلاه. عند تلك

النقطة و بعدها فى المستقبل سيظلّ هناك صواب و خطأ ، حسن و سيّئ – بمعنى ما ينطبق و ما لا ينطبق على الواقع الموضوعي و يساهم أو لا يساهم فى صياغة الحرّية من الضرورة و تنمية قدرة المجتمع و الأفراد الذين يشكّلونه لمواصلة التطوّر بطريقة شاملة . لكن لن يوجد بعدُ مفهوم " الخطيئة " .(ص 81)

عندما نكون قد بلغنا تلك النقطة ، نكون قد خفّفنا أوزارا ثقيلة عن الناس ، و كلّ هذا سيكون تحريرا حقيقيّا ، عظيما و غير مسبوق .

" الثورة الشيوعية و العالم الشيوعي الذى ستوجده سيزدهر و يعطي أجنحة للفنّ و الخيال – ل "روح الإنسان " – على اساس أوسع بكثير و على مستوى أرقى بكثير من أي زمن مضى فى تاريخ الإنسان و سيتمّ التخلّص من قيود الدين و التطيّر . بكلمات أغنية " الأممية "ستحرّر الروح من سجنها " و يسمح لها بالتحليق إلى أعالي غير مرئية و غير متخيّلة قبلا ". (" **الوعظ من منابر العظمة** ..." ، ص 89).

هذا ما سيعنيه العيش فى عالم أين سيكون ممكنا أن يجنح الخيال دون الوقوع فى وهم أنّ ما هو خيالي واقع ؛ أين لن يمضي الناس حياتهم و هم يخشون السلطة الرائعة المفترضة لكائنات ماورائية ، هي بالفعل غير موجودة ؛ أين الدين و التطيّر لم يعودا يقفان فى طريق المواجهة الواعية للواقع و تغييره فى مصلحة الإنسانية ؛ أين لن تكون هناك حاجة للبحث بيأس عن حياة أخرى " تالية " فيها سيُوضع حدّ فى النهاية لليل طويل من العذاب و الآلام النفسية المبرّحة و كذلك الجسدية التى تعيشها اليوم الغالبية العظمى من الإنسانية – لا حاجة لأنّ العذاب و الآلام النفسية المبرّحة فى **هذا** العالم سيكون قد قضي عليهما.

هذا ما سيعنيه أن كون أحرارا بصيغة جديدة وأعظم بكثير نوعيّا من ذى قبل أبدا فى تاريخ الإنسانية **!**

<u>الهوامش :</u>

48- فى " **ضد دوهرينغ** " ، قال إنجلز حين أنجزت الماركسية إختراقا فلسفيا ركّز المادية على أساس صلب و علمي ، كلّ ما بقي من الفلسفة السابقة هو الجدليّة و المنطق الشكليّ . و بينما لدي بعض الإختلافات الهامة مع حجّة إنجلز هذه ، هناك أهمّية مستمرّة للمنطق الشكلي ، مفهوما الفهم الصحيح . و لنقاش الإختلافات مع إنجلز حول هذه النقطة ، أنظروا " **ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة** " ، وعلى وجه الخصوص، " **الماركسية علم و ليست " نهاية الفلسفة** " " .

49- أسباب تعويض المجتمعات المشاعيّة الأولى بمجتمعات قائمة على الإستغلال الطبقي - و متميّزة بالعلاقات الإجتماعيّة الإضطهاديّة ، بما فى ذلك بشكل جدّ هام و محوري ؛ إضطهاد النساء – ناقشتها فى خطابي " **وجهات نظر حول الإشتراكية و الشيوعية - نوع جديد راديكاليّا من الدولة ، نظرة للحرّية مختلفة راديكاليّا و أوسع بكثير** ". و قد نشرت نسخة منقّحة منه فى " **الثورة** " وهي متوفّرة على <u>www.revcom.us</u> .

و تحليل هام و رؤى ثاقبة لهذه المسائل و غيرها ذات الصلة ، مع تركيز خاص على إضطهاد النساء ، متوفّر أيضا فى " **الخطوات الأولية و القفزات المستقبلية ، بحث فى ظهور الإنسان و منبع إضطهاد النساء و طريق التحرير**" لآرديا سكايبراك ، بانر براس 1984.

50- صحيح أنّ الرأسمالية قد إستطاعت أن تستعمل و أن تدمج فى سيرورتها العامة للمراكمة ، الإستغلال الذى يتمّ بأشكال ما قبل رأسمالية و منها ليس فحسب الإقطاعية بل كذلك العبودية السافرة . و صحيح أيضا أنّ بعض أشكال العبودية يتواصل وجودها فى عالم اليوم و أنّه ، بمعنى شامل ،نتيجة هذا الشكل من الإستغلال الكامن ، السيرورة العامة للمراكمة الرأسمالية، لا سيما على النطاق العالمي .(أنظروا مثلا " **عبودية القرن الواحد و العشرين فى ظلّ الرأسمالية المعولمة** "، " **الثورة**" عدد 102 ، 23 سبتمبر 2007 ، وهو مقال متوفّر أيضا على موقع

<u>www.revcom.us</u>) .

لكن هذه الطريقة فى الإستغلال ليست مميّزة للإنتاج / الإستغلال الرأسمالي فى حدّ ذاته ، و كذلك لا تتمّ الدعوة إلي العبودية السافرة و الدفاع عنها على أنّها " طبيعية " (" فى توافق مع طبيعة الإنسان ") فى المجتمع الرأسمالي .

==

++

ملحقان من إقتراح المرتجم

ملحق 1 :

الفصل الخامس من كتاب " الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و خطاباته " – العدد 16 من " الماويّة نظريّة و ممارسة "

الأخلاق و الثورة و هدف الشيوعية

1- أساس الأخلاق الشيوعية يتركّز بشكل مكثّف فى ما يشير إليه الماويّون ب " الكلّ الأربعة " . وقد إستخلصوا ذلك من تلخيص ماركس لهدف الثورة الشيوعية و ما تؤدّى إليه : إلغاء كلّ الإختلافات الطبقية (أو " الإختلافات الطبقية عامّة ") و إلغاء كلّ علاقات الإنتاج التى تستند إليها علاقات الإنتاج هذه ، و إلغاء كلّ العلاقات الإجتماعية التى تناسب علاقات الإنتاج هذه ؛ و تثوير كلّ الأفكار الناجمة عن هذه العلاقات الإجتماعية . (أنظروا " **صراع الطبقات فى فرنسا** ، 1848 - 1850 ").

الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق **تقليدية** ، 1999.

2- من التهم الأساسية التى يوجهنا إلينا معارضو الشيوعية أنّ الشيوعيين يؤمنون ب " الغاية تبرّر الوسيلة " – أنّ أي شيء مسموح به طالما أنّه يمكن أن نقول إنّه يساعد على تحريك الأمور بإتجاه بلوغ الشيوعية فى نهاية المطاق. و هذا ليس خاطئا فحسب بل هو قلب للحقيقة رأسا على عقب . إنّه لمبدأ شيوعي أن تكون الوسائل **منسجمة** مع ويجب أن تنبع من الغايات (أو الأهداف). غالبا من الضروري و المرغوب فيه بالنسبة للشيوعيين أن يناضلوا من أجل أهداف لا تنتقص من الهدف النهائي المتمثّل فى " الكلّ الأربعة "- بما أنّ هذا يمكن أن يساهم فى البلوغ النهائي لهذه " الكلّ الأربعة " – لكنّه من غير المقبول أبدا لدي الشيوعيين أن يدافعوا أو يقاتلوا فى سبيل أو أن يستخدموا وسائلا و طرقا **فى تعارض جوهري** مع ذلك الهدف النهائي . و تتطلّب الشيوعية البحث الأكثر تصميما و جرأة عن الحقيقة ، حتى و إن كانت تلك الحقيقة ستزعج المرء على المدى القصير ، لأنّه بقدر ما يستوعب المرء الحقيقة – بقدر ما يملك المرء فهما أصحّ و أشمل ما أمكن للواقع الموضوعي – بقدر ما يكون ممكنا أن يغيّر الواقع الموضوعي بإتّجاه يخدم مصالح الإنسانية .

الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليدية ، 1999.

3- مسألة المبدأ برمّتها هي أنّه عليكم أن تقاتلوا من أجله حين لا يكون من اليسير القيام بذلك. لا حاجة إلى مبدأ إذا لم يطبّق سوى عندما لا يكون من المهمّ تطبيقه .

" المناهج و المبادئ "

ملاحظات حول الفنّ و الثقافة ، و العلم و الفلسفة ، 2005.

4- " الأخلاق الغربية " – و بالمناسبة ، الأخلاق المهيمنة فى كافة أنحاء العالم حيثما يتميّز المجتمع بالإنقسام و الطبقية و الإستغلال و النظام الأبوي [البطرياركية] و أشكال أخرى من الإضطهاد – كانت على الدوام عقلنة وتبريرا للإضطهاد .

الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليدية ، 1999.

5- " حزام الإنجيل " فى الولايات المتحدة هو كذلك حزام القتل بوقا .

لنتخلّص من كافة الآلهة ! تحرير العقل و تغيير العالم راديكاليّا ، 2008.

6- ملاحظة الناشر : يتحدّث بوب أفاكيان عن ستينات القرن العشرين .

بين المحتجّين المناهضين للحرب و مخطّطى الحرب فى البنتاغون ، بين الفهود السود و إدغار هوفر ؛ بين السود و اللاتينو و الآسيويين و السكّان الأصليين من جهة و الحكومة من الجهة الأخرى ؛ بين النساء اللاتى تمرّدن ضد أدوارهنّ " التقليدية " و الرجال الأغنياء الشيوخ الذين حكموا البلاد ؛ بين الشباب الذين تقدّموا بموسيقى جديدة ، بالمعنى الأشمل و الوعّاظ الذين ندّدوا بهم على أنّهم أتباع الشيطان و سالبى الحضارة : كانت خطوط المعركة مرسومة بحدّة . و فى مسار هذه الأوقات الإعصاريّة أولئك الذين كانوا يتمرّدون ضد النظام القائم و العلاقات و التقاليد المهيمنة وجدوا بصفة متصاعدة قضيّة مشتركة و وحدة قويّة ؛ و بصفة متصاعدة كسبوا – و إستحقّوا – الأخلاق و كذلك المبادرة السياسيّة بينما كانت الطبقة الحاكمة متخندقة و ترفس لتدافع عن حكمها ، لكن بصفة متصاعدة و بحقّ خسرت الأخلاق و السلطة السياسية .

الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليدية ، 1999.

7- حياة الأمريكيين **ليست** أهمّ من حياة الآخرين .

التقدّم بطريقة أخرى

"الثورة " عدد 88 ، 13 ماي 2007.

8- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل .

رصاصات من كتابات و خطابات وحوارات بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، 1985.

9- علينا أن نكسب الناس إلى الشيوعية ، ثمّ نشرع بنشاط فى سيرورة إنتدابهم . نحتاج إلى أن ننتدب شيوعيين ، أناس يكونوا مستعدّين و مصمّمين على تكريس حياتهم للثورة و الغاية الأسمى لعالم شيوعي – ليكونوا محرّري الإنسانية – ليساهموا قدر إمكانهم ، بطريقة منظّمة و منضبطة فى هذه القضيّة .

القيام بالثورة و تحرير الإنسانية ، الجزء الثاني ،

" كلّ ما نقوم به يتعلّق بالثورة "

" الثورة " عدد 116 ، 20 جانفي 2008

10- هنا أودّ أن أقدّم صيغة أحبّها لأنّها تصيب الكثير ممّا هو أساسي . بُعيد 11 سبتمبر ، قال أحدهم أو كتب فى مكان ما أمّ الحياة فى الولايات المتحدة تشبه قليلا الحياة فى منزل توفّى سبرانو . تعرفون أو لديكم فكرة على أن جميع الأشياء الجيّدة التى لديكم لها صلة ما بما يقوم به صاحب المنزل خارجا فى العالم . و مع ذلك لا تريدون النظر بعمق كبير أو بعيدا جدّا لما يمكن أن يكون ذلك لأنّ ذلك قد يزعج كلّ شيء – و ليس فقط ما لديكم ، و كلّ ما تملكون ، لكن كلّ الفرضيّات التى تقيمون حياتكم على أساسها .

التقدّم بطريقة أخرى

" الثورة " عدد 87 ، 6 ماي 2007.

11- هناك نقطة حيث تلتقى الأبستيمولوجيا و الأخلاق . هناك نقطة حيث عليك أن تقف و تقول : من غير المقبول رفض النظر فى شيء – أو رفض الإعتقاد فى شيء – لأنّ ذلك يزعجك . و من غير المقبول الإعتقاد فى شيء لمجرّد أنّه يجعلك تشعر بالراحة .

التقدّم بطريقة أخرى

" الثورة " عدد 87 ، 6 ماي 2007 .

12- بعد محرقة الهولوكوست ، أسوء ما حدث لليهود هو دولة إسرائيل .

" الثورة " عدد 63 ، 1 أكتوبر 2006 .

13- الواقع هو أنّ حياتك ، سواء كانت قصيرة أم طويلة (ضمن هذا الإطار المحدود) ، ستكون مكرّسة لنوع أو آخر من الأهداف . و ستشكّلها قوى أوسع مستقلّة عن إرادتك ، لكن عندها هناك مسألة كيف ، نعم، يتفاعل كلّ فرد – و كذلك ببعد مختلف ، أوسع الطبقات الإجتماعية – مع الطريقة التى تواجهكم بها التناقضات التى تشكّل الأشياء و تصدمكم و هناك إرادة واعية و قرار واعي بمعنى ما يفعله الناس بحياتهم ، فى علاقة بما يرونه ضروريّا و ممكنا و مرغوبا فيه .

تأملات و جدالات : حول أهمّية المادية الماركسية و الشيوعية كعلم و العمل الثوري ذو الدلالة وحياة لها مغزى .

" الثورة " عدد 164 ، 17 ماي 2009 .

14- الدين عقيدة خضوع – خضوع أعمى ؛ والماركسية عقيدة تمرّد – تمرّد أوعى أبدا .

الشيوعيون متمرّدون : رسالة من رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، بوب أفاكيان إلى والديه حول الفلسفة و الدين و الأخلاق و الثورة المستمرّة ، 1980 .

15- " لا تستهينوا أبدا بالأهمّية الكبرى للإيديولوجيا " .

لدينا مثال سيئ للغاية عن هذا فى الأصوليين الإسلاميين . فطريقة مضيّهم فى القيام بما يقومون به تتضمّن مكوّنا إيديولوجيّا قويّا للغاية .

كيف يتفاعل الناس مع الظروف التى يجدون فيها أنفسهم ؟ ما هو المسار أو السبيل الذى يسلكونه ، و مع ماذا يتفاعلون ، فى مواجهة هذه الظروف؟ هذا أمر غير محدّد سلفا . لا وجود لطريقة واحدة يتفاعل وفقها الناس آليّا و بغضّ النظرعن التأثيرات التى يتعرّضون إليها . و حتى مستوى تضحيات الناس يرتهن بتوجههم الإيديولوجي إلى درجة هامة جدّا .

التقدّم بطريقة أخرى

" الثورة " عدد 98 ، 19 أوت 2007 .

16- لنكن واضحين : الأطفال الإناث و الأطفال عامة ، لا يجب النظر إليهم و معاملتهم على أنّهم ملك لأوليائهم و لآبائهم بصورة خاصّة . هذا ليس العالم الذى نهدف إلى بلوغه ، ليس العالم الذى يستحقّ أن نعيش فيه . هكذا كان الأمر طوال آلاف السنين ، و قد تجسّد ذلك و شجعت عليه الكتابات و التقاليد الدينية إلاّ أنّ هذا ليس العالم كما نريده و ليس العالم كما ينبغى أن يكون . نعم ، يحتاج الأطفال إلى الإنضباط . لكنّهم لا يحتاجون لأن يتعرّضوا للضرب بمطرقة أو قضيب ليكونوا منضبطين ـ و ليكون لديهم مراد . يحتاجون إلى أن يقادوا – إلى من يلهمهم و نعم ، أحيانا لمن يمسك بأيديهم بصلابة – كجزء من رؤية و هدف عامين لإيجاد عالم مختلف راديكاليّا و أفضل بكثير . و مع نموّهم و غدوّهم أوعى بهذا الهدف و قادرين على العمل بوعي للمساهمة فى تحقيقه ، بمقدورهم أن يصبحوا شيئا فشيئا جزءا من هذه السيرورة . لكن حتى قبل تمكّنهم من أن يصبحوا عن وعي جزءا من هذا ، فإنّ المبادئ التى تطبّق لإيجاد مثل هذا العالم ينبغى أن تطبّق بالمعنى الجوهري فى ما يتصل بالأطفال – أطفالكم و أطفال غيركم .

لنتخلّص من كافة الآلهة !...

17- من الضروري أن نقول للشعب و بجرأة : " لسنا فى حاجة إلى كنائس ، لسنا فى حاجة إلى المطرقة ، لسنا فى حاجة إلى القضيب ، و لا ، لسنا فى حاجة إلى العصابات و المخدّرات – **ما نحتاجه هو الثورة ."**

لنتخلّص من كافة الآلهة !...

18 – بطرق متعدّدة لا سيما بالنسبة للرجال ، قضيّة المرأة و ما إذا كنتم تبحثون عن القضاء التام على علاقات الملكية و العلاقات الإجتماعية القائمة و ما يتناسب معها من إيديولووجيا تستعبد النساء (أو ربّما " جزء منهنّ فقط ") مسألة محكّ **فى صفوف المضطهَدين أنفسهم** . إنّها خطّ تمايز بين " إرادة البقاء ضمن " أو " الخروج عن " : بين القتال من أجل وضع حدّ لكلّ الإضطهاد و الإستغلال – و تقسيم المجتمع ذاته إلى طبقات – و البحث فى آخر التحليل عن أن نكون جزءا من هذا .

بوب أفاكيان ، جريدة " الثورة " عدد 158 ، 8 مارس 2009 .

19- من جديد ، بينما هناك بالتأكيد المزيد نتعلّمه عن هذا ، يمكن أن نقول إنّه بالنظر إلى مجال الحياة الجنسية و إلى بعض الطرق التى لها دلالة بالنسبة للحركة الشيوعية عامة و بالنسبة لحزبنا على وجه الخصوص ... مسألة المثلية الجنسية كانت علامة خاصّة على ضعف الحركة الشيوعية و الدول الإشتراكية تاريخيّا – منذ زمن إنجلز ، بملاحظاته المأسوف عليها

المشنّعة بالمثلية إلى الثورة الصينية . و فى هذا قد تكثّفت نقطة ضعف عند الحركة الشيوعية بصدد الحياة الجنسية بصورة أعمّ ، بما فى ذلك بوجه خاص كيف يرتبط هذا بمكانة النساء و النضال من أجل تحرّرهنّ تحرّرا كاملا ...

الحاجة إلى قفزة أبعد و قطيعة راديكالية و أساسهما :

لذا بينما هناط قطعا المزيد نتعلّمه من خلال البحث و الدراسة و التحليل و التلخيص ، فإنّى أعتقد أنّ كلّ هذا يركّز أنّ هناك حاجة لقطيعة راديكالية أعمق لإرساء قاعدة أصلب للبلوغ الحقيقي ل " الكلّ الأربعة " فى أتمّ أبعادهم . و قد جرى التعبير التام عن هذا أو جرى الإقرار به تماما فى تاريخ الحركة الشيوعية بما فى ذلك فى تاريخ حزبنا ، إلى المدّة الأخيرة حين شرعنا فى الخوض جدّيا فى المسائل من وجهة نظر مختلفة و أكثر راديكاليّة بكثير .

إنّ تغيير موقف حزبنا بشأن المثليّة الجنسية [إلى موقف يدعم تماما النضال ضد إضطهاد المثليين كجزء هام من التقدّم نحو هدف الشيوعية و تحرير كافة الإنسانية] (+) إجراء فى غاية الدلالة وهو نتيجة لما تطوّر إلى خلاصة جديدة ، و خاصة المنهج و المقاربة المجسذدين فى الخلاصة الجديدة . إنّه يمثذلأ قطيعة مع الكثير من التيّارات و النزعات فى صفوف الحركة الشيوعية ، التى كانت إلى درجة غير صغيرة تخنق هذا النوع من النظريّة الراديكالية و الحركة الراديكالية التى ينبغى أن تكونها و يجب أن تكونها الحركة الشيوعية فعليّا . لكن بالمعنى الواقعي ، يمثّل هذا بداية علينا أن نشيّد عليها و نمضي بها أبعد بكثير – على أساس المقاربة العلمية و الخلاصة الجديدة لما أشرت إليه آنفا على أنّه الجوهري و النظري .

التناقضات التى لم تحل قوّة محرّكة للثورة ، الجزء الثالث :

" الخلاصة الجديدة و قضية المرأة : تحرير النساء و الثورة الشيوعية – المزيد من القفزات و القطيعة الراديكالية ".

" الثورة " عدد 196 ، 28 مارس 2010.

(+) إلى أواخر تسعينات القرن العشرين ، بينما كان الحزب الشيوعي الثوري يعارض التمييز المبني على النزعة الجنسية ، كان ينظر إلى المثليّة الجنسية كظاهرة إجتماعية سلبيّة ، و شيء يجب النضال ضدّه إيديولوجيّا ، بطريقة مشابهة للدين . و مع نهاية تسعينات القرن العشرين ، كجزء هام من إنجاز المزيد من القطيعة الراديكالية مع بعض النظرات و المواقف السياسية المتخلّفة ، كانت فعلا تجسّد مظاهر " القيود التقليدية " – بما فى ذلك فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية تاريخيّا – شرع الحزب الشيوعي الثوري فى سيرورة دراسة و تحليل أدّت إلى تغيير جوهري فى موقفه حول هذه المسألة . و من أجل الإطلاع على التصريح الأساسي المتصل بهذا التغيير فى الموقف و على سيرورة التنفحّص والتحليل النقديين اللذين أدّيا إلى هذا التغيير ، أنظروا " حول الموقف من المثليّة الجنسية فى مشروع البرنامج الجديد " المنشور من قبل الحزب الشيوعي الثوري فى 2001 .

20- لا يمكن السماح بإستمرار وضع حيث البدائل ذات التأثير الإجتماعي الواسع فى هذا المجتمع فردية و متسامحة ، منجهة ، فى حين أنّه من الجهة الأخرى ن الأصولية الدينية و التبعية الدينية و التضحية بالنفس فى سبيل الطاغوت الجماعي للغزو و النهب الإمبرياليين مثلما هو الحال بالنسبة لجيش الولايات المتحدة ؛ و حيث ، بشكل أو آخر ، الثقافة و الأخلاق اللتان تخدمان مصالح أكثر المستغِلّين و المضطهِدين وحشيّة – و نظام ، دون أدنى مبالغة ، يسحق بالفعل الحياة و يمزّق الأرواح على نطاق واسع حولالعالم ، فى حين له جرأة تقديم نفسه كأفضل الأنظمة الممكنة و كمثال لامع على العالم أن يحتذي به – و يملك سيطرة لا يتحدّاها أحد تقريبا .

القضيّة هنا هي أنّه ثمّة حاجة واقعيّة و أساس واقعيّ للتقدّم و القتال من أجل – و نعم ، العيش الآنحتى – بفلسفة مختلفة راديكاليّا وثقافة و أخلاق مختلفين راديكاليّا. و إضافة إلى مجالي الثقافة و الأخلاق ، هناك حاجة مثلما شدّدت على ذلك قبلا ، إلى خوض معركة شرسة فى المجال الإيديولوجي / الأبستيمولوجي ، لا سيما ضد **النسبية** وتبعاتها الضارة . و من

جديد ، نشاهد الآن وضعا يشبه إلى حدّ كبير ذلك الذى وصفه وليام بتلار ويتس فى قصيدة له : الأسوأ تملؤه الشدّة و الحماسة "- و اليقين المطلق ، و يمكن أن نضيف فيما " يفتقد الأفضل القناعة كلّها " . يجب المسك بهذا راديكاليّا و تغييره راديكاليّا.

العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا ، لكن بوسع الإنسانية أن تتجاوز الأفق ، الجزء الثاني

" بناء الحركة من أجل الثورة " ، الثورة 2011.

21- هل يحتاج السود أن يتحمّلوا المسؤولية ؟

المسؤوليّة من أجل ماذا ؟

المسؤوليّة عن الثورة – قطعا ! ينبغى علينا جميعا تحمّل مسؤوليّة القيام بالثورة – لتحرير الإنسانية قاطبة من نظام الإضطهاد هذا برمّته .

" فى أعقاب الإنتخابات ، نقطة توجّه أساسية : إلى الجماهير ...بالثورة " ،

" الثورة " عدد 149 ، 30 نوفمبر 2008 .

22- وفاة ويلي "موبايل " شو (+) خسارة فظيعة و مريرة . كان ويلي يريد أن يكون لحياته معنى – معنى يتجاوزقانون الغاب و الجنون الإجرامي الذى يسلّطه هذا النظام على الناس و يأسرهم فيه بألف طريقة و طريقة يوميّا . لقد إلتحق بالثورة و أضحى شيوعيّا و كرّس حياته لتحرير كافة الناس الذين يضطهدهم هذا النظام - و ليس فقط أناس من جنس بشري واحد، أو فى حيّ واحد، و إنّما الرجال و النساء من جميع الأجناس البشرية و كافة الأمم و اللغات ، حول العالم أجمع . غالبيتهم لو يقابلهم ويلي أبدا غير أنّه توصّل إلى رؤية أنّهم يتقاسمون مصيرا مشتركا وبوسعهم أن يصنعوا مستقبلا أفضل بكثير. حياة ويلي دليل على أنّ الالذين يسعى النظام الفاسد بكلّ الطرق إلى جرّهم بعنف - يمكن أن ينهضوا ؛ و دليل على أنّ الذين يعاملهم النظام على أنّهم أقلّ من بشر- يمكن أن يصبحوا محرّري الإنسانية جمعاء.

لم يُدر ويلي ظهره قط إلى الناس الذين لم يتوصّلوا بعدُ إلى رؤية العالم مثلما توصّل هو إلى رؤيته – مثلما هو حقّا ؛ لم يتخلّى قط عن كسبهم إلى القتال من أجل عالم مختلف راديكاليّا و أفضل . لقد جاء ويلي إلى الثورة بقلب جبّار و بثراء تجربة حياة و ذكاء كبير مستخلص من تلك التجربة . و أعتبر نفسي محظوظا للغاية لكوني إلتقيت به و قضّيت وقتا فى الحديث معه . و قد طرح علي عدّة أسئلة – و ساعدنى على تعلّم أشياء كثيرة . قال لي ويلي : " أنت أملنا الوحيد " . و حفظت هذه الكلمات فى قلبي بعميق الشعور بالمسؤولية بأن بأن أكون فى مستوى المطلوب منّى . غير أنّ ويلي و جميع أمثاله فى العالم هم أيضا الذين يمدّونى بالأمل – إنهم يمثّلون أمل الإنسانية فى عالم أفضل . كامل تجربة حياة ويلي و وفاته المبكّرة جدّا ، يصرخان من أجل الثورة . و التغيرات التى مرّ بها ويلي ، فى حياته القصيرة جدّا بأكملها – مسار عبوره الكثير من الحواجز لمعانقة قضيّة تحرير الإنسانية – تصرخ ب**إمكانية** الثورة . و قلوبنا منقبضة تتقطّع حزنا على فقدان ويلي ، لنبقى فيها و لنتعلّم كلّ ما يمكن تعلّمه من هذا الإنسان الجميل الذى كانه ويلي " موبايل" شو و طريقة تكريسه حياته للثورة و الشيوعية و جعلها حقّا ذات قيمة بأكبر قدر ممكن .

" بيان لبوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، إثر وفاة ويلي " موبايل" شو "

" الثورة " عدد 27 ، 18 ديسمبر 2005.

(+) نشأ ويلي " موبايل " شو و عاش حياته بأكملها فى المشروع السكني لحدائق نيكرسون فى واتس من لوس أنجلاس . و بعد العمل مع الثوريين هناك لفترة من الزمن ، إلتحق بالحزب الشيوعي الثوري ن الولايات المتحدة الأمريكية . و أدّت به ظروف حياته القاسية إلى الإصابة بمرض خطير فتوفّي فى 24 توفمبر 2005 نتيجة تعكّر حالته الصحّية عقب عمليّة جراحية.

23- لئن توفّرت لك فرصة رؤية العالم كما هو حقّا ، هناك طرق مختلفة بعمق يمكن أن تسير فيها حياتك. يمكنك ببساطة أن تتبنّى قانون الغاب ، و على الرجح سيبتلعك ذلك بينما تسعى إلى المضيّ قدما فى ذلك النهج . و يمكنك أن تضع ثلجا فى حوض ماء و تحاول أن لا تتركه يذوب قدر الإمكان بينما تزاحم بيأس للحصول على أكثر ممّا لدى غيرك. أو يمكن أن تسعى إلى القيام بشيء سيغيّر التوجّه الكامل للمجتمع و كامل الطريقة التى يوجد عليها العالم . و لمّا تضع هذه الأشياء بعضها إلى جانب بعض ، ما هو الشيء الذى له معنى ما ، ما هو الشيء الذى يساهم حقّا فى شيء يستحقّ العناء ؟ ستكون حياتك متمحورة حول شيء – أو ستكون متمحورة حول لا شيء . و ليس هناك شيء أعظم تكرّس له حياتك من المساهمة بكلّ ما فى وسعك فى التغيير الثوري للمجتمع و العالم ، لوضع نهاية لكلّ الأنظمة و العلاقات الإضطهادية و الإستغلالية و كلّ العذاب و الدمار غير الضروريين المصاحبين لها . لقد تعلّمت ذلك بصورة أعمق فأعمق من خلال كافة منعرجات الثورة الشيوعية إلى الآن و إلتواءاتها و حتى تراجعاتها الكبرى و كذلك مكاسبها الكبرى ، فى ما لا تزال بعدُ حقّا مراحلها التاريخية الأولى .

من إيكي إلى ماو و بعده : مسيرتي من الفكر الأمريكي السائد إلى شيوعي ثوري ، سيرة ذاتية لبوب أفاكيان ، 2005.

24- فى آخر التحليل ، مثلما عبّر عن ذلك إنجلز فى مناسبة من المناسبات ، يجب على البروليتاريا أن تكسب تحرّرها فى ساحة المعركة . لكن لا توجد مسألة الإنتصار فحسب بهذا المعنى بل بالمعنى الأوسع لكيفية الإنتصار . و من الطرق المهمّة أو لعلّها الدقيقة و عادة نادرا ما تلاحظ و التى يبحث بها العدوّ حتى فى الهزيمة ، عن الثأر تماما من الثورة و زرع بذور تفكّكها المستقبلي ، هي ما سيجبر الثوريين على أن يصبحوا ليلحقوا به الهزيمة . و يتلخّص الأمر فى التالي : علينا أن نواج العدّو فى الخنادق و نلحق به الهزيمة وسط دمار فظيع لكن لا ينبغى فى السيرورة أن نمحو الإختلاف الجوهري بيننا و بين العدوّز هنا مثال ماركس ساطع : لقد قاتل مرارا و تكرارا بصورة لصيغة إيديولوجيي البرجوازية و مدّاحيها بيد أنّه لم يقاتل أبدا على طريقتهم أو بنظرتهم ،منهج ماركس منعش بقدر ما أنّ هدفه ملهم .

يجب أن نتمكّن من أن نحافظ على صلابة مبادئنا لكن فى نفس الوقت نحافظ على مرونتنا ، نحافظ على ماديّتنا و على جدليّتنا ، على واقعيّتنا و على رومنسيّتنا ، على حسّنا الجدّي بالهدف و على حسّنا الفكاهي.

من أجل حصاد الثمانين : حول " أزمة الماركسية " و قوّة الماركسية – الآن أكثر من أي زمن مضى ، 1983.

ملحق 2 :

فهارس كتب شادي الشماوي

39 كتابا

متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(" الماوية : نظرية و ممارسة " - من العدد 1 إلى العدد 39)

شكر :

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 1 –

علم الثورة البروليتاريّة العالميّة : الماركسيّة – اللينينيّة - الماويّة

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثانى :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 2 –

عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى **"الثورة"** لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى **"الثورة "** و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 3 –

لندرس الثورة الماويّة فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

مقدّمة

فهرس الكتاب الرابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 4 –

الثورة الماويّة فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 5 –

الثورة الماويّة فى النيبال و صراع الخطّين صلب الحركة الأمميّة الثوريّة

1- **" ثورة النيبال : نصر عظيم أم خطر عظيم ! "** ،

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني- الماوي).

2- وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية :

مقال "الثورة "عدد160 : بصدد التطورات فى النيبال و رهانات الحركة الشيوعية :

- بعض الخلفية التاريخية.

- الوضع الراهن.

- التحوّل إلى التحريفية ، جذوره وإنعكاساته.

- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) يردّ على الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية عمليا و نظريا.

- سويسرا جنوب آسيا أم قاعدة إرتكاز للثورة؟

- مساومة مع التحريفية فى الوقت الذى يحتاج فيه إلى قطيعة راديكالية .

- رهانات هذا الصراع و الحاجة الآن إلى تقديمه إلى العالم.

رسائل الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة:

-1: **في رسالة جانفي 2009**، بعد عرض مقتضب جدا لما سبق من مراسلات و صراع منذ 2005 ، تعلم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) عزمها نشر الرسائل علنيا إذا لم تتصل بردّ شافي أو بسبب مقنع فى حدود منتصف فيفري2009.

-2 : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.
- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.
- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟
- التكتيك و الإستراتيجيا.
- إقتراح يبعث على التساؤل.
- حول "المجتمع الدولي".
- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.
- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".
- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

-3 : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.
- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟
- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.
- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟
- الأرض لمن يفلحها.
- حول الدستور و الحكم الطبقي.
- الممارسة الثورية.
- من يخدع من ؟
- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟
- توغلياتي و توريز.
- إعادة كتابة تاريخ الحزب.
- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة ـ الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

رسالة نوفمبر 2008 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-" دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعى النيبالى (الماوى) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية ـ شكل إنتقالي .

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) من الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) :

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأممية الثورية.

2- بعض الوثائق النيبالية المتصلة بالإنتخابات و نتائجها فى النيبال:

3- تصريحات ماويين آخرين حول النيبال:

فهرس الكتاب السادس :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 6 –

جمهوريّة إيران الإسلاميّة : مذابح للشيوعيّين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

بدلا من المقدّمة :

فهرس الكتاب السابع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 7 –

مدخل لفهم حرب الشعب الماويّة فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 8 –

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتاريّة العالميّة :

الماركسيّة – اللينينيّة – الماويّة

2- الإعداد للثورة الشيوعية مستحيل دون النضال ضد إضطهاد المرأة ! و تحرير المرأة مستحيل دون بلوغ المجتمع الشيوعي!

3- مساهمات فى تغيير الواقع ثوريا.

الفصل الخامس : الثورة البروليتارية و تحرير النساء

1- الثورة البروليتارية و تحرير النساء ...

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

فهرس الكتاب التاسع :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 9 –

المعرفة الأساسيّة لخطّ الحزب الشيوعيّ الثوريّ ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر:

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 10 –

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة

و فى

البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية

فهرس الكتاب 11 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 11 –

الماويّة تدحض الخوجيّة ومنذ 1979

1- **بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، فى الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعى التركى / الماركسى-اللينيني، جويلية 1979.**

2- **دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائى للحزب الشيوعى بسيلان إنعقد فى جويلية 1979 .**

(و إضافة إستثنائية: " **دحض أنور خوجا** " ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.**)

3- "***تقييم عمل ماو تسى تونغ*"؛ **للحزب الشيوعي الثوري الشيلي**- جويلية 1979.

4-**" فى الردّ على الهجوم الدغمائى - التحريفى على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار؛** ماي **1979.**

فهرس الكتاب 12 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 12 –

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

المحتويات :

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوي:

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

==

فهرس الكتاب 13 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 13 –

الماويّة تنقسم إلى إثنين

مقدّمة :

الفصل الأوّل : "خطّان متعارضان حول المنظمة الماوية العالمية " :

أ- الشعوب تريد الثورة ، البروليتاريون يريدون الحزب الثوري ، الشيوعيون يريدون الأممية و منظمة عالمية جديدة .(بيان مشترك لغرّة ماي 2011)

و القرار 2 الصادر عن الإجتماع الخاص بالأحزاب والمنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية من أجل ندوة عالمية للأحزاب و المنظمات الماركسية – اللينينية – الماوية فى العالم . (غرّة ماي 2012.)

و ب- رسالة إلى الأحزاب و المنظمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية ،

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية – غرّة ماي 2012.

الفصل الثانى : " نظرتان متعارضتان لنظام الدولة الإشتراكية " :

أ-" نظام الدولة الإشتراكية "، لآجيث ، الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) نكسلباري.

و ب- " النقاش الراهن حول نظام الدولة الإشتراكية "، ردّ من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية / 2006.

الفصل الثالث : " موقفان متعارضان من " الخلاصة الجديدة " لبوب آفاكيان " :

أ- " موقفنا من الخطّ الجديدة للحزب الشيوعي الثوري و بيانه و قانونه الأساسي"، الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني ، أكتوبر 2010.

و ب - " ردّ أولي على مقال" دراد نوت" بشأن " الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان"، سوزندا آجيت روبا سنغى ، رئيس الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي) ، 18 أفريل 2012.

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) سقط في تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني .

الدولة البروليتارية : الديمقراطية و الدكتاتورية :

الدولة و الحزب :

الدولة و الإيديولوجيا :

الدولة و الدين :

الدولة و الثقافة :

الدولة و الدعاية :

الحرّية و القمع و المقاربة المتصلة بالمعارضة :

الإقتصاد الإشتراكي :

العلاقة بين البلدان الإشتراكية و الثورة العالمية :

تناقضات النظام العالمي و صورة العالم الراهن :

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافي :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعي و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

فهرس الكتاب 15 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 15 –

مقال " ضد الأفاكيانيّة " و الردود عليه

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي .

فهرس الكتاب 16 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 16 –

الأساسيّ من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

<u>الملحق 1 : رسالة مفتوحة إلى الشيوعيين الثوريين و كلّ شخص يفكّر جدّيا فى الثورة بصدد دور بوب أفاكيان و أهمّيته.</u>

<u>الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي .</u>

==

فهرس الكتاب 17 / 2014 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 17 –

قيادات شيوعيّة ، رموز ماويّة

18- لنتجرّا على أن كون مثل تشانغ تشنغ

الفصل الثاني : تحيّة حمراء لشانغ تشن – تشياو أحد أبرز قادة الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى الماويين

1- التجرّأ على صعود الجبال من أجل تحرير الإنسانية (جريدة " **الثورة** ")

2- عاصفة جانفي بشنغاي (جريدة " **الثورة** ")

3- بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية (تشانغ تشن- تشياو)

4- على رأس الجماهير و فى أقبية سجون العدوّ : مدافع لا يلين عن الشيوعية.(أخبار "**عالم نربحه** ".)

الفصل الثالث : إبراهيم كايباكايا قائد بروليتاري شيوعي ماوي

1- لن ننسى الرفيق إبراهيم كايباكايا

2- موقف حازم إلى جانب حقّ الأمّة الكردية التى تعاني من الإضطهاد القومي الوحشي فى تركيا ، فى تقرير مصيرها

3- خطّ كايباكايا هوطليعتنا – مقتطف من الماوية تحيى و تناضل ، تكسب و تواصل الكسب

4- بصدد الكمالية (مقتطف)

5- المسألة القومية فى تركيا

الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

7- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية

8- حان وقت بناء حزب ثوري

9- الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية

10- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري

==

فهرس الكتاب 18 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 18 –

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعيّة على مقال " ضد الأفاكيانيّة " لآجيث

2- الحزب الشيوعى النيبالى – الماوي (الجديد)
و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

مقدّمة

الجزء الأوّل : الوضع اليوم و إدعاءات الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي

الجزء الثاني : الحركة الشيوعية العالمية و الحزب الجديد

المنعرج اليميني فى النيبال : مناسبة للغبطة لدى بعض المراكز

ملاحظات مقتضبة ختاميّة عن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و الصراع صلب الحركة الأممية الثورية ، و الخلاصة الجديدة للشيوعية :

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعى النيبالى – الماوى المعاد تنظيمه .

3- الشيوعية أم القومية ؟

مقدّمة

1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :

2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟

3- النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي :

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقل تطوّرا رأسمالياّ :

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم
- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية
- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية
- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية
- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي
- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا
- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي
- البروليتاريا وكنس التاريخ
- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

فهرس الكتاب 19 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 19 –

نصوص عن الإنتفاضات فى بلدان عربيّة من منظور الخلاصة الجديدة للشيوعيّة

الفصل الرابع : مصر و تونس و الإنتفاضات العربية : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه - مقال من مجلّة " تمايزات " :

ملحق 1 : من المقالات الهامة الأخرى .

ملحق2 : مقال إسرائيل ، غزّة ، العراق و الإمبريالية : المشكل الحقيقي والمصالح الحقيقيّة للشعوب

ملحق 3 : فهارس كتب شادي الشماوي.

==

فهرس الكتاب 20 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 20 –

نضال الحزب الشيوعيّ الصينيّ ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 :

تحليل و وثائق تاريخية

==

فهرس الكتاب 21 / 2015 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 21 –

مقدّمات عشرين كتابا عن " الماويّة : نظريّة و ممارسة "

و فى ثنايا هذا العدد 21 من " **الماوية : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن المقدّمات التى ألّفنا للأعداد السابقة لهذه المجلّة ، بعض الخواتم من تأليفنا و أيضا ملاحق أردناها مكمّلة و متمّمة لمضامين الكتاب برمّته . و هذه الملاحق هي على التوالي :

الملحق 1 : قراءة فى شريط – العدو على الأبواب – ستالينغراد (Enemy at the gates)

الملحق 2 : فهارس كتب شادي الشماوي

الملحق 3 : روابط تحميل العشرين كتابا من مكتبة الحوار المتمدّن

الملحق 4 : كتابات شادى الشماوي و تواريخ نشرها بموقعه الفرعي فى الحوار المتمدّن

(لتنزيل الكتاب بأكمله نسخة بى دة أف ، عليكم بمكتبة الحوار المتمدّن)

http://www.4shared.com/file/p--2OUQsce/__-______-__.html

===

فهرس الكتاب 22 / 2015 :

الماوية : نظرية و ممارسة – 22 –

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ

تأليف بوب أفاكيان

فهرس الكتاب :

==========

تفاصيل الفصول السبعة (إضافة من المترجم) :

الفصل الأوّل : الثورة فى البلدان المستعمرة :

فهرس الكتاب 23 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 23 –

لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون " ...

الثورة الشيوعيّة و الطريق الحقيقىّ للتحرير :

تاريخها و مستقبلنا

ريموند لوتا

عدد خاص من جريدة " الثورة " (عدد 323) ، 24 نوفمبر 2013

www.revcom.us

http://revcom.us/a/323/you-dont-know-what-you-think-you-know-en.html

محتويات الكتاب 23 :

- أكاذيب الفكر التقليدي

- نحتاج إلى ثورة و عالم جديد تماما

الفصل الثانى : بزوغ الفجر – كمونة باريس

- إستخلاص ماركس الدرس الأساسي من الكمونة : نحتاج إلى سلطة دولة جديدة

الفصل الثالث : 1917 – الثورة تندلع عبر روسيا

- لينين و الدور الحيوي للقيادة الشيوعية
- نوع جديد من السلطة
- تغييرات راديكالية فى وضع النساء
- التغييرات الراديكالية : الأقلّيات القومية
- الفنون
- جوزاف ستالين
- بناء إقتصاد إشتراكي
- الصراع فى الريف
- تغيير الظروف و تغيير التفكير
- منعرج : سحق الثورة فى ألمانيا و وصول النازيين إلى السلطة
- الأخطاء و النكسات
- مسألة توجّه
- نوعان من التناقضات
- علاقة حيويّة : التقدّم بالثورة العالمية و الدفاع عن الدولة الإشتراكية

الفصل الرابع : ربع الإنسانيّة يتسلّق مرتفعات تحرير جديدة

- ولادة ثورة
- الصين عشيّة الثورة
- إستنهاض الجماهير لتغيير المجتمع بأكمله
- مسألة لم تحسم : إلى أين يتجه المجتمع ؟

الثورة الثقافيّة : أعمق تقدّم فى السير نحو تحرير الإنسان إلى الآن

الفصل الخامس : نحو مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

الهوامش :

الملاحق

بحثان حول الإبستيمولوجيا :

التاريخ الحقيقي للثورة الشيوعية

===

ملاحق إضافية من إقتراح المترجم :

الملحق 1 : لهوغو تشافيز إستراتيجيا نفطية ... لكن هل يمكن لهذا أن يقود إلى التحرير ؟

الملحق 2 : كوريا الشماليّة ليست بلدا إشتراكيّا

الملحق 3 : الإستعمار من جديد بإسم التطبيع وراء إعادة إرساء العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة و كوبا

الملحق الرابع : فهارس كتب شادى الشماوى

=====================================

فهرس الكتاب 24 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 24-

الصراع الطبقيّ و مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا :

الثورة الثقافيّة البرولتاريّة الكبرى قمّة ما بلغته الإنسانيّة فى تقدّمها صوب الشيوعيّة

بمناسبة الذكرى الخمسين للثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى التى ألهمت و لا تزال تُلهم عبر العالم قاطبة ملايين الشيوعيين الثوريين و الجماهير الشعبيّة التوّاقين لتحرير الإنسانيّة و تشييد عالم آخر ضروري و ممكن ، عالم شيوعي ، و مساهمة منّا فى مزيد التعريف بهذه الثورة و رفع رايتها الحمراء ، أتممنا صياغة فصول أضفناها إلى أخرى سبق نشرها لتأليف هذا الكتاب الذى ننشر اليوم.

الفصل الخامس :

الثورة الثقافية فى الصين...الفنّ والثقافة...المعارضة والصراع...والمضيّ بالثورة نحو الشيوعية (بوب أفاكيان)

خاتمة الكتاب

ملاحق (3) : 1- قرار ال16 نقطة.
2 - ماو تسى تونغ يحلّل الثورة الثقافية .
3- الرئيس ماو تسى تونغ يناقش مظاهر البيروقراطية.

المراجع الأساسية المعتمد
أدبيات إضافية متوفّرة على الأنترنت

فهارس كتب شادي الشماوي

=======================================

فهرس الكتاب 25 / 2016 :

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 25 –

عن بوب أفاكيان و أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية

تحدّث قادة من الحزب الشيوعيّ الثوريّ ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

إضافات إلى الجزء الأوّل من الكتاب

(1)

Prisoners write about Bob Avakian

What People Are Saying about Bob Avakian and *BAsics*

Comments and Reviews

(2)

سيرة مختصرة لبوب أفاكيان

المزيد بصدد بوب أفاكيان

عن موقع

Revolution Newspaper | revcom.us

==================================

(3)

حول القادة و القيادة

==

الجزء الثانى : عن أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية

1- ما هي الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان؟

لينى وولف ، جريدة " الثورة " عدد 129 ، 18 ماي 2008

2- إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

مقتطفات من كتاب : **" العلم و الثورة – حول أهمّية العلم و تطبيقه على المجتمع و الخلاصة الجديدة للشيوعية و قيادة بوب أفاكيان " لأرديا سكايبريك - 2015**

3- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة

بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية - صائفة 2015

جريدة " **الثورة** " عدد 395 ، 13 جويلية 2015

3- إضافات إلى الجزء الثاني من الكتاب

(1)

ستّة قرارات صادرة عن اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

(1 جانفي 2016 ، نشرت فى جريدة " **الثورة** " عدد 423 ، 25 جانفي 2016)

(2)

حان وقت التنظّم من أجل ثورة فعلية

رسالة من اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية

(جريدة " **الثورة** " عدد 440 ، 23 ماي 2016)

(3)

مبادئ نوادى الثورة

(جريدة " **الثورة** " عدد 444 ، 20 جوان 2016)

(4)

كيف يمكننا الإنتصار – كيف يمكننا فعلا القيام بالثورة

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

جريدة " **الثورة** " عدد 457 ، 19 سبتمبر 2016

==

ملاحق الكتاب 25

(1)

إلى الشيوعيّين الثوريّين فى العالم و أفغانستان : قطيعتنا مع الحزب الشيوعي (الماوى) الأفغاني

مجموعة الشيوعيّين الثوريّين - أفغانستان – سبتمبر 2015

(2)

حاجة ملحّة : رفع راية الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان ،

الإطار الجديد الضروري للمرحلة الجديدة للثورة !

بيان للمجموعة الشيوعيّة الثوريّة بكولمبيا ، غرّة ماي 2016

(3)

هذا نداء إستعجالي لغرّة ماي ! لا وقت نضيّعه !

عالم مغاير جذريّا ممكن ! فقط إن رفعنا راية الخلاصة الجديدة للشيوعية !

الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوى) - غرّة ماى 2016

(4) فهارس كتب شادي الشماوي

======================================

======================================
===============

فهرس الكتاب 26 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة -26-

المعرفة الأساسيّة للحزب الشيوعيّ الصينيّ (الماويّ – 1974)

IV- الخط الأساسى للحزب

الخط الأساسى هو قوام حياة الحزب

ينبغى الاعتراف تماما بالطابع المتواصل للصراع الطبقي و الصراع بين الخطين

يجب التحلّى بالرّوح الثوريّة للذهاب ضد التيّار

يجب تسوية العلاقة بين "الحبل الرئيسي " و "عقد الشبكة " بطريقة صحيحة

V- مبادئ الحزب الثلاثة حول الأشياء التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها

ممارسة الماركسية و نبذ التحريفية

العمل من أجل الوحدة و نبذ الانشقاق

التحلى بالصراحة و الاستقامة و عدم حبك المؤامرات و الدسائس

"الأشياء الثلاثة التى يجب القيام بها و الأشياء الثلاثة التى يجب عدم القيام بها " هى المبادئ الأساسية التى يجب على أعضاء الحزب احترامها

VI - القيادة الموحّدة للحزب

يجب أن يقود الحزب كلّ شيء ، هذا مبدأ أساسى فى الماركسية – اللينينيّة

القيادة الموحّدة للحزب هى بالأساس قيادة إيديولوجيا و خطّ سياسى

المسك الجيّد بالمسائل الهامة و تعزيز القيادة الموحّدة للحزب

يجب على أعضاء الحزب الشيوعى أن يخضعوا عن وعى للقيادة الموحّدة للحزب وأن يحافظوا عليها

VII - المركزية الديمقراطية فى الحزب

المركزية الديمقراطية هى المبدأ التنظيمى للحزب

المسك بالعلاقة بين القيادة الجماعية و المسؤولية الشخصيّة بطريقة صحيحة

تطوير الديمقراطية داخل الحزب و الحفاظ على الوحدة الممركزة

VIII- الإنضباط فى صفوف الحزب

الإنضباط ضمان لتطبيق الخطّ

الإحترام الواعي للإنضباط الحزبي

التطبيق الصحيح للإنضباط الحزبي

IX- أساليب عمل الحزب الثلاث العظمى

أساليب العمل الثلاث العظمى عادة جيدة فى حزبنا

أسلوب دمج النظرية بالممارسة

أسلوب الحفاظ على علاقات وثيقة مع الجماهير

أسلوب عمل ممارسة النقد و النقد الذاتى

X – تكوين خلف قضيّة الثورة البروليتاريّة

تكوين خلف قضيّة الثورة مهمّة إستراتيجيّة هامة

تكوين خلف القضيّة الثوريّة و إختيارهم فى خضمّ النضال

ليعمل الحزب كلّه لإنجاز عمل تكوين خلف للثورة على أفضل وجه

XI – مهام منظّمات الحزب القاعدية

أهمّية الدلالة التى يكتسيها تعزيز بناء منظّمات الحزب القاعدية

المهام القتالية لمنظمات الحزب القاعدية

يجب على منظّمات الحزب القياديّة أن تضمن بناءها الخاص

XII - الدور الطليعي و النموذجي لأعضاء الحزب

الدور الطليعي و النموذجي لأعضاء الحزب فى غاية الأهمية

للنهوض بالدور الطليعي و النموذجي يجب أن نتّبع " المتطّلبات الخمس "

عن وعي نعيد تشكيل نظرتنا للعالم بهدف الإنخراط فى الحزب إيديولوجيا

==

==

فهرس الكتاب 27 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 27 -

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (2013-2016)

5 - الحضارة الغربيّة : " الموت للمهاجرين ! "

6 - عالم من المهاجرين و الإمبريالية و الحدود : غير مقبول و غير ضروري

7 - عدد كبير من الموتى فى البحر الأبيض المتوسّط : " لم يحدث شيء "

8 - أفغانستان : عقود ثلاثة من الهجرة الجماعية

9 - إلى متى يتواصل القبول بالمجازر فى البحر ؟

10 - منظّمة أطبّاء بلا حدود تتّخذ موقفا ضد السياسة الخبيثة للإتحاد الأوروبي تجاه مواجهة العدد التاريخي المتصاعد من المهاجرين إلى عالم لا يرحّب بهم

المحور الرابع : الإنتخابات الأمريكيّة و صعود الفاشيّة وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

الإنتخابات الأمريكية 1 : مزيد الإضطهاد والجرائم ضد الإنسانيّة فى الأفق... وضرورة ثورة شيوعية حقيقيّة وإمكانيّتها

1- المرشّحون للرئاسة يصرّحون بنيّتهم إقتراف جرائم حرب
2- الولايات المتّحدة الأمريكيّة : حول صعود دونالد ترامب ... و ضرورة ثورة حقيقيّة وإمكانيّتها

3- مقاربة علميّة جدّية لما يقف وراء صعود ترامب

بعض مؤلّفات بوب أفاكيان حول كيف وصلنا إلى هذا الوضع – و إمكانية شيء أفضل بكثير

4- ردّا على ترامب : الإجهاض ليس جريمة !

5- سؤالان إلى لويس فراخان و " أمّة الإسلام "

6- لنتعمّق فى أطروحات برنى سندارس

الإنتخابات الأمريكية 2 : ترامب و كلينتون وجهان لسياسة برجوازية إمبريالية واحدة

1- سيكون إنتخاب الديمقراطيين دعما لجرائم الحرب

2- لا – ليست إمبراطوريتنا !

ردّ ثوري على خطاب هيلاري كلينتون ضد ترامب

3- لماذا لا يجب علينا أن نصفّق لحكّامنا... و لماذا من الأفضل أن يخسروا حروبهم

الإنتخابات الأمريكية 3 : نقد الشيوعيين الثوريين لمواقف الخضر و نعوم تشومسكي

1- إلى الخضر : فى ظلّ هذا النظام لا تغيّر الإنتخابات أبدا أي شيء

نحتاج إلى الإطاحة بهذا النظام و ليس إلى التصويت له

نحتاج إلى ثورة فعلية !

2- لسنا فى حاجة إلى " التصويت للأقلّ شرّا " أو إلى " التصويت لطرف ثالث "

نحن فى حاجة إلى الإطاحة بالنظام برمّته فى أقرب وقت ممكن !

الإنتخابات الأمريكية 4 : موقف الحزب الشيوعي الثوري من إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة

1- وقع إنتخاب فاشيّ لعين رئيسا للولايات المتحدّة –

لا يجب أن توجد أيّة أوهام بأنّ الأمر سيكون على ما يرام . لن يكون كذلك

2- لماذا لن أصوّت فى هذه الإنتخابات و لماذا يجب أن لا تصوّتوا أنتم أيضا ... و لماذا أدافع عن حقّ السود و غيرهم من المضطهَدين فى الإنتخاب !

3- لماذا لم تكن هيلاري كلينتون قط و ليست و لا يمكنها أن تكون مدافعة عن النساء

الإنتخابات الأمريكيّة 5 : بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

1- بإسم الإنسانيّة ، نرفض القبول بأمريكا فاشيّة

إنهضوا ... إلتحقوا بالشوارع ... إتّحدوا مع الناس فى كلّ مكان لبناء مقاومة بكلّ السبل الممكنة

لا تقفوا : لا تساوموا ...لا تقبلوا بالتسويات ، لا تتواطؤوا

2- كيف يسير هذا النظام الرأسمالي – الإمبريالي و لماذا يجب الإطاحة به

3- أسئلة تطرح عادة بشأن الثورة والشيوعية (فى الولايات المتّحدة الأمريكية)

الإنتخابات الأمريكية 6 : ما هي نواة فريق إدراة دونالد ترامب الفاشي ؟ و ما هي إستراتيجيّته ؟

1- مع تشكيل ترامب لفريقه الفاشيّ ، يجب ان تتعزّز المقاومة !

2- مايك بانس : مسيحي فاشيّ ضربات قلبه ليست بعيدة عن رئاسة الولايات المتحدة

3- إعادة تكليف بانون الفاشي كأكبر القادة الإستراتيجيّين لدي ترامب

4- مستشار الأمن القومي لدى ترامب : الجنرال مايك فلين – " فى حرب مع الإسلام "

5- للإشراف على وكالة المخابرات المركزيّة إختار ترامب : مايك بمبيو – داعية للتعذيب و تمزيق حكم القانون

6- المدّعي العام لترامب جاف سيشينز : فارض تفوّق البيض و التطرّف البطرياركي

7- دونالد ترامب لن " يستعيد مواطن الشغل الأمريكيّة " ...بل بإسم مواطن الشغل الأمريكيّة سيرتكب فظائعا جديدة

8- ما يعنيه فوز ترامب للنساء : خطر لا يضاهى و الحاجة إلى قدر كبير من المقاومة الجماهيريّة

9- فوز ترامب – كارثة على البيئة تتطلّب مقاومة جماهيريّة

10- ترامب يهاجم الممثّلين ويقدّم فكرة عن مقاربته للفنّ والمعارضة : لن يسمح بأي نقد

11- إلى الذين لا زالوا ينظرون إلى برنى سندارس ...

12- يقول أوباما وكلينتون " لنتجاوز الأمر " لكنّ عشرات الآلاف يتمرّدون فى الشوارع

13- دفوس السكرتيرة الجديدة لل" تعليم " : الإقتطاع من التعليم العمومي و فرض المسيحيّة الفاشيّة

المحور الخامس : نظام عالمي إمبرياليّ قابل للإنفجار

1 ـ إستفتاء فى فنيزويلا : مكيدة الولايات المتحدة و حدود مشروع هوغوتشافيز و تناقضاته

2 ـ كوريا الشمالية ـ الولايات المتحدة : من يمثّل تهديدا نوويّا حقيقيّا ؟ و ما هي خلفية النزاع ؟

الجزء الثانى : متابعات عربيّة

فهرس الكتاب 28 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 28 -

ماتت الشيوعية الزائفة ...

عاشت الشيوعية الحقيقية !

تأليف بوب أفاكيان

محتويات العدد 28 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، فضلا عن مقدّمة المترجم :

ماتت الشيوعية الزائفة ... عاشت الشيوعية الحقيقية !

ب- مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا :

4/ الماركسية ـ اللينينية ـ الماوية : توليف كلّي القدرة لأنّه صحيح

الجزء الأوّل

الهجوم الراهن ضد الماركسيّة : المراوغات و الردود

1/ أسطورة الأسواق الحرّة فى مقابل الإشتراكية الحقيقية :

2/ بصدد البرجوازية و " الطبيعة الإنسانية " و الدين : الردّ الماركسى :

3/ مرّة أخرى حول الإقتصاد البرجوازيّ و خلط البرجوازيّة للأمور:

4/ من يدافع حقا عن التحرر الوطنيّ و ما هو مفهوم الأمميّة :

5/ دكتاتورية البروليتاريا : ألف مرّة أكثر ديمقراطيّة ... بالنسبة للجماهير :

6/ الشيوعيّة ليست " طغيانا طوباويّا " بل هدفا قابلا للتحقيق و هدفا تحرّريا :

7/ " الماديّة التاريخيّة " الميكانيكيّة و الماديّة التاريخيّة الجدليّة :

الجزء الثانى

مرّة أخرى حول التجربة التاريخيّة للثورة البروليتاريّة – مرّة أخرى حول كسب العالم

1/ مسألة قوى الإنتاج :

2/ تقدّم الثورة العالميّة و تعزيزها :

3/ الثورة البروليتاريّة و الأمميّة : القاعدة الإجتماعيّة :

القيام بالثورة و دفع الإنتاج

1/ تحويل العلاقات بين الناس و تحويل الملكيّة :

2/ المساواة و الوفرة العامة فى ظلّ الإشتراكيّة :

3/ ماذا يعنى أن تكون الجماهير سيّدة المجتمع ؟

4/ البناء الإشتراكيّ فى الإطار العالميّ :

الديمقراطية :

أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك

ملحق " الديمقراطية :

أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و يجب علينا إنجاز أفضل من ذلك " حول الديمقراطة البروليتارية

(اللجنة المركزية لإعادة تنظيم الحزب الشيوعي الهندي (الماركسيّ – اللينينيّ))

13 / بعض المسائل الإضافيّة :

14 / الخاتمة :

ملحق الكتاب

فهارس كتب شادي الشماوى

فهرس الكتاب 29 / 2017

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 29 -

دفاعا عن الشيوعية الثوريّة و تطويرها

ضد مايكل هاردت ، أنطونيو نغرى، ألان باديو، سلافوج تزتزاك و برنار دى مالو

محتويات هذا الكتاب 29 ، أو العدد 29 من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " إضافة إلى المقدّمة :

2- **الفصل الثاني : حول " الإمبراطوريّة " : الشيوعية الثوريّة أم " الشيوعية " دون ثورة ؟**

I- الإمبريالية أم " الإمبراطوريّة " ؟

II - ما هي الرأسماليّة ؟

- ما الذى يدفع الإمبريالية إلى الأمام ؟

- قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج

- ما الذى يدفع ماذا ؟

- إعادة إحياء نظريّة روزا لكسمبورغ

- سيادة وحيدة ؟

III- التحرّر الوطني و الدولة

- الإمبرياليّة و أنماط الإنتاج ما قبل الرأسماليّة

- التحرّر الوطني - لا يزال مهمّة من مهام البروليتاريا

- تواصل أهمّية الفلاّحين و المسألة الزراعيّة

IV – قانون القيمة و " العمل غير المادي "

- تحليل طبقي مضطرب

- أجر مضمون إجتماعيّا

V – الديمقراطية و الفوضويّة و الشيوعيّة

- الديمقراطية و الحكم الطبقي

- إضمحلال الدولة ... في ظلّ الرأسماليّة !

3- **الفصل الثالث : ألان باديو و دكتاتورية البروليتاريا أو لماذا يساوى نبذ " إطار الدولة - الحزب " نبذا للثورة**

I- لماذا تصلح الدولة الإشتراكية وكيف ستضمحلّ و لماذا ينتهى ألان باديو إلى جانب الدولة البرجوازية

1- ملاحظة سريعة عن الفلسفة

2- ألان باديو لاطبقية الدولة و الشكلانية

II- الحزب في المجتمع الإشتراكي : " غير ملائم " أم وسيلة للتحرير ؟

1- مرّة أخرى عن روسو و التمثيليّة

2- " الخضوع البيروقراطي اللاطبقي " أم مرّة أخرى ، هل الخطّ هو الحاسم ؟

3- القيادة الشيوعية المؤسساتيّة و تناقض القادة – المقادين و رأي الخلاصة الجديدة بهذا الصدد

4- الفصل الرابع : القدح في الشيوعية و التزلّف للإمبريالية - تزييف سلافوج تزتزاك للحقائق و جلبه العار لنفسه

I- تحدّيات حقيقيّة و بدائل حقيقيّة و مسؤوليّات حقيقيّة

II- يرفض الخوض في الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان بينما يهاجمها هجوما غير مسؤول

III – مناهضة مسعورة للشيوعيّة تلبس قناع التفكير الجديد

IV – موقف تزتزاك المعادي لمناهضة الإمبرياليّة

V - خاتمة : تصفية حساب و دعوة إلى نقاش جريئ و صريح

- ملحق : سلافوج تزتزاك أحمق متعجرف يتسبّب في ضرر كبير

5- الفصل الخامس : فهم الماويّة فهما علميّا و الدفاع عنها بصلابة و تطويرها ، بهدف بلوغ مرحلة جديدة من الشيوعية : أفكار جداليّة حول مقال برنار دى مالو " ما هي الماويّة ؟ "

مفهوم دى مالو للماويّة :

نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة :

الديمقراطيّة الراديكاليّة أم الشيوعيّة العلميّة :

المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ :

الصراع من أجل الدفاع عن ماو تسى تونغ و إرساء أرضيّة مزيد التقدّم :

ماو (و ماركس) ك " ديمقراطيّين راديكاليّين " :

الخلط بين الشيوعيّة و الديمقراطيّة :

تجاهل دروس الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى :

الثورة الوطنيّة الديمقراطيّة :

ما معنى القيادة البروليتاريّة ؟

ماركسيّة العالم الثالث ؟

الخطّ الجماهيري :

" الممارسة معيار الحقيقة " :

ملاحظات نهائيّة :

فهرس الكتاب 30

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 30 -

الماركسيّة و النسويّة

تجميع و نشر

شهرزاد موجاب

فهرس الكتاب 31 / 2018

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 31 -

العلم و الثورة الشيوعيّة

فصول و مقالات من كتابات أرديا سكايبراك

مقترح منحرف :

صياغة الجديد :

الجزء الثالث : الفنّ و السياسة و الدور الخاص للفنّ الثوري

الفنّ الثوري :

الجزء الرابع : الفنّ كتنبّئ بالمستقبل

هل يكون الفنّ أقوى عندما " يخفى الفنّانون آراءهم "؟

الفنّ بمستويات مختلفة :

أحمر و أخصّائي :

الوعي و العفويّة :

<u>2- الإشتغال على الأفكار و البحث عن الحقيقة : تأمّل فى القيادة الثوريّة و السيرورة الفكرية</u>

<u>3- رسالة من أرديا سكايبراك إلى ندوة ذكرى شولاميث</u>

<u>III- الباب الثالث : الفصلان 3 و 4 من " عن الخطوات البدائية و القفزات المستقبلية - بحث فى ظهور الإنسان و منبع إضطهاد النساء و طريق التحرّر "</u>

مقدّمة المترجم :

مقدّمة كتاب " الخطوات البدائية و القفزات المستقبلية ..."

الفصل الثالث

الفصل الرابع

ملحق : لماذا كان إنجلز متقدّما بخطوة ؟

مراجع كتاب " عن الخطوات البدائية و القفزات المستقبلية ..."

<u>IV- الباب الرابع : تطوّر الكائنات البشريّة - الفصل السابع من " علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق : معرفة ما هو واقعي و لماذا يهمّنا "</u>

- من نحن؟ من أين أتينا ؟ كيف سيكون المستقبل ؟

- تطوّر الإنسان من أنواع غير إنسانيّة وجدت قبله :

- بعض الوقائع الأساسيّة عن التطوّر :

- ثمّ هناك الأحافير – الكثير من الأحافير :

- تلخيص مقتضب :

- ماذا يعنى عمليّا أن " تصبح إنسانا " ؟

- نحن الطفل الصغير ضمن الكتلة

- ظهور أنواع جديدة و تعزيزها :

- ظروف مفاتيح فى تطوّر الإنسان :

- الأدلّة الواضحة و المتراكمة عن التطوّر من قردة إلى إنسان :

- لماذا نوعنا من الهومينيد هو الوحيد الذى لا يزال منتصب القامة [واقفا] ؟

- ما الذى يجعلنا خاصّين جدّا ، و إن بالنسبة لأنفسنا ؟

- القفزتان الكبيرتان فى تطوّر الهومينيد :

- سلسلة مراحل إنتقاليّة من الملامح الأشبه بالقردة إلى ملامح أشبه بالإنسان :

- هل كان الهومينيد الأوائل" مجرّد قردة " دلالة تطوّر التنقّل على قدمين على طريق التحوّل إلى إنسان:

- لذا ، هل نحن مجرّد حادث ؟

- تلخيص و نظرة عامة :

- صلة بيئيّة ممكنة :

- نوع واحد – عبر العالم بأسره :

نوع يغيّر العالم تغييرا جذريّا

إضافات إلى الفصل السابع

الإنسان و الديناصورات ؟! فكرة عبثيّة أخرى لأنصار فكر الخلق .

الحمض النووي لدى الشنبنزي ولدى الإنسان : إلى أي مدى نتقارب ؟

هل كان توماي أحد أسلافنا ؟

ميف ليكي تمسك بآخر إكتشافاتها للأحافير

هل أن الهومو أركتوس أوّل أنواع الإنسان التى غادرت أفريقيا ؟

جميعنا أتينا من أفريقيا

ماذا يقول لنا علم التطوّر عن " الأعراق " الإنسانيّة ؟

ألا يزال الإنسان يتطوّر ؟

<u>٧- الباب الخامس: إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية - مقتطفات من:</u>

<u>" العلم و الثورة - حول أهمّية العلم و تطبيقه على المجتمع و الخلاصة الجديدة للشيوعية و قيادة بوب أفاكيان "</u>

إطار نظري جديد لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية

ما الجديد فى الخلاصة الجديدة ؟

الإختراقات النظريّة و التطبيق العملي للخلاصة الجديد

دستور الجمهورية الإشتراكية الجديدة – تطبيق ملموس لرؤية ثاقبة للخلاصة الجديدة

الخلاصة الجديدة : المضي صراحة صوب الحقيقة – و نبذ مفهوم " الحقيقة الطبقية "

بوب أفاكيان : مزيج نادر جدّا من – النظريّة العالية التطوّر و المشاعر و الصلات العميقة مع الذين يحتاجون بأكبر يأس إلى هذه الثورة

تهمة " عبادة الفرد " – جاهلة وسخيفة و فوق كلّ شيء تتجاوز المعقول

القيادة : هل تخنق المبادرة أم تطلق لها العنان ؟

لماذا من المهمّ جدّا التوغّ فى مؤلّفات بوب أفاكيان و ما يعنيه ذلك

رؤية آملة – على أساس علمي

التفاعل الجدّى مع الخلاصة الجديدة – و الفرق الذى يمكن أن تحدثه

هبّات كبرى فى العالم و الحاجة الكبيرة للمقاربة العلمية للخلاصة الجديدة

فهرس الكتاب 32 / 2018

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 32

ماو تسى تونغ و بناء الإشتراكية

(نقد لكتاب ستالين " القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتى " و لكتاب" الاقتصاد السياسى ، السوفياتى ")

11- تغيير المثقّفين :

12- العلاقات بين التصنيع و حركة التعاونيّات فى الفلاحة :

13- عن الحرب و الثورة :

14- هل أنّ الثورة أصعب فى البلدان المتخلّفة ؟

15- هل الصناعة الثقيلة أساس التحويل الإشتراكي ؟

16- ميزات أطروحة لينين حول الإنطلاق فى الطريق الإشتراكي :

17- نسق التصنيع مشكل حاد :

18- إن طوّرنا فى آن معا المؤسسات الكبرى و المتوسّطة و الصغرى فلأجل تصنيع بنسق سريع :

19- هل يمكن لنظامين إشتراكيين للملكية أن يتعايشا لفترة زمنيّة طويلة ؟

20- لا يمكن للتحويل الإشتراكي للفلاحة أن يرتبط بالآلات فحسب :

21- ما يدعى " التعزيز النهائي " :

22- عن الحرب و السلم :

23- هل " الإجماع " محرّك لتطوّر المجتمع ؟

24- حقوق العمّال فى ظلّ النظام الإشتراكي :

25- هل المرور إلى الشيوعية ثورة ؟

26- " ليس من الضروري مطلقا أن تستخدم الصين شكلا حادا من صراع الطبقات " : أطروحة مدّعاة !

27- المدّة اللازمة لتحقيق بناء الإشتراكية :

28- مرّة أخرى ، عن العلاقات بين الصناعة و التحويل الإشتراكي :

29- عن التناقض بين علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج الإشتراكية :

30- حتميّة المرور من نظام الملكيّة التعاونيّة إلى نظام ملكيّة الشعب بأسره :

31- الملكية الخاصة :

32- التناقض هو القوّة المحرّكة للمجتمع الإشتراكي :

33- السيرورة الديالكتيكية للمعرفة :

34- النقابات و نظام المسؤوليّة الفرديّة :

35- أخذ النظريّة و المبادئ نقطة إنطلاق ليس منهجا ماركسيّا :

36- هل يمكن نشر التجارب المتقدّمة دون عناء ؟

37- عمل التخطيط :

38- أولويّة رفع إنتاج وسائل الإنتاج و التطوير المتوازي للصناعة و الفلاحة :

39- المفاهيم الخاطئة عن حتميّة التوزيع :

ملاحق النصّ الثالث

1- مشكلة تصنيع الصين :

2- حول مكانة الإنسان فى المجتمع و قدراته :

3- التعويل على الجماهير :

4- بعض المقارنة بين سيرورة التطوّر السوفياتيّة و سيرورة التطوّر الصينية :

5- سيرورة تشكيل الخطّ العام و تعزيزه :

6- التناقضات بين البلدان الإمبريالية :

7- لماذا يمكن للثورة الصناعيّة الصينيّة أن تكون أسرع ؟

8- المشكل الديمغرافي :

فهرس الكتاب 33 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 33 -

متابعات عربيّة و عالميّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (2)

(2017 - 2018)

مقدّمة :

الجزء الأوّل : متابعات 2017

" لنتخلّص من كافة الأوهام المتصلة بهذا النظام و إنتخاباته ! نحتاج إلى حركة من أجل الثورة ! "

- 17 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (1) : طبيعة الإنسان تقوّض أهداف الشيوعيّة و تجعلها غير صالحة مهما كانت مبادؤها نبيلة أو نوايا المدافعين عنها صادقة

- 18 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (2)

الكذبة 2 : لأنّ الإشتراكية – الشيوعيّة ضد طبيعة الإنسان ، تلجأ إلى عنف الدولة و القتل الجماعي لفرض مُثلها العليا

- 19 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (3) الكذبة 3 :

كانت ثورة أكتوبر فى روسيا " إنقلابا " نظّمه لينين و الحزب الشيوعي البلشفي . لقد كانوا متعطّشين إلى السلطة و إنتزعوها من أجل أنفسهم

- 20 - دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة (4)

الكذبة 4 : الشيوعيّة شكل من أشكال الكليانيّة . سعى آدولف هتلر و جوزاف ستالين إلى فرض الهيمنة الكلّية على المجتمع – من خلال القمع الذى إجتاح كلّ مظهر من مظاهر حياة المجتمع و الأفراد ، و الإيديولوجيات المتلاعبة بالعقول

- 21 - الولايات المتّحدة الأمريكيّة : إعدادات لتحرّكات جماهيريّة فى 4 نوفمبر مطالبة برحيل نظام ترامب / بانس الفاشي

الثلاثة آمال الكاذبة التى يمكن أن تتسبّب فى قتل الملايين ... و شيء واحد يمكن أن ينهي هذا الكابوس

نادي الثورة – أسئلة متكرّرة

- 22 - موقف الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة من نقل ترامب للسفارة الأمريكية إلى القدس

- 23 - إهانة أنجيلا ماركال و الدعوة فى بولونيا إلى " محرقة للمسلمين "

- 24 - أمريكا – قوّة خير فى العالم ؟ قولوا هذا إلى الشعب اليمني

الجزء الثاني : متابعات 2018

-1-

الحزب الشيوعي الإيراني الحزب (الماركسي – اللينيني – الماوي) : سنقاتل جمهوريّة إيران الإسلاميّة و سننظّم الشعب من أجل الثورة ! الموت للجمهوريّة الإسلاميّة – لنناضل من أجل جمهوريّة إشتراكيّة جديدة فى إيران !

-2-

لندعم نضالات النساء فى إيران ضد الإرتداء الإجباري للحجاب !

منظّمة نساء 8 مارس (إيران – أفغانستان)- 8 مارس 2018

-3-

لماذا تعنى الانتخابات الإيطاليّة أخبارا سيّئة بالنسبة إلى العالم و ما العمل إزاء ذلك

-4-

أفريل 1968 : تمرّد السود الذى زلزل أمريكا و العالم

-5-

الثورة الشيوعية و لا شيء أقلّ من ذلك !

بيان الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي - اللينيني - الماوي) بمناسبة غرّة ماي العيد العالمي للطبقة العاملة

-6-

إمبراطورية إستغلال ، عالم بؤس و الثورة التى تصرخ الإنسانيّة من أجلها

ريموند لوتا

-7-

نظام ترامب / بانس الفاشي يقترف جرائما ضد الإنسانيّة :

ترامب يعيد تأكيد " صفر تسامح " تجاه ذوى البشرة السمراء و يتعهّد بإبقاء أبناء اللاجئين مع أوليائهم – فى معسكرات إعتقال

-8-

هناك حاجة إلى دفن النظام الرأسمالي و ليس إلى محاولة " دَمَقرَطَتِهِ " : أندرياس مانوال لويز أوبرادور و الجيش الزاباتي للتحرير الوطني و الثورة الضروريّة

المنظّمة الشيوعيّة الثوريّة ، المكسيك - 28 أفريل 2018

-9-

هايتي : أيام خمسة من التمرّد الملهم ضد ارتفاع الأسعار الذى فرضته الإمبرياليّة ... و الحاجة الملحّة للثورة

-10-

المملكة المتّحدة [بريطانيا] : قائد حزب العمل ، كوربين ، و العنصريّة الصهيونيّة و الإنعطاف الأوروبي نحو اليمين

-11-

الإعدام السياسي للولا و رمي الفاشيّة بظلالها على البرازيل

-12-

البرازيل عقب الانتخابات : لحظة حيويّة

-13-

مكاسب كبرى للحزب الشيوعي الفليبيني خلال الخمسين سنة من خوض الثورة

خوسي سيسون ، 23 أوت 2018

-14-

برنامج الجبهة الوطنية الديمقراطية الفليبينيّة

-15-

لنحتفي بالذكرى الخمسين للحزب و لقيادته للثورة الفيليبينيّة إلى إنتصارات أكبر

اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الفيليبينيّ – 26 ديسمبر 2018

-16-

حول نظام دوترتى و الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعى الفليبينى

حوار صحفي مع خوسي ماريا سيسون الرئيس المؤسّس للحزب الشيوعي الفليبيني

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي

فهرس الكتاب 34 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 34 -

حرب الشعب الماويّة فى الفلبين

فضلا عن المقدّمة ، يحتوى هذا الكتاب على فصول خمسة و ملاحق ستّة ، تفصيلها كالآتى ذكره :

- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى :

- آفاق الماركسيين - اللينينيين :

الفصل الثانى : برنامج الثورة الديمقراطية الجديدة

(1) - برنامج الثورة الديمقراطية الشعبيّة

1- الإطاحة بالقوات الإمبريالية الأمريكية و الإضطهاد الإقطاعي :

2- إرساء دولة ديمقراطية شعبيّة و حكومة تحالف :

3- القتال من أجل الوحدة الوطنيّة و الحقوق الديمقراطيّة :

4 - رفع راية مبدأ المركزيّة الديمقراطية :

5 - بناء و رعاية الجيش الشعبي الجديد :

6 - معالجة مشكلة الأرض :

7 - إنجاز تصنيعنا الوطني :

8 - التشجيع على ثقافة وطنية و علمية و جماهيريّة :

9 - إحترام حقّ تقرير مصير البنغسامورو و الأقلّيات القوميّة الأخرى :

10 - توخّى سياسة خارجيّة مستقلّة نشيطة :

III - برنامجنا الخاص

- في الحقل السياسي :

- في الحقل الاقتصادي :

- في الحقل العسكري :

- في الحقل الثقافي :

- في حقل العلاقات الأجنبيّة :

(2) - متطلّبات الجبهة المتّحدة الثوريّة

- أوّل المتطلّبات :

- ثانى المتطلّبات :

- ثالث المتطلّبات :

- رابع المتطلّبات :

- خامس المتطلّبات :

- سادس المتطلّبات :

- ملحق من إقتراح المترجم : برنامج الجبهة الوطنية الديمقراطية الفليبينيّة

(3) - حول قضيّة البيئة فى العالم و فى الفليبين

- حماية البيئة من منظور الأمم المتحدة و الرأسمالية الإحتكاريّة :

- تحطيم البيئة في الفليبين :

- أصدقاء البيئة و أعداؤها :

- سجلّ آداء الحركة الثوريّة :

الفصل الثالث : نقد الحركة الأممية الثورية لإنحرافات ظهرت فى الخطّ الإيديولوجى و السياسى للحزب الشيوعى الفليبينى

(1) - رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى الفليبينى من هيئة الحركة الأمميّة الثوريّة

آكينو : الحليفة المتردّدة أم العدوّة الملعونة :

" النقد الذاتي " للمكتب السياسي :

القضاء على الجهاز السياسي الرجعيّ أم إعادة تنظيمه :

" الكلّ سراب ... ما عدا سلطة الدولة " :

إختصار العدوّ في مجرّد حزب صغير :

معلومات إضافيّة عن الجبهة المتّحدة :

التراجع في الحكم على الإمبريالية الإشتراكية :

ما هو الطريق إلى السلطة ؟

مفاوضات وقف إطلاق النار :

الخروج عن الماركسية – اللينينية يعنى موت الثورة :

الماركسيّة - اللينينيّة و الفكر الماوي مفتاح الثورة الفليبينيّة :

(2) - الحزب الشيوعى الفليبينى و الأصدقاء الزائفون للثورة الفليبينيّة

فكر ماو تسى تونغ :

إنكار النضال ضد التحريفيّة :

رغبة ليواناغ في حزب " مستقرّ و جاد " :

مفهوم ليواناغ للوحدة :

لندفن الأحقاد و لننكبّ على العمل :

الأممية البروليتارية أم الإستسلام في الداخل و الخارج :

لنحتفى بالذكرى الخمسين للحزب ونقود الثورة إلى إنتصارات أكبر :

لنحتفى بالذكرى الخمسين للحزب ونقود الثورة إلى إنتصارات أكبر :

ملاحق الكتاب (6)

(1) - الأهمّية التاريخية لحرب الشعب فى الفلبيين

(2) - لماذا لا يقدر نظام آرويو أن يحطّم الثورة المسلّحة و إنّما يتسبّب فى تقدّمها

+ دعوة من الحزب الشيوعي الفيليبيني للإعداد للذكرى الأربعين لتأسيسه فى السنة القادمة بالتسريع فى التقدّم

+ الأزمة الإقتصادية العالميّة والمحلّية تدفع الشعب إلى شنّ نضال ثوريّ

(3) - بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفليبيني بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيسه

1- أزمة إقتصادية ومالية غير مسبوقة :

2- الوضع الميؤوس منه للنظام الحاكم فى الفيليبين :

3- الإنتصارات العظيمة للحزب الشيوعيّ الفليبينيّ :

4- خطّة من أجل نقلة نوعيّة فى الثورة المسلّحة :

أ- تربية الكوادر وتدريبها على الخطّ الإيديولوجيّ الماركسيّ-اللينيني-الماويّ والخطّ السياسيّ العام للثورة الديمقراطية الجديدة :

ب- التعجيل بضمّ المرشّحين لعضويّة الحزب من الحركة الجماهيريّة الثوريّة

ت- تشديد حملات إستنهاض الشعب وتعبئته على أساس الخط العام للثورة الديمقراطية الجديدة :

ث- دعم الكفاح المسلّح الثوريّ من اجل تحقيق أقصى ما يمكن من الإنتصارات السياسيّة و العسكريّة :

ج- رفع الإصلاح الزراعي إلى مستوى جديد و أرقى :

ح- تطوير الجبهات الأنصاريّة لتصبح قواعد إرتكاز مستقرّة نسبيّا :

خ- تطوير مختلف التحالفات فى ظلّ سياسة الجبهة المتّحدة من أجل بلوغ أوسع الناس :

د-إعلاء راية الأمميّة البروليتاريّة و التضامن الواسع المناهض للإمبرياليّة :

(4) - لنوفّر متطلبات التقدّم بحرب الشعب من الدفاع الإستراتيجي إلى التوازن الإستراتيجي

ا- الإنهيار الإقتصادي و الفوضى العالميين المتواصلين :

ب- الأزمة الدورية للنظام الفاسد تستفحل :

ت- الحزب يقود الثورة :

ث- مهامنا النضالية الجديدة :

(5) - بلاغ عن المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الفليبيني

- تعديلات في القانون الأساسي :

- تحيين البرنامج العام :

- انتخابات :

- قرارات :

(6) - فهارس كتب شادي الشماوي

+++

فهرس الكتاب 35 / 2019

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 35 -

إختراقات

الإختراق التاريخي لماركس و مزيد الإختراق بفضل الشيوعية الجديدة

خلاصة أساسيّة

تأليف بوب أفاكيان

و محتويات الكتاب هي ، فضلا عن تمهيد من المترجم ،

++

فهرس الكتاب 36 / 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة – 36 -

تقييم علمي نقدي للتجربتين الإشتراكيّتين السوفياتيّة و الصينيّة :

" كسب العالم ؟ واجب البروليتاريا العالميّة و رغبتها "

تأليف بوب أفاكيان

محتويات الكتاب ، فضلا عن مقدّمة المترجم هي :

الجزء الأوّل :

" كسب العالم : واجب البروليتاريا العالميّة و رغبتها "

لبوب أفاكيان / العدد 50 من مجلّة " الثورة "

الجزء الثانى :

(1) عرض موجز لوجهات نظر حول التجربة التاريخيّة للحركة الشيوعيّة العالمية و دروسها اليوم

(مجلّة " **الثورة** " عدد 49 / 1981)

(2) مسألة ستالين و " الستالينيّة " - مقتطف من خطاب " نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة " لبوب أفاكيان

(مجلّة " **الثورة** " عدد 60 ، سنة 1990)

الملاحق - 4 – (من إقتراح المترجم)

1- الخلاصة الجديدة للشيوعية : التوّجه و المنهج و المقاربة الجوهريّين و العناصر الأساسيّة – خطوط عريضة

(وثيقة نشرت سابقا في كتاب " **إختراقات - الإختراق التاريخي لماركس و مزيد الإختراق بفضل الشيوعية الجديدة- خلاصة أساسيّة** ")

2- ستّة قرارات صادرة عن اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية

(وثيقة نشرت سابقا في كتاب **" عن بوب أفاكيان و أهمّية الخلاصة الجديدة للشيوعية**

تحدّث قادة من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ")

3- إطلالة على موقع أنترنت مذهل يديره ريموند لوتا : " هذه هي الشيوعية " - إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح

أ- مجاعة 1933 في الإتّحاد السوفياتي : ما الذى حصل فعلا و لماذا لم تكن " مجاعة متعمّدة "

ب- دحض الأكاذيب الكبرى المشوّهة للشيوعيّة

ت- إطلالة على صفحات / مداخل من موقع " هذه هي الشيوعيّة " - إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح

4- فهارس كتب شادي الشماوي

++

فهرس الكتاب 37 / 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 37 -

إضطهاد السود فى الولايات المتحدة الأمريكية

و الثورة الشيوعية العالمية

بصورة تفصيليّة محتويات هذا الكتاب 37 أو العدد 37 من مجلّة " **الماوية : نظريّة و ممارسة** "، فضلا عن مقدّمة المترجم التي تضمّنت تعريب وثيقتين لماو تسى تونغ متصلّة بإضطهاد السود في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، هي :

3- هل تحقّق " الحلم " ؟ و ما هو الحلم الذى نحتاجه حقّا ؟

4- ستّ مسائل كان فيها أوباما أسوأ من بوش

5- كلام مباشر حول أوباما و إضطهاد السود

خمسون سنة منذ إغتيال مالكولم آكس :

6- لنتذكّر حياة مالكولم و إرثه – و نمضى أبعد منها للقيام بالثورة و وضع حدّ لجهنّم على الأرض ، التى يلحقها هذا النظام بالإنسانيّة !

7- إغتيال مالكولم آكس : دروس هامة لنضال اليوم

8- تقييم حزب الفهود السود

(**بوب أفاكيان** ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية – 1979)

الفصل الثالث : البديل التحرّرى الشيوعي الثورى

إضطهاد السود و جرائم هذا النظام و الثورة التى نحتاج

(الحزب الشيوعى الثورى ، الولايات المتحدة الأمريكية / أكتوبر 2008)

الفهرس :

4- لماذا " العائلات القويّة " ليست الحلّ .

5- حدود الفكر القومي .

6- لماذا " الحلم " طريق مسدود .

7- الطريق الخاطئ لباراك أوباما.

III- الإشارة إلى الأمام : الحلّ هو الثورة :

- ثورة شيوعية .

- تصوّروا : سلطة الدولة الثوريّة الجديدة و القضاء على إضهاد السود .

- كيف يمكن لمثل هذه الثورة أن تتطوّر ؟ و كيف ستكون ؟

IV- التحدّى الذى علينا مواجهته :

الهوامش :

هوامش الكتاب (2) :

1- **محطّة هامة من محطّات النضال ضد إضطهاد السود : معركة 22 - 23 - 24 أكتوبر 2015**

I- قفزة فى النضال ضد جرائم الشرطة فى الولايات المتّحدة : الإعداد لتحرّكات كبرى فى نيويورك فى 22 و23 و 24 أكتوبر 2015

كلمة للمترجم

1- حقيقة جرائم الشرطة والسجن الجماعي فى الولايات المتّحدة

2- لننهض-أكتوبر لإيقاف الفظائع التى ترتكبها الشرطة

نداء من كورنال واست و كارل ديكس

3- كارل ديكس يتحدّث عن " لننهض - أكتوبر "

4- لننهض ضد عنف الشرطة

نشطاء من الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) – شمال أمريكا

II - تصاعد النضالات من أجل إيقاف إرهاب الشرطة و جرائمها فى الولايات المتحدة الأمريكية (22 و 23 و 24 - أكتوبر 2015)

كلمة المترجم

1- هذه تحيّة بصوت عالى للمقاومين القادمين إلى 24 أكتوبر

الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة

2- رسالة من كورنال واست و كارل ديكس

3- كارل ديكس فى مسيرة 24 أكتوبر : " لنقم بكلّ ما بوسعنا القيام به لإيقاف فظائع جرائم الشرطة فى حقّ شعبنا . ثمّ لنقم حتّى بأكثر من ذلك لأنّه يجب إيقاف هذا "

4- الآلاف فى شوارع مدينة نيويورك من أجل " لننهض – أكتوبر " : إيقاف إرهاب الشرطة ! إلى جانب من أنتم !

2- **فهارس كتب شادي الشماوي**

++

فهرس الكتاب 38 / أكتوبر 2020

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 38 –

الشيوعية الجديدة – علم وإستراتيجيا و قيادة ثورة فعليّة ، و مجتمع جديد راديكاليّا على طريق التحرير الحقيقي

تأليف بوب أفاكيان

و محتويات الكتاب 38 ، فضلا عن مقدّمة المرتجم :

- الأمميّة

- الوفرة و الثورة و التقدّم نحو الشيوعيّة - فهم ماديّ جدليّ

- أهمّية " نقطة مظلّة الطيران " - حتّى الآن و أكثر حتّى مع ثورة فعليّة

- *دستور الجمهوريّة الإشتراكية الجديدة في شمال أمريكا* - اللبّ الصلب مع الكثير من المرونة على أساس اللبّ الصلب

- محرّرو الإنسانيّة

الجزء الثالث : المقاربة الإستراتيجيّة لثورة فعليّة

- مقاربة إستراتيجيّة شاملة

- التسريع بينما ننتظر

- قوى الثورة

- فصل الحركة الشيوعيّة عن الحركة العمّاليّة ، و القوى المحرّكة للثورة

- التحرّر القوميّ و الثورة البروليتاريّة

- الأهمّية الإستراتيجيّة للنضال من أجل تحرير النساء

- الجبهة المتّحدة في ظلّ قيادة البروليتاريا

- الشباب و الطلبة و الأنتلجنسيا

- الصراع ضد أنماط التفكير البرجوازيّة الصغيرة بينما نحافظ على التوجّه الإستراتيجي الصحيح

- " الإثنان تحقيق أقصى قدر "

- " أوقفوا الخمسة "

- العامودان الفقريّان

- العودة إلى **" بصدد إمكانيّة الثورة "**

- الأمميّة – الإنهزاميّة الثوريّة

- الأمميّة و البُعدُ العالميّ

- الأمميّة – التقدّم بطريقة أخرى

- نشر الإستراتيجيا في صفوف الشعب

- توجّه جوهريّ

الجزء الرابع () : القيادة التي نحتاج

- الدور الحيويّ للقيادة

- نواة قياديّة من المثقّفين – والتناقضات التي تنطوي عليها

- نوع آخر من " الهرم "

- الثورة الثقافيّة صلب الحزب الشيوعي الثوري

- حاجة الشيوعيّين إلى أن يكونوا شيوعيّين

الملاحق :

الملاحق 3 و4 و5 من إقتراح المرتجم

فهارس كتب شادي الشماوى

فهرس الكتاب 39 / جانفى 2021

الماويّة : نظريّة و ممارسة - 39 -

متابعات عالميّة و عربيّة – نظرة شيوعيّة ثوريّة (3)

(2020 - 2019)

ترجمة و تقديم شادي الشماوى

الجزء الثاني : متابعات 2020

القسم الأوّل : مقالات 2020 بصدد جائحة كوفيد – 19

القسم الثانيّ : بقيّة مقالات سنة 2020

ملحق : فهارس كتب شادي الشماوي

==

+++
+++
+++++++++++++++++++++++++